الدراسات

النحوية واللغوية

ومنهج التعليم في المدرسة

الى الصف الثالث الثانوي

لطلاب دار المعلمين والمعلمات

د. موسى الخفاجي

الدراسات النحوية واللغوية

ومنهجها التعليمي في البصرة

الى القرن الثالث الهجري

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ١٠٦٥٦٤
التاريخ ١٨/٧/١١

هدية المرحوم
د. موسى بشتي الخفاجي
مكتبة الروضة الحيدرية

جاسم السعدي

١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م

ساعدت وزارة التربية على نشره

النجف الأشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

رب اشرح لي صدري *

ويسر لي امري *

واحلل عقدة من لساني *

يفقهوا قولي *

سورة طه

الإهداء

كان القرآن الكريم قد أوجد الحاجة إلى دراسة اللغة وأساليبها .

فتمنّت هذه الدراسات بكتاب الله .

وحافظت عليه دافعة كلّ لحنٍ يهدده .

ثم استرفدته وابلا غدقا .

وكان الكتّابُ والمسجدُ ، موئلا لهذه الدراسات .

فتفيأتهما وارفين .

إلى والدي أهدي هذا الجهد .

إنه تعلم في « كتّاب » .

ولا يلحن في « الكِتاب » .

جاسم

تقديـــم :

الدكتور
عناد غزوان اسماعيل
عميد كلية اصول الدين في بغداد
استاذ الادب العربي ـ كليـــة الآداب ـ
جامعة بغداد

ان اللغة العربية بتركيبها النحوي ونظامها الصرفي ، لغـة منطقية وحضارية استمدت خصوصيتها من واقع العرب في شبه الجزيرة العربية ، بكـل ما في ذلك الواقع من انتقالية وقيَم بدوية ومثل اخـلاقية ونظرة تطلع الى الحياة وتأمّل في الطبيعة والكون .

وان تأريخها حافل بتراث فكري غزير وروح علمية كانت موضع اعتبار وتقدير في تأريخ الحضارة الانسانية ، والعربية ، كغيرها من لغات الانسان ، نشاط اجتماعي مكتسب أقرب الى كونه ظاهرة اجتماعية تعتمد التعبير في الافصاح عن خواطر ومشاعر وافكار صاحبها ، وتجعل من التدوين قاعدة لتراثها الذى تعتز به أيما اعتزاز .

وان البحث في تأريخ نشأتها وتطورها انما هو بحث في الجوانب الاجتماعية والنفسية والتعبيرية لدلالة اللفظة جرساً ومعنى واسلوباً ، وهنا تتبوأ الدراسة النحوية والصوتية مكانة مهمة فى تأريخ اللغة ، نشأة وتطوراً ،

لذلك يجدر بالباحث في مثل هذه الامور ان يأخذ بعين الاعتبار والاهتمام . التخصيص والتحديد اساساً لمنهجه ودراسته العلمية .. فالنحو العربي ليس مجرد آراء واجتهادات عامة او مجموعة من الهياكل العظمية التي لا تمت الى واقع الانسان العربي بصلة .. انما هو ، في الواقع ، دراسة اسلوبية للجملة العربية التي تؤلف قاعدة التعبير وانطلاقة الفكر .

فالنحو العربي ، بعبارة أدق ، دراسة اسلوبية للغة ، والصرف دراسة صوتية ومعنوية للتفظة المفردة حيناً والمؤتلفة مع غيرها حيناً آخر ..

لذلك تجلت لنا اهميته في الواقع اللغوي وحظي بدراسات علمائنا الاوائل وباحثينا المعاصرين لدرجة "عد" فيها من العلوم المحترقة نظراً لما يتمتع به من مكانة في حياة اللغة باعتباره اساس التعبير عن عواطفنا وفكرنا . . .

ان تأريخ النحو العربي ـ في ضوء نصوصه المدونة ـ يبدو قد مرّ بثلاث مراحل مرتبطة بتطور مفهوم الحضارة في حياة الانسان العربي : مرحلة السماع والفطرة يوم كان النحو هو الاسلوب اللغوي الذي تبناه العرب في التعبير عن افكارهم وتجاربهم المختلفة في عصرهم الجاهلي والذي يكشف الشعر الجاهلي عن جوانب كثيرة منه في دراسة اللغة واللهجة .

كان النحو العربي موجوداً في هذه الحقبة لانه الاسلوب الادبي المعتمد في القصيدة والخطبة والمثل والحكمة والوصايا والمناقرات . وهو اسلوب بعيد كل البعد عن الاجتهاد والعمومية والتطرف والغلو في البحث عن العلة والسبب .

ثم مرحلة التقنين والتدوين يوم بدأ العرب يخرجون من عزلتهم في

شبه الجزيرة العربية ليطلوا على بيئات اخرى جديدة عندما بدأت الفتوح الاسلامية تلعب دوراً جديداً في حياة العرب والمسلمين ، وقد صاحب هذه الاطلالة الحضارية تطور لغوي تجلى في وضع الاسس والقوانين النحوية لتقويم اللسان العربي وحفظ لغته بعيدة عن اللحن والشوائب . فكانت حركة التدوين والبحث عن الشاهد والقياس والفصاحة وجمع النصوص الأدبية الاصيلة من ظواهر هذه المرحلة حيث ظهرت اصالة النحاة واللغويين الاوائل ، كما تصورها لنا آثارهم النحوية ومعالجاتهم المعروفة .

وهنا تظهر مدرسة البصرة بارائها وعللها وعلمائها لتنافسها مدرسة الكوفة منافسة علمية خدمت التراث العربي اللغوي والنحوي خدمة جلى ...

اما المرحلة الثالثة فهي مرحلة التقليد والمنظومات والشروح التي لا تخلو من اثر الفلسفة والمنطق اليونانيين في تحويل النحو العربي من كونه اسلوباً ادبيا الى كونه مصطلحاً منطقياً او فلسفياً معقداً اهتم بالبحث عن الشاهد الصحيح او المختلق وابتعد عن الاسلوب او التعبير ذاته حيث افلست العربية واثرى النحاة . .

والكتاب الذي بين ايدينا ـ الدراسات النحوية واللغوية في البصرة حتى نهاية القرن الثالث ـ عودة الى المرحلة النحوية الثانية ، يسجل احداثها ويرصد بعض ظواهرها بالدراسة والنقد والتحليل ، وقد كان مؤلفه السيد جاسم محسن السعدي دارساً جاداً ، استوعب موضوعه وحدد منهجه ، وكتابه هذا ، كان ثمرة علمية طيبة لجهوده المخلصة في دراسة النحو العربي يوم كان طالباً في كلية اصول الدين التي عودت طلابها على كتابة البحوث وألزمت المتخرج فيها بتقديم «رسالة تخرجه» ايماناً منها بتشجيع البحث

العلمي وتقديراً لجهود طلابها الباحثين من امثال السيد جاسم السعدي فكان هذا الكتاب وغيره من المخطوطات الاخرى التي ستأخذ طريقها الى عالم النشر ، ثمرة علمية طيبة تستحق الاهتمام والتقدير ...

والكتاب جهد علمي طيب وانجاز حسن استطاع صاحبه ، من خلال البحث والنقد والموضوعية ، ان يكون مثالا مخلصاً للباحثين في هذا الميدان من طلاب الحقيقة والعلم .

د . عناد غزوان

مقدمـــة :

مايبعث على التفاؤل ان دراسة العربية ونحوها تنمو وتطرد باستمرار ، فما زال الباحثون يتجهون هذه الوجهة ، وما زالت البحوث تكتب ، وما زال بعضها يأتي بالجديد .

ومبعث التفاؤل من هذه الدراسات ، انها تصور ازدياد العناية باللغة العربية ، بوصفها وعاء الفكر العربى الاسلامى ، ذلك الوعاء الذي حمل القرآن أربعة عشر قرناً ، ومايزال ، وسيبقى .

ومبعث التفاؤل أيضاً ، ان هذه الدراسات ، ومن خلال العناية باللغة العربية ، تعني العناية بالفكر العربى المسلم نفسه ، وتعني أيضاً تباشير نهضة لهذه الامة التي أرادوا لها - وما يزالون - ان تتقهقر وان يقضى على حضارتها وتراثها ، ومن محاولاتهم في القضاء على التراث ، التشكيك في أصالته ، بارجاعهم أغلب هذا التراث الى أصول أجنبية .

وكان علم النحو في مقدمة علوم العربية التي شككوا فيها ، قالوا : أنه من أصل يونانى ، أوسريانى ، أوفارسى ، أوهندى على رأي آخرين .

ومن هذا المنطلق كانت دراسات اللغة والنحو وتاريخهما ، تحتل مكاناً مرموقاً بين دراسات الادب العربي ، ان هذه الدراسات لاتعني تسجيل الوقائع والاحداث التطورية التي مرت بها هـذه العلوم ، بقدر ما هى رصد لظواهر انسانية واجتماعية وعلمية أوجدت الحاجة الى هذه الدراسات ، فانمتها واغنتها ، ومن هذه الظواهر ماأثر في مسير هذه الدراسات ووجهها وجهات تفى بحاجتها من مناهج في البحث والدرس .

خلال القرن الاول الهجري ، وفي نهايته ، بدأت بوادر دراسة اللغة

العربية ونحوها بشكل تواكب مع حاجة المجتمع الاسلامي اليها ، فكانت منبعثة عن عوامل رئيسة هي :

١ ـ عوامل دينية ، تمثلت في المحافظة على القرآن الكريم بالمحافظة على لفظه توخياً لسلامة أحكامه ، فكان نقطه واعجامه ، ثم كان استقلال دراسات النحو واللغة ونموهما .

٢ ـ عوامل قومية ، تتمثل في محافظة العرب على لغتهم من اللحن ، وما يتبع ذلك من دخول الفساد الى أساليبها .

٣ ـ عوامل حضارية ، نتجت عن نمو الفكر العربي الاسلامي ، وعن اتصال العرب بالامم الاخرى وتفاعلهم مع حضارات تلك الامم ، فاكتسب الفكر العربي المسلم طاقات خلاقة أبدعت في كل ميادين المعرفة التي ولجها .

جاء الباحثون المحدثون بآراء قلما اتفقت بشأن هذه الدراسات ، ومع ان الاختلاف في حدود البحث العلمي المحض ، هو دليل حيوية ونضج في الباحثين والبحوث ، إلا أنه ان تعدى حدود البحث العلمي وجاء بنتائج واحكام مبنية على مزاعم وأباطيل ملفقة ومزيفة أحياناً ، كان انذاك مغرضاً ، يبتغي الطعن في الدراسات نفسها ، وفي الامة التي أوجدتها ، وفي العقيدة التي دعت إليها .

ولعل هذه الاختلافات ، غير العلمية ، كانت منطلقة من أحد منطلقات ثلاثة :

أولها مزاعم استشراقية محضة تهدف الى تجريد العقلية العربية المسلمة من ملكاتها الخلاقة ومن قابلياتها الفكرية والعلمية ، وبالتالي اظهارها بمظهر العاجز عن الابداع والخلق ، في محاولات لاثبات

ان دور الحضارة العربية المسلمة ، في الحضارة الانسانية ، لم يكن غير دور الناقل عبر الزمن فحسب .

ان من يتصفح القرآن ، بله قراءته ، لابد وان يلفت انتباهه كثرة الآيات التي تحمل مشتقات العقل والفكر والدعوة اليهما ، ويهوله ان هذا الكتاب كان ـ وما يزال ـ يدعو اتباعه الى عمق التفكير في كل مجالات الحياة ، الفردية والعامة ، الطبيعية والكونية . ويهوله أيضاً انه نزل بين صفوف أمة وصفت بالامية والبداوة ، ومع ذلك فقد ضم بين دفتيه ما يزيد على ثلاثمائة لفظ من مشتقات العلم والتعليم والكتابة وأدواتها في اكثر من سورة من سوره الكريمة . بالاضافة الى اشتمال السور القرآنية على ألفاظ أخرى ذات علاقة بالعلم والتعلم والعقل والفكر* .

فَلِمَ يُستغرب ان تتمثل هذه الامة كتابها ، فتفكر وتبدع وتنمي علوماً تتعلق بلغتها ؟ ، وَلِمَ تطعن محاولاتها تلك ؟ .

ان المستشرقين عرفوا بدقة البحث أحياناً ، بغض النظر عن

---

* ينظر عبد الباقي ، محمد فؤاد ، المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ، القاهرة ١٩٦٨ .

مشتقات « علم »	٧٥٠	آية تقريباً ، ص٤٦٩ـ٤٨٠ .
= « فكر »	٢٠	آية تقريباً ، ص ٥٢ .
= « قرا »	٣٠	آية تقريباً ، ص ٥٣٩ .
= « كتب »	٣٠٠	آية تقريباً ، ص ٥٩١ـ٥٩٥ .
= « صحف »	٨	آيات تقريبا ، ص ٤٠٣ .
= « عقل »	٤٠	آية تقريبا ، ص ٤٦٨ـ٤٦٩ .

العوامل التي تدفعهم الى ذلك ، ولكنهم مع هذه الميزة العلمية حين يأتون الى موضوعات جوهرية تمس العقلية العربية المسلمة في أسسها وتفتقر الى الاصول المعقوله لابتنائها على مزاعم مفترضة ، حينذاك ، نراهم يرددون هذه الاباطيل ويبنون عليها أحكاماً ، فيأتون بنتائج تطعن الفكر العربي المسلم في قابليته ، أما المنصفون منهم .... فيسكتون ، ولعل اسطورة حنين بن اسحاق وصلته بالخليل وافتراض منطقة النحو العربي وتأثره بما ترجم حنين ، دليل بيّن على ذلك*.

وثاني المنطلقات التي أسهمت في اختلاف الآراء ، هو التاريخ الاسلامي نفسه ، فالتاريخ المدون لا يعدو كونه محض ركام من التراث ، وغالباً ما يجد الباحث نصوصاً وأخباراً تتساوق مع ما يهدف إليه وما يرتئيه ، سواء تجرد رأيه من الغرض أم اتسم بالسمات العلمية .

ان التاريخ العربي الاسلامي ليس تاريخاً بالمعنى الدقيق ، فهو ركام من نفايات القصور ومباذل المتنفذين والحكام ، وأخبار عن الجواري والقيان ، كثيرة .

ان ما في التاريخ المدون من هذا الركام اكثر بكثير مما فيه من تسجيل لوقائع وأحداث غيرت مجرى هذه الامة في مسير التاريخ الانساني .

وكان المؤرخون حاملوا مسؤولية هذا الارباك ، لقد واكبوا أدباء وشعراء تلك العصور في التزلف الى السلطة ، ومسح أعتابها بحرمة

---

* ينظر الفصل الثاني ص٦٩ـ١٠٨ .

الكلمة وكرامة القافية .

ان النظرة العابرة الى ما دبجه المؤرخون في مقدمات كتبهم ، وما رصفوه من ألقاب الحكام الذين رفعوهم فوق مصاف البشر أحياناً ، ان مثل تلك النظرة تعطينا فكرة كافية عما وصلت إليه حرمة التاريخ من امتهان ومن مذلة .

إنها حقيقة مرة تجرح لباة الحرف وتجعل الباحث يغص بتاريخ امته .

لقد كان تاريخنا ما أرادته القصور ، وليس ماأرادته الحقيقة .

لكل هذا صار الباحث يجد في التاريخ خبراً أو رواية تنسب لاكثر من مصدر ، وأحياناً يتبدل أبطالها ، وأحياناً تنسب لاكثر من عصر ، فيصير الباحث كحاطب ليل أحياناً ، فيعتمد في بحثه أخباراً وروايات قد لا تحظى بالثقة عند غيره ، ولكل مبرراته .

ومن هنا أيضاً ، يجد الباحث الصعوبة في استخلاص وقائع يعتمدها في كتابة بحثه ، والمطلوب منه ان يكون ناقداً في نفس الوقت ، ونادراً ما يقتنع بصحة الواقعة ، ونادراً ما اقتنعت .

ثالث المنطلقات في اختلاف الآراء ، هي نزعة التقليد والتأثر بافكار الآخرين ، ان بعض الباحثين يثبتون أفكار وآراء غيرهم دون ان يكلفوا أنفسهم مشقة الرجوع الى المصادر التي استقى الرأي منها ، فاحياناً يكون صاحب الرأي الأول قد استقى رأيه أو أصدر حكمه بناء على خبر فهمه كما يريد ، وأحياناً يكون المصدر الأول محض رواية أو خبر واه يحمل سمات ودلائل الوضع والنحل كلها .

لقد ارتأيت أن يكون هذا البحث في خمسة فصول وتوطئة أو تمهيد لها ، تناولت فيه بالبحث ، مسألة نشوء البصرة وتمصيرها ، والمؤثرات الحضارية في نموها ، ثم تنافسها مع الكوفة .

وبحثت في الفصل الاول ، اللحن وأثره في التفكير في دراسة اللغة وأساليبها ، وتعريب الدواوين الذى أوجد حركة تعليمية ملحوظة ، ثم نمو الدراسات القرآنية واللغويـــة وتشعبها الى الاتجاهات الدراسية المعروفة .

وكان الفصل الثاني مكرساً لرصد الاثر الذي خلفته الترجمة وعلوم الفقه والاعتزال ، كعوامل أثرت في مسير دراسات اللغة والنحو .

أما الفصل الثالث فقد بحثت فيه آثار الدارسين الاول ، من آراء ومؤلفات كما درست أثر علاقاتهم بالسلطة وبعضهم ببعض ، ثم خلصت الى الاشارة الى بعض المظاهر التربوية في نشاطهم العلمي .

وفي الفصل الرابع بحثت المناهج التي احتذاها الدارسون البصريون ، فعينت مصادرهم ومعاهدهم واتجاهاتهم الدراسية ، كما بحثت بعض المنطلقات العقلية في الاتجاه البصري ، وأشرت الى بعض مظاهر نشاطهم العلمي .

وكان الفصل الخامس خاصاً باثبات اصالة النحو العربي ، وبحث المسالك العقلية التي سلكها الدارسون المتأخرون في فلسفتهم لهذا العلم وتعقيدهم إياه .

لقد كان منهجي في هذا البحث محض رصد للظواهر والمؤثرات التي أملت على الدارسين أن ينهجوا منهج العقل في دراساتهم فكان البحث تاريخيا اكثر منه نحوياً ، على ان هذا لايعني ان البحث قد خلا من

بعض اللمسات والافكار النحوية على بساطتها ، ولست أزعم انني ألممت بكل جوانب الموضوع بحثاً ، فالموضوع متعدد الجوانب ومتشعب المسالك وان كان لي من فضل فهو اني ولجته مع الوالجين .

اتبعت كلية أصول الدين سنة محمودة تهدف الى رفع المستوى العلمي لخريجيها ، فتفرض عليهم ـ كجزء من المنهج الدراسي وشرط لنيل الشهادة ـ كتابة بحث علمي يتعلق بما تعنى به الكلية من علوم اللغة والقرآن .

وكان هذا الكتاب ـ في أوليته ـ رسالة تخرج ، حظيت باشراف الدكتور مهدي المخزومي ، فنالت من علمه ومن خبرته ما قوّمها وجعل فيها الامل في افادة الدارسين .

ولأن الجمود لم يكن يوماً من سمات الدرس ومستلزماته ، فقد دخل عليها التطوير والتعديل ، اكثر من مرة في اكثر من ثلاثة أعوام ، حتى باتت بهذا الشكل الذي لا أزعم له الكمال .

لقد اعتاد الباحثون ان يصدروا مقدمات بحوثهم أو يذيلوها ، بشكر الاستاذ المشرف ، عرفانا بجميله وتقديراً لفضله .

وحين أقف هذا الموقف ، لا أجدني في موقف المقلد ، إن شكري لاستاذي وامتناني منه ، لم يكن مبعثه الاشراف على البحث وتصويبه فحسب ، لقد حظيت باهتمام خاص منه ، فعلمني الكثير ومايزال معلمي ، ان بحوثه وآراءه تعوض عن افتقاد الصلة بين « المنصة » و« الرحلة » الى حد كبير .

واجد من العقوق أن أقصر الشكر والامتنان على استاذي المشرف وحده ،

لقد كان كل اساتذتي فضلاء ، وآمل أن أكون ـ بهذا الكتاب ـ قد قدمت لهم شكراً وبيّنت لهم فضلا ، بالفعل لا بالقول ، فليس أبلغ في شكر المعلم وبيان فضله ـ وأنا معلم ومازلت ـ أن يرى بعض طلابه يوالي طريق البحث والدرس .

إن هـذا التعميم ، ليس بمانعي أن أخص بعض اساتـذتي الآخرين بامتناني منهم وعرفاني بجميلهم .

كان لاستاذي الدكتور عبد الله القياض ، فضل اختيار البحث وتوجيهي فيه .

وكان لاستاذي الدكتور عناد غزوان اسماعيل ، جميل مراجعة الكتاب وكتابة مقدمته .

فلهما بالغ شكري وامتناني .

وأجد من الجحود عدم الاشارة الى فضل اخوة لي ، لولاهم لكنت لاقيت المشقة والعنت ، إن أخي الاستاذ حامد الخفاجي ـ أمين مكتبة الكندي العامة ـ تجاوز حدود واجبه الرسمي بكثير ، في تهيئة المصادر ثم في اسباغ خبرته المكتبية على مراحل اخراج الكتاب ، وتحمل أخي الاستاذ نافع حمود السباهي ، مشقة المشاركة في التصحيح ، فلهما شكري وامتناني .

ويسعدني ان اختم صحيفة شكري ، بذكر فضل وزارة التربية ولجنة تعضيد النشر فيها ، على المساعدة القيمة التي قدمت لي ، لنشر هـذا الكتاب .

وختاما . . . .

ابتهل الى العلي القدير ، ان يعزّ امتي ، وان يصون حرمة لغة القرآن ويسدد خطى العاملين من اجلها ، علماءً ، واساتذة ، وطلابا ، وان يجعلني منهم ، لطلب علم ، او بحثٍ عن معرفة .

انه سميع مجيب .

بغداد ـ الكرادة الشرقية
منتصف شعبان / ١٣٩٣هـ
١٤ / أيلول / ١٩٧٣ م

جاسم السعدي

فهرس مفصل بمواد البحث

تقديم الدكتور عناد غزوان اسماعيل
مقدمة المؤلف
الفهرس المفصل

توطئة

من ٣ ـ ٣٥

البصرة ـ تمصيرها ـ موقعها ونموها ـ ازدهار البصرة ـ تفاعل الحضارات فيها ـ البصرة والكوفة ـ تنافس المصرين في الميدان العلمي ـ بعض صور الخلاف ـ المسألة الزنبورية ـ امتزاج الثقافات في البصرة ـ بعض مظاهر الامتزاج ـ الموالي وعلوم اللغة ـ دراسات اللغة العربية .

الفصل الاول

من ٣٦ ـ ٦٨

اللحن ، والدراسات القرآنية

شيوع اللحن في بيئة البصرة ـ الحث على تجنب اللحن ـ تعريب الدواوين والدراسات البصرية ـ الدراسات القرآنية ـ الاتجاه الاول : القراء والقراءات في البصرة ـ الاجتهاد النحوي في بعض قراءات البصريين ـ الاتجاه الثاني : الفقهاء والمحدثون في البصرة ـ الاتجاه الثالث : العناية بلفظ القرآن واعرابه ـ نقط أبي الاسود ـ نقط نصر ـ عصر النقط والاعجام ـ اصالة النقط ـ انتشار النقط والاعجام ـ اشارات الخليل ـ الفقهاء والمحدثون والعلامات .

الفصل الثاني

من ٦٩ ـ ١٠٨

مؤثرات في الدراسات النحوية واللغوية

الترجمة والدراسات البصرية ـ الترجمة في القرن الثاني ـ الترجمة في القرن الثالث . عصر المأمون ـ مصادر الترجمة ـ اشهر المترجمين ـ ابن المقفع ـ حنين بن اسحاق ـ حنين عند القدامى ـ حنين عند المحدثين ـ حنين والجاحظ ـ حنين والمأمون ـ المترجمون والخليل بن أحمد : ابن المقفع والخليل ـ حنين والخليل ـ صدى هذا الزعم عند المحدثين ـ الدراسات النحوية والفقه ـ الحاجة المتبادلة بين الفقه والنحو ـ حاجة الفقه إلى النحو ـ القياس بين الفقهاء والنحاة ـ الاعتزال وعلم الكلام والدراسات البصرية ـ اثر الاعتزال وعلم الكلام في علوم اللغة .

الفصل الثالث

من ١٠٩ ـ ١٤٥

الدارسون والدراسات النحوية

أبو الاسود ـ عبدالله بن أبي اسحاق ـ أبو عمرو بن العلاء ـ عيسى بن عمر ـ الاخفش الاكبر : أبو الخطاب ـ يونس بن حبيب ـ الخليل بن أحمد ـ صلة الخليل بالحضارة واللغة اليونانيتين ـ سيبويه ـ أبو عبيدة ـ الاصمعي ـ الاخفش الاوسط : سعيد بن مسعدة ـ الجرمي ـ المازني ـ المبرد .

علاقات الدارسين واثرها في الدراسات ـ علاقاتهم بالسلطة ـ مظاهر تربوية في نشاط الدارسين .

الفصل الرابع

من ١٤٦ ـ ٢٢٥

منهجية الدراسات البصرية ومنحاها التعليمي

مصادر الدراسات البصرية في اللغة والنحو : ـ القرآن الكريم ـ الشعر الجاهلي والاسلامي ـ الامثال والحكم ـ الوافدون من البدو ، والفصحاء ـ القياس .

معاهد الدراسات البصرية : الكتاب ـ المسجد ـ الاسواق ـ المجالس الخاصة ـ المناظرات ـ البادية .

الاتجاهات النحوية ـ تاريخها ـ الخصائص المنهجية في الاتجاه البصري: القياس ـ تاريخه ـ السماع ـ التجويز ـ التأويل والطرح ـ منطلقات عقلية في الاتجاه البصري ـ الدارسون وشواهد النحو ـ مظاهر نشاط الدارسين : صيانة الاسلوب اللغوي ـ تعليل الظواهر اللغوية ـ تعليل الظواهر النحوية وتعدد الاراء ـ دراسة الشعر والعناية به ـ الدارسون والشعر ـ علاقات الدارسين بالشعراء ، تمحلات دارسي الشعر .

التأليف في اللغة والنحو ـ المؤلفات الاولى ـ كتاب سيبويه .

الفصل الخامس

من ٢٢٦ ـ ٢٨٤

اصالة النحو العربي ومسالكه العقلية

واضع النحو ـ روايات وضع النحو ـ رأى المحدثين في واضع النحو ـ رأي ابراهيم مصطفى وعبد الوهاب حموده ـ أبو الاسود والنحو العربي ـ النحو العربي ونحو الامم الاخرى ـ دراسة الدكتور حسن عون ـ رأي الاستاذ عبد الحميد حسن .

اصالة النحو العربي ـ نمو النحو واصطلاحاته ـ المسالك العقلية في الدراسات النحوية ـ تعقيد النحو ـ نحاة تأثروا بالمنطق ـ المنطقيون والنحو ـ منطقة القياس النحوي وفلسفته ـ مسألة جمع طلحة ـ قياس ابن أبي اسحاق ـ نماذج من قياساته ـ قياس الخليل وسيبويه .

العلل والعوامل النحوية ـ تطور البحث في العلة ـ فكرة العامل في النحو ـ الاعراب ودلالته الوظيفية .

حصيلة البحث ٢٨٥ ـ قائمة الفهارس ٢٨٨ ـ مصادر البحث ومراجعه ٢٨٩ ـ فهرس الآيات القرآنية ٣١٠ ـ فهرس الشعر ٣١٣ ـ فهرس الاعلام ٣١٧ ـ فهرس الشعوب والقبائل والجماعات ٣٢٨ ـ فهرس الاماكن والبقاع ٣٣١ .

تصويب

بالرغم من الجهود التي بذلت في اخراج الكتاب وتصحيح تجاربه ، فقد وقعت بعض الاخطاء والهنات ،

بعضها لا يخفى عن فطنة القاريء ، ومنها يتوجب تصحيحه قبل قراءة الكتاب .

ص	س	الخطأ	الصواب
٥	١	حابه	شابه
٢٠	٥	وسألة	مسألة
٢٨	٨	تعصية	تعصبه
٤٦	١٤	تَمَنْ°	تَمَت
٤٨	١١	واللغةالنحو	اللغةوالنحو
٦١	٢	والتالي	وبالتالي
٦١	١٠	المتلويين	المتلوين
٧٧	١١	ارسطوا	ارسطو
٨٧	١١	فقدقال	فقال
٨٧	١٦	ابوالحارث	ابو الحارث
٩٤	٢١	باختار	باخبار
٩٥	١٨	طريقة	طريقة
٩٦	١٠	ازداجية	ازدواجية
٩١	١٨	بغـدا	بغداد
٩٧	٧	حنين ابن	حنين بن

ص	س	الخطأ	الصواب
٩٨	١	والفقهية	الفقهية
٩٩	٣	والبصرةالكوفة	البصرةوالكوفة
١١٦	١٣	الامالي	الامامي
١٢٠	١٥	يفعم	يفحم
١٢٤	٧	العروف	العروض
١٢٤	١١	موضع	مواضع
١٥٨	٦	لسانه	لسان
١٦١	٢	بنزلة	بمنزلة
١٦٢	١	من غير	عن غيره
١٦٨	٤	عذبتهن°	عذبتهن°
١٩٥	١١	عليم	عليهم
٢٢٧	٢	ان علىان	على ان
٢٨٥	٥	متصرف	متصرت
٢٨٥	١٧	دراساتهمفي	فيدراساتهم

جاسم محسن السعدي

الدراسات النحوية واللغوية في البصرة

ومنهجها التعليمي

ساعدت وزارة التربية على طبعه

١٩٧٣ م

مطبعة النعمان ـ النجف الاشرف تلفون ٣٢٠٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة

البصرة :

قالوا ان معناها الارض الغليظة الرخوة ، الضاربة الى البياض أوفيها بياض (١) ، وقال الحموي ان « البصرة » في كلام العرب ، هي الارض الغليظة ، ونقل عن قطرب قولـــه : « البصرة [هي] الارض الغليظة التي فيها حجارة تقلع وتقطع حوافر الدواب ... وقال غـــيره [هي] حجارة رخوة فيها بياض [أو] حجارة صلاب ... وانما سميت ، بصره لغلظها وشدتها كما تقول ثوب ذو بَصْر وسقاء ذو بَصْر إذا كان شديدا جيداً (٢) » ، ونقل أيضاً حكاية عن « شرحبيل بن حسنة * انه قال :

(١) ابن منظور ، جمال الدين ، لسان العرب ج ٤ بيروت ١٩٥٤ ، باب بصر ص ٦٧ ، الفيروزآبادي ، مجد الدين ، القاموس المحيط ، ج١ القاهرة ١٩١٣ ، فصل الباء باب الراء ص ٣٣٣ .

(٢) ياقوت بن عبدالله ، معجم البلدان ج١ طهران ١٩٦٥، ص ٦٣٦ .

* يبدو هذا القول على جانب من الضعف فشرحبيل بن حسنة بعثه أبوبكر مع من بعث الى الشام ولم يمر بالبصرة كما لم يشترك في فتحها « شذرات الذهب ٢٤/١ » وتوفي في الشام عام ثمانية عشر للهجرة بطاعون عمواس « شذرات الذهب ٣٠/١ » .

انما سميت البصرة لانها فيها حجارة سوداء صلبة وهي البصرة وانشد :

إن كنتَ جَلمودَ بَصْرٍ لاأوبِسْتهُ أوْقِد عليه وأحميه فينصَدِعُ

وقال الطرماح :

مؤلفة تهوى جميعا كما هَوَى من النيق فوقَ البصرةِ المتطحْطِحُ

وهذان البيتان يدلان على الصلابة لا الرخاوة (١) » .

وروى القالي ان أباحاتم كان قد سئل عن قول العامة « البَصِيره » بكسر الصاد ، فقال : « هو خطأ ، انما سميت البصرة للحجارة البيض التي في المربد وانشد :

سقى البصرةَ الوسمَيُّ من غير حِبَّتِها فانَّ بها مِنِّي صدىً لايَبَرِيئُها(٢)

فنجد من هذه الاقوال ان معنى البصرة قد تردد بين الارض الرخوة او الغليظة الرخوة الضاربة الى البياض ، ومن الطبيعي أن تكون أرض البصرة كذلك لوقوعها في نهاية السهل الرسوبي المحاذي لحافة الصحراء ، وطبيعي ان تختلط الصخور الكلسية المنتشرة بين رمال الصحراء بالطمى الرسوبي فتصبح الارض رخوة فيها غلظة تضرب الى البياض ، وما زالت البصرة تحمل بعض هذه الصفات في المنطقة المعروفة حالياً باسم منطقة الزبير .

قد تكون البصرة تكبيرا لاسم القرية التي عرفت هناك قبل الفتح باسم « البَصِيرة » (٣) فان صح ذلك تبقى المناسبة موجوده بين الاسم والمسمى .

من الفضول الجزم باسبقية التمصير على التسمية ، او تساوقهما ، فهناك ثمة قرائن وآراء توحي بخلاف ذلك ، لقد عرف العرب مدينة

(١) الحموي معجم البلدان ، ٦٣٧/١ .

(٢) اسماعيل بن القاسم ، ذيل الامالي والنوادر، القاهرة ١٩٢٦ص٢٠.

(٣) الحموي ، معجم البلدان ، ٦٣٧/١ .

اخرى حايه اسمها اسم البصرة وتقدمتها زمناً ، هي بَصرى الشام ، أما ما يقال عن ان البصرة « تعريب (بس راه) لانها كانت ذات طرق كثيرة انشعبت فيها الى اماكن مختلفة » (١) وهو مايفيده اللفظ الفارسي « بس راه » فقول يحمل الضعف في مضمونه لانه يتناول الشبه الصوتي بين الكلمتين ، كما انه يتضمن اطلاق التسمية بعد التمصير والنمو ، وهو أمر بعيد الاحتمال .

تمصيرها

يكاد يجمع المؤرخون على ان مصر البصرة وفاتحها هو عتبة بن غزوان احد قواد عمر بن الخطاب « رض » فكانت « من اقدم المدن التي بناها المسلمون ، او هي أقدمها ولاتزال باقية الى الآن (٢) ».

ذكروا ان عتبة نزل البصرة في اربعين اوثمانمائة رجلا ، واختطها « وكانت تسمى أرض الهند (٣) » ، أوانها مصرت بموقع الخريبة التي « عرفت فيما بعد بانها ضاحية من ضواحي البصرة (٤) » ، وقالوا ان عتبة كتب لعمر بأن لابد للمسلمين من منزل « يشتون بـه إذا شتوا ويكنسون فيه اذا انصرفوا من غزوهم [فاجابه بأن يجمع أصحابه] في موضع واحد وليكن قريباً من الماء والرعي »(٥) وان يكتب اليه بصفته

(١) الحموي ، معجم البلدان ، ٦٣٧/١ .

(٢) زيدان ، جرجي، تاريخ التمدن الاسلامي ،ج٢القاهرة١٩٥٨ص١٧٦.

(٣) ابن الفقيه ، أحمد بن ابراهيم الهمذاني ، مختصر كتاب البلدان ليدن ١٣٠٢ هـ ص ١٨٨ .

(٤) دائرة المعارف الاسلامية ، مجلد ٦٦٩/٣ ، مادة البصرة .

(٥) البلاذري ، أبوالحسن ، فتوح البلدان ، القاهرة ١٩٥٩ ص ٣٤١ .

وذكـــر مثل ذلك الحموي أيضاً (١) ، ولكنه ذكر رواية اخرى تختلف بعض الاختلاف ، جاء فيها ان المسلمين بعد ان غزوا توّج وتوبندجان وطاسان كتبوا الى عمر ان يتخذوا مصراً لهم بطاسان فمنعهم لان دجلة يحجزهم عنه قائلا : « ان بيني وبينكم دجلة ، لاحاجة في شيء بيني وبينه دجلة ان تتخذوه مصرا ثم قدم عليه رجل من بني سدوس .... فقال يا أمير المؤمنين اني مررت بمكان دون دجلة فيه مصر ومسالح للعجم يقال لـه الخريبة ويسمى أيضاً البصيرة .. فاعجب ذلك عمر وكانت قد جاءته أخبار الفتوح من ناحية الحيرة [وغيرها وان خالد ابن الوليد قد فتح الخريبة] ... وخلف بها رجلا من بني سعد بن بكر ابن هوازن يقال له شريح بن عامر ... [و] انه أتى نهر البهراة ففتح المصر صلحاً ... [ولما بلغت عمر هـذه الاخبار عن] البصرة رأى ان يوليها رجلا من قبله فولاها عقبة [كذا] بن غزوان ... وكان من المهاجرين الاولين . . . وقال له عمر : ان الحيرة قـد فتحت فأت انت ناحية البصرة واشغل من هناك من أهل فارس والاهواز وميسان عن امداد اخوانهم » (٢) .

ويظهر في هذه الرواية بعض التناقض ، فخالد بن الوليد كان في اليرموك حين وفاة أبي بكر، كما انها تنص على اسم البصرة ولما تمصر بعد .

وقالوا أيضاً ان عمر استعمل عتبة الـــذي اختط البصرة « وكانت تسمى قبل ذلك الأبلة وبنى المسجد .. . » ، (٣) وأن عتبة شهد بـدراً

(١) الحموي ، معجم البلدان ، ٦٤١/١ .

(٢) أيضاً ٦٣٧/١ ـ ٦٣٨ .

(٣) ابن سعد ، محمد ، طبقات بن سعد ، ج٣ ليدن ١٣٢٥ هـ ص ٦٩ .

وتوفي في خلافة عمر (١) ، كذلك ذكروا ان عتبة مرّ « بموضع المربد فوجد فيه الكدان * فقال هذا هو البصرة انزلوها باسم الله .. » (٢) .

لايعنينا الترجيح بين هذه الروايات بقدر مايعنينا بيان العوامل التي أسهمت في تمصير هذه البلدة ، ولقد كانت هذه العوامل عسكرية محضة تمثلت في رغبة السلطة بانتفاء العوائق الطبيعية بين المدينة ، العاصمة ، والمصر الجديد فأريد لهذا المصر أن يكون قاعدة تموين ونجـده وظهيراً لحملات فتـح العراق التي سارت على مرحلتين ، كما يبدو ، اتسمت المرحلة الاولى بالغارات الخاطفة في عهد أبي بكر « رض » ، ثم استكملت في المرحلة الثانية بالحملات المنظمة في عهد عمر (٣) « رض » ، فتـم اختيار هذا الموضع بسبب من هذه العوامل . وبالتأكيد ، لم يدر بخلـد عمريها الاوائل انها ستكون مدينة علم ومعهد ثقافة ، يوماً ما .

واختلف المؤرخون ، أيضاً ، في عام تمصيرها وكيفية ذلك التمصير ، قالوا انها بنيت في ربيع سنة أربع عشره أو ربيع سنة ست عشرة (٤)، وقالوا أيضا انها اختطت عام أربعة عشر فبنيت منازلها ومسجدها بالقصب وكانوا ينزعون القصب ويحزموه حين الغزو حتى بنا أبو موسى الاشعري

(١) البكري ، أبوعبيد ، سمط اللآلىء ج١ القاهرة ١٩٣٦ص٧٧ .

* الكدان : ككتاب شعبه في الحبل تفضل في العقد .

(٢) الدينوري ، ابن قتيبة ، المعارف ، القاهرة ١٩٣٤ م ص ٢٤٦ .

(٣) الراوي ، ثابت اسماعيل ، تاريخ الدولة العربية ـ خلافة الراشدين والامويين بغداد ١٩٧٠ ص٢٩ .

(٤) الطبري ، محمد بن جرير ، تاريخ الامم والملوك ، ج٣ القاهرة ١٩٣٩ ص ٨٩ ...

مسجدها ودار الامارة بلبن وطين (١) ، ونسبوا اليه حفر نهر الابلة (٢) ، وذكروا ، أيضا ، انها بنيت قبل الكوفة بستة أشهر وان أبا موسى ولى عليها عام «١٦»هـ أو «١٧»هـ (٣) .

لعل هذا الاختلاف في تمصيرها وتاريخه يرجع لاحد عاملين ، احدهما يتعلق بتعريف المصر وحدّه ، فالمصر « عند أهل اللغة [هو] كل ما حجز بين جهتين مثل البصرة .... [وعند الفقهاء] ، كل بلد فيه جامع يقام فيه الحدود ويحلّه أمير ويقوم بنفقته » (٤) .

أما العامل الثاني فهو يتعلق بهيئة المصر نفسه ، فحين ذكروا ان بيوتها ومسجدها كانت قد بنيت بالقصب أول الأمر شأنها شأن أي بلد نام ومن ثم استقرت فيها جماعات غير غازية مما تطلب منها مساكن ثابتة ومستقرة فبنيت بيوتها ومسجدها باللبن والطين ، فنظر بعض المؤرخين الى هيئتها الاولى وأرخوا بها ونظر البعض الآخر الى هيئتها الثانية وأرخوا بها كذلك . واكاد أميل الى العامل الأول ذلك ان البصرة اشتهرت ـ فيما بعد ـ بالخلاف في كافة المجالات ومنها التاريخ الذى لم ينضج ويتم تدوينه حين تمصيرها بل دوّن ، بعد نشوء المدارس والمذاهب والاجتهادات ومنها تعريف المصر وحدّه ، ذلك ان الولاة لم يكونوا مقيمين فيها دائما وغالبا ما ضمت ، مع شقيقتها الكوفة ، تحت حكم وال واحد ، في

(١) البلاذرى ، فتوح البلدان ٣٤١ـ٣٤٢ . الحموى ، معجم البلدان ١/٦٤٠ ـ ٦٤١ .

(٢) الجهشيارى ، محمد بن عبدوس ، الوزراء والكتاب ، القاهرة ١٩٣٨ ص ١٩ .

(٣) الحموى ، معجم البلدان ١/٦٤٠ ، ابن الفقيه . مختصر البلدان ١٨٧ .

(٤) المقدسي ، محمد بن احمد ، أحسن التقاسيم ، ليدن ١٩٠٦ ص ٤٧ .

العصر الاموي خاصة ، مع ان الولاة الذين حكموها الى نهاية العصر الاموي كانوا قد بلغوا سبعة وثلاثين والياً (١) .

موقعها ونموها :

كانت البصرة وصنوها الكوفة من أوائل الامصار التي مصرها المسلمون وقد راعوا في موقعها ألا تكون ثمة حواجز طبيعية تفصل بينهما وبين حاضرة الخلافة في المدينة بالحجاز، ولهذا السبب رفض الخليفة الثاني(رض) ألا يمصر المصر المقترح في الجانب الشرقي من دجلة .

وصفها اليعقوبي فقال :« هي مدينة مستطيلة مساحتها على أصل الخطة التي اختطت عليها في وقت افتتاحها في ولاية عمر بن الخطاب .. فرسخين في فرسخ »(٢)، ومن الطبيعي ان تكون المدينة مستطيلة الشكل فجغرافية المكان تفرض هذا الشكل ، أما أن تكون المدينة ومنذ اختطاطها ، بمساحة فرسخين في فرسخ فأمر بعيد عن الاحتمال ، فقد ذكروا ـ كما مر بنا ـ عن سكانها الأول انهم كانوا أربعين رجلا أوثمانمائة على قول آخر ، ومثل هذا العدد الضئيل يكاد يضيع في مثل هذه المساحة ، خاصة وان المصر روعي في تمصيره أن يكون قاعدة عسكرية في وسط معاد مما يتطلب التكثف في السكنى بغية توفير الامن له ، وهذه المساحة التي ذكرها اليعقوبي من الممكن أن تستوعب عدة ألوف من السكان ، ان لم نقل عشرات الالوف الأمر الذي لم تبلغه البصرة ولا غيرها من الامصار حين اختطاطها ، ولو سلمنا جدلاً لوجدنا انها لم تكد تنمو حتى عهد عمر بن عبد العزيز ، أي

(١) الراوي ، ثابت اسماعيل ، العراق في العصر الاموى ، بغداد ١٩٦٥ ص ٢٨٨ .

(٢) اليعقوبي ، أحمد بن واضح ، البلدان ، النجف ١٩٥٧ص٨٠ .

ما يزيد على ثمانية عقود من السنين ، قال الحموي :« قال يزيد الرشك : قست البصرة في ولاية خالد بن عبد الله القسرى [في عهد عمر بن عبد العزيز] .. فوجدت طولها فرسخين وعرضها فرسخين إلا دانق » (١) ، فلو أخذنا هذا النص بعين الاعتبار لوجدنا ان عرضها وحده قد ازداد بما يخالف طبيعة الاشياء مخالفة صريحة .

المهم ان هذه المدينة نمت وكان من أوائل سكانها بعض الصحابة وكثير من التابعين ، ذكر ابن سعد خمسين ومائة صحابي ـ ١٥٠ ـ نزلوها واستوطنوها منذ تمصيرها وكان منهم عاصم أبونصر بن عاصم الليثى وعتبة ابن غزوان وآخرون (٢) ، وكان معظم سكان البصرة في عهدها الاول ينتمون الى قبائل عدنانية فاكثرهم « من ربيعة ومضر » (٣) ، وبطبيعة الحال خالطتهم قبائل عربية أخرى من القحطانية ، ويبدو انهم كانوا قلة ، منهم بنو أسد بن شريك من أزد القحطانية ، « وكانت لهم خطة في البصرة يقال لها خطة بني أسد وليس بالبصرة خطة لبني أسد بن خزيمة »(٤)، وعلى هذا كان يغلب على مجتمع البصرة الأول الطابع البدوى ، يؤكد ذلك إنهم لم يعرفوا الارز أول ما رأوه وظنوه سماً كما « لم يكن بينهم أحد يحسب إلا زياد فولاه [عتبة] قسم الغنائم (٥) » .

(١) معجم البلدان ٦٤٤/١ .

(٢) الطبقات جـ٧ قسم الاول ص٦٣ .

(٣) حسن ، ابراهيم ، تاريخ الاسلام السياسي ٥١٧/١ .

(٤) كحالة ، عمررضا ، معجم قبائل العرب ، جـ١ بيروت ١٩٦٨ص٢٤ .

(٥) الحموى ، معجم البلدان ، ٦٣٨/١ ـ ٦٤٠ .

ازدهار البصرة :

نمت هذه المدينة باطراد طيلة العصر الراشدى والاموى ونالت خلال العصر العباسى كثيراً من الاهتمام يوم بنا لها المنصور سوراً وخندقاً (١) لحمايتها من الغارات . وقد وفدت إليها جاليات أخرى كثيرة غير عربية ، من قوميات وأجناس متعددة بالاضافة الى تردد كثير من عرب الامصار الاخرى للتجارة (٢)، ويبدو إن حسن موقعها الجغرافي وطبيعته التي جعلتها في مفترق طرق كثيرة تصل بين الهند والشام من جهة وبين فارس والجزيرة من جهة أخرى (٣) ، أدى بها الى النمو السريع والى الازدهارالاقتصادي المرموق فجعلها ذلك مطمح سكنى للكثيرين حتى ، قال قائلها بعد عقود قليلة من عمرها : « نحن اكثر .... ساجاً وعاجاً وديباجاً وخراجاً » (٤) ، ولا يتأتى هذا إلا نتيجة للازدهار الاقتصادى المبني على وفرة التجارة ونشاطها ، والنشاط التجارى بطبيعته يتطلب جواً من الاستقرار والطمأنينة وهذا لا يكون إلا بالابتعاد عن الحزازات القبلية والرجات السياسية بالاضافة الى سيادة الروح المادية في العلاقات الاجتماعية . ومن هنا كان التوازن بين الطبقات والعناصر العرقية في البصرة متوفراً الى حد ما ، ولعل هذا يفسر لنا ما ذكر من أن أغلب الموالي اتجهوا لسكنى البصرة (٥) ، أما

(١) أبو الفداء ، عماد الدين اسماعيل صاحب حماه ، المختصر في اخبار البشر، جـ٢ القاهرة (لا.ت) ص٦ .

(٢) حسن ، ابراهيم ، المصدر السابق جـ٥١٧/١ .

(٣) المخزومي ، د . مهدى ، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، القاهرة ١٩٥٨ص٢١ .

(٤) ابن الفقيه ، مختصر البلدان ، ١٨٧. (٥) المخزومي ،ن.م،ص١٤ـ١٦ .

ما ذكر من ان البصرة اشتغلت بالخصومات والثورات (١) ، فأمر ينفيه تاريخ المدينة نفسها إذا ماوُزنت بالامصار التي عاصرتها واشتركت معها باكثر من آصرة كالكوفة مثلا .

إن هذا الازدهار لا نراه يبرر المبالغات التي حشا بعض المؤرخين كتبهم بها ، فعلى سبيل المثال ، جاء في دائرة المعارف الاسلامية ان نفوسها عام ٥٠هـ قد قاربت ثلاثمائة ألف نسمة (٢) ، وقبلها ذكر الحموى ان أحد الذين ولاهم يوسف بن عمر ديوان جند البصرة « قال : نظرت في جماعة مقاتلة العرب بالبصرة أيام زياد فوجدتهم ثمانين ألفاً ووجدت عيالاتهم ماية ألف وعشرين ألف عيل » (٣) ، وهذا العدد من العرب فقط ، ولاشك ان عدد السكان بموجب هذه الرواية يتجاوز مئات الالوف .

ان المدة بين تمصير البصرة وولاية زياد لاتزيد على العقدين من السنين بكثير، ومن المستبعد ان ينمو بلد مثل هذا النمو بمثل تلك المدة . كما أن المدن القديمة ـ قبل عصر الثورة الصناعية وتوفر وتسهيل الخدمات والمواصلات ـ لم تكن تتجاوز بضع عشرات الآلاف ، كثيراً ، وهذا ما قرره واكده علماء الاجتماع المعاصرون ، كل ذلك يدخل مثل هـــذه الروايات في نطاق المبالغات التاريخية .

تفاعل الحضارات في البصرة :

كانت البصرة عربية التمصير والنزل أول أمرها ، وغلب على حياة مجتمعها ، يوم ذاك ، النمط البدوى ، وباختلاط عربها بالجاليات الاخرى

(١) الشايب ، د.أحمد ، تاريخ الشعر السياسي ، القاهرة ١٩٦٦ص ٢٥٤.
(٢) ج٣/٦٧٠ مادة البصرة .
(٣) معجم البلدان ، ١/٦٤٤ .

تولدت أنماط حضارية مختلفة، شملت كل أوجه الحياه الاجتماعية فيها ، قيل إن اعرابياً من تميم دخل البصرة ونظر أهلها وزيهم وأنماط حياتهم فرأى البون بينه وبينهم شاسعاً ، فقال :

ما أنا بالبصرةِ بالبَصريّ ولا شبيهٌ زيهُم بزيّ (١)

ويعزو الدكتور المخزومي ذلك الى طبيعة الموقع الجغرافي ولانها « موطن عناصر متباينة وملتقى مذاهب وديانات مختلفة » (٢) ، أما إنها موطن غناصر متباينة فقد صارت كذلك ولم تكن أصلاً ـ فحياتها الأولى كانت أقرب الى البداوة ومن ثم صارت ، في العصر العباسى ، « حضرية مبالغة في الحضارة » (٣) ، وأما إنها ملتقى المذاهب والديانات المختلفة فيبدو أنه نتيجة لكونها ، مع صنوها الكوفة ، الوريث الطبيعي لحضارة بابل ومن ثم حضارة الحيرة .

لعل اكثر القوميات التي استوطنت البصرة من غير العرب هم الفرس ، فقد قيل ان جاليات فارسية كثيره تحالفت مع القبائل العربية فيها كبكر وتميم وبني حنظله (٤) ، ولم نجد جاليات أخرى غير فارسية تتحالف مع القبائل العربية ومعنى هذا إنها لم تكن بالكثرة التي تحتاج الى التحالف أوتشجع القبائل العربية على محالفتها .

أما وجود جاليات أصبهانية فيها تجعل « عبيد الله بن زياد [يجمع فيها عام ٥٤هـ] فرقة من الرماة مكونة من ألفي رجل من بخارى [ويجعل]

(١) القالي ، ذيل الامالي ٢٢ .
(٢) مدرسة الكوفة ٢١ .
(٣) ضيف ، د . شوقي ، الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، القاهرة ١٩٦٠ ص ٣٥٩ .
(٤) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ٣٦٦ ـ ٣٦٧ .

البصرة مقراً لهم » (١) . فليس من المستبعد إذا عددنا الاصبهانيين فرساً وقد كانوا يعدون ما كان شرق العراق من الفرس .

كان من نتائج التفاعل الحضارى ، شيوع النسبة بـ (آن) إذ لحقت آخر الاسماء عند نسبتها ، ولا يخفى إنها نسبة أجنبية . وبهذه الطريقة سميت أنهار وقطائع وأمكنة عرفت في البصرة منها ، مثلاً ، نهر طلحتان الذي نسب الى طلحة بن أبي نافع مولى طلحه بن عبيد الله ونهر خيرتان نسبوه الله خيره وقطيعة حربانان نسبوها الى حرب كذلك نهر عباسان نسبوه الى عباس (٢) ، ولم يقتصر هـذا التأثير على نسبة الاسماء فحسب بل نجد أسماء فارسية محضة اطلقت على بعض الاماكن في البصرة منهـا نهر الاساورة الذي زعم فيه ان « الاساورة حفروه » (٣) ، و « درجاه جنك .... قيل لـــه ذلك لمنازعات كانت فيه وجنك بالفـارسية صخب إنســان » (٤) ، وقد خلت الكوفة من مثل هذه الملامح الحضاريه ، أو كادت . وبتفاعل هذا المجتمع تمكنت البصرة أن تكون سباقة الى حيـاة التحضر التي تستلزم التقدم الفكرى ، الأمر الذى أهلها لان تسبق غيرها من الامصار في ميدان العلوم الفكرية والعقلية ومنها علوم العربية خاصة (٥) ، بسبب حاجة هذه الجاليات الى ضوابط وقواعد لغوية تسهل امتزاجهـا في

(١) فك ، يوهان ، العربية دراسات في اللغة واللهجات والاساليب ، القاهرة ١٩٥١ص١٧ .

(٢) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ٣٥٤ ـ ٣٦٢ .

الحموى ، معجم البلدان ، ٦٤٥/١ ومابعدها .

(٣) البلاذرى ، ن . م ، ٣٥٣ .

(٤) أيضاً ٣٥٥ .

(٥) ابن النديم ، محمد بن اسحاق ، الفهرست طبعة القاهرة لا.ت ص١٠٢ .

المجتمع وقد تم لها ذلك .

البصرة والكوفة :

« من العجيب في أمر البصرة إنها ماتكاد تذكر حتى تذكر الى جانبها مدينة تكاد تكون توأما لها ... تلك هي مدينة الكوفة » (١) ، ويبدو إن هذا التعجب كان في غير محله فالعجيب حقاً أن تذكر إحداهما ولا تذكر الأخرى ، لقد كانتا توأمين حقاً ، اشتركتا في أمورواختلفتا في أخرى وصيّر بينهما ذلك ، ترابطاً كاد يكون عضوياً .

كلتاهمـا انشئت لاغراض عسكرية وفي عصر واحد وسلطة واحدة ولم يفصل بين تمصيرهما سوى عامين على أبعد الأقوال ونصف عام على أقلها. وكلتاهما كانت وارثة حضارة بابل والحيرة ، وقد بنيت الكوفة على ظهرها(٢) وكلتاهما كانت ميداناً تلاقت فيه اللغة العربية باللغات الأخرى ، في العصر الاموي (٣) خاصة ، ومن هنا وهما حاضرتا « الثقافة العقلية .... [وجب] أن تلتمس بواكير العلوم العقلية في البلاد التي كانت الصناعة والتجـارة فيها مزدهرتين ... » (٤) ، فأصبحتا « مختبراً لهذه الثقافات ومسبكا تسبك فيه العقليات المتباينة » (٥) .

(١) السيد ، د . عبد الرحمن ، مدرسة البصرة النحوية ، نشأتها وتطورها، القاهرة ١٩٦٨ص٣٩ .

(٢) ابن خلكان ، أحمد بن محمد ، وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ، ط القاهرة ١٩٤٨ص١٨٦ .

(٣) ضيف ، الفن ومذاهبه في الشعر، ١١٧ .

(٤) دى بور، تاريخ الفلسفة في الاسلام . القاهرة ١٩٣٨ص٥ .

(٥) المخزومي ، الخليل ، ١٤ .

سار البلدان ، منذ تمصيرهما ، في حلبة سباق غير مرئية لابد إنها أثرت في حياة كل منهما فتنافستا في كافة الميادين ، سياسية كانت أم مذهبية أم علمية وتولد بينهما ذلك الارتباط الذي لم ينفصل أعواماً طويلة .

مالأت البصرة الحكم الأموي والعباسي ، إذا استثنينا ثورة إبراهيم بن الحسن التي فشلت وكان من رجالها قطبان من أقطاب علم الكلام والاعتزال وهما عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء (١) .

وكان موقف العباسيين مذبذباً بين البصرة والكوفة ، كان أحياناً يتسم بطابع الامداد بالمال والرعاية والأيد (٢) .

وقالوا : إن من نزل البصرة ولم يقر « بفضل عثمان وفضل الحسن البصري (٣) » ، فليست له بدار (٤) ، على حين نجد الكوفة ، ومنذ أن اتخذها الامام علي (ع) عاصمة لحكمه ، عرفت بموالاته وبنيه من بعده (٥)

تنافس المصرين في الميدان العلمي :

مع أن الكوفة كانت تشعر بحاجتها الى ما يدور في معاهد البصرة العلمية (٦) ، خاصة في ميدان الدراسات النحوية واللغوية ، كان التنافس

(١) الاصفهاني ، أوالفرج ، مقاتل الطالبين ، جا بيروت ١٣٨٠ص٢١٥ .

(٢) أنيس ، د . ابراهيم ، جهود علماء العربية ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة جـ١٥ القاهرة ١٩٦٢ص٤١ـ٤٧ .

(٣) ابن الفقيه ، مختصر البلدان ١٦٦ .

(٤) أيضاً ١٦٦ .

(٥) الفياض ، د. عبد الله ، تاريخ الامامية وأسلافهم من الشيعة ، بغداد ١٩٧٠ص١٧٣ـ١٨٠ .

(٦) المخزومي ، مدرسة الكوفة ٣٩ .

العلمي بينهما محتدماً ، ويبدو إنه كان نتيجة طبيعية لتنافسهما في بقية الميادين ، وقد اختلفوا في تحديد زمنه ورجاله وكيفيته .

ذهب الدكتور المخزومي إلى أن التنافس بينهما كان معدوماً قبل عصر الخليل وفي عصره أيضاً (١) ، على حين كان الاستاذ أحمد أمين يذهب الى تأكيد وجود هذا التنافس قبل عصر الخليل وان الخلاف بدأ « بين الرؤاسي في الكوفة والخليل في البصرة [هادئاً] ثم اشتد بين الكسائي في الكوفة وسيبويه في البصرة . [و] إن هذه العصبية العلمية بين المدرستين كانت مؤسسة على العصبية السياسية التي ظهرت بين البلدين(٢)» كذلك ذكر ان الرؤاسي ألف كتاباً انتفع به الخليل (٣) .

لقد ذكر ابن النديم وابن الانباري ، أيضاً ، ان الرؤاسي قال : « بعث إليّ الخليل يطلب كتابي فبعثت إليه فقرأه ، ووضع كتابه ، قال وفي كتاب سيبويه ، قال الكوفي يعني الرؤاسي (٤)» .

ان هذا النص يفتقر الى كثير من الوضوح والتوثيق ، فالنص لم يسمّ كتاب الرؤاسي ، وسماه السيوطي كتاب الفيصل في النحو (٥) ، وعند اليغموري ، كتاب العين (٦) ، وقد يكون هذا النص نتيجة من نتائج

(١) المخزومي ، مدرسة الكوفة ٦٦ .

(٢) أحمد أمين ، ضحى الاسلام ، ٢/٢٩٤ .

(٣) أيضاً ، ٢/٢٩٤ .

(٤) الفهرست ، طبعة مصر ، ١٠٢ ، كمال الدين بن عبد الرحمن ، نزهة الالباء ، القاهرة ١٩٦٧ص٥٥ .

(٥) المزهر ، جـ٢ القاهرة ١٩٥٨ ص ٤٠٠ . ابن النديم ، الفهرست ، طبعة مصر١٠٢ .

(٦) نورالقبس ، ٢٧٩ .

التنافس بين البلدين .

ولو صح اطلاع الخليل على كتاب الرؤاسي ووضعه كتابه على غراره ، لوجب أن يكون النزاع حاداً وليس هادئاً كما ذهب إليه الاستاذ الفاضل ، ونرى ان التنافس العلمي بين هذين البلدين كان أعمق جذوراً مما ذكره الاستاذان الفاضلان ، ذلك أنـــه امتداد ونتيجة طبيعية للتنافس بينهما والذي امتد الى اكـثر من ميدان ، فان تأخر ظهور هذا التنافس الـذي اتخذ طابع الخلاف في الميدان العلمي الى مابعد عصر الخليل فلأن الحركة العلمية كانت قد ازدهرت آنذاك وبرز بها المصران فسلك علماء كل من البلدين « في تفسير الظواهر اللغوية طريقاً خـاصاً » (١) ، وازداد هذا التنافس حدة كلما تقدم البلدان في الميدان العلمي وكلما اشتدت وقويت حركة التأليف والبحث العلمي فيهما ، وحينما نصل الى عصر المبرد وثعلب نجد الخلاف بينهما قد تعدى الميدان العلمي الى علاقاتهما الشخصية أيضاً إذ كان المبرد وثعلب « متطرفين في وجهات نظريهما »(٢)، والمتمعن في مناظراتهما وما وصلت إليه علاقاتهما الشخصية نتيجة ذلك ، يجد ان تلك المناظرات كانت فعلا مضحكة وهازلة كما ذهب إليه آدم متز (٣) ، ولم يقف هذا التنافس والخلاف بانتهاء عصر المبرد وثعلب بل استمر اكثر من ذلك بوجود من يغذيه ، نجد في القرن الرابع مثلاً . القاضي الخليل ابن أحمد السنجري يمدح أباحنيفة بقصيدة يبين هواه في الفقه وفي النحو

(١) يوهان فك ، العربية ٦١ .

(٢) العبيدي ، رشيد عبد الرحمن ، أبو عثمان المازني ومذاهبه في الصرف والنحو ، بغداد ١٩٦٩ص٧٢ .

(٣) متز ، آدم ، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ج١ القاهرة ١٩٥٧ص٣٣٢ .

وفي الحديث والقراءة يقول :

وأجعلُ في النحوِ الكسائيَّ عُمدَتي ومن بعدِهِ الفراءَ ما عشتُ سرمدا
وإنْ عدتُ للحجِّ المباركِ مرةً جعلتُ لنفسي كوفةَ الخيرِ مَشهدا(١)

بعض صور الخلاف :

قلنا ان الخلاف شمل اكثر من ميدان بين البلدين ، وما يهمنا هنا ، هو ما ذكر من الخلاف في المسائل اللغوية والنحوية .

فهل كانت هذه الخلافات جدية دائماً ؟ وهل كانت مبرراتها وجيهة ؟ وهل أملتها عوامل اجتماعية أوعلمية أوسياسية ؟ أم كانت عواملها الرئيسة منبعثة عن النوازع الشخصية ؟

لقد اختلف الباحثون في هذا الموضوع وعوامله وزمنه أيضاً ، فجرجي زيدان مثلاً ، يذهب الى أن الجدل والخلاف في المسائل النحوية بين البصريين والكوفيين احتدم بعد عصر الزجاجي (٢)، ويرى بروكلمان ان هذه الخلافات كانت مفترضة وإنها سويت بعد أجيال باندماج المذهبين في مدرسة بغداد وإنها « قد بولغ فيها الى حد لامبرر له » (٣) ، على حين يذهب الدكتور النجار الى أن هذه الخلافات كانت في حقيقتها خلافاً بين لهجة قريش واللغة العامة للمسلمين (٤)، ومعنى هذا انها كانت ذا أساس

(١) الحموي ، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله ، معجم الادباء المعروف بارشاد الاريب الى معرفة الاديب ج٤ القاهرة ١٩٢٣ص١٨٣ .

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية ج٢ القاهرة ١٩٥٧ص٢١٣ .

(٣) تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة نبيه فارس ورفيقه، بيروت ١٩٦٨ص١٩٤.

(٤) عبد الحليم ، مقال بعنوان « في اللهجات العربية واصول اختلافها » مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الاول . ج١/ مجلد ١٥/مايس ١٩٥٣ .

وعوامل علمية واجتماعية . ونرى ان هذه الخلافات كانت أبعد من عصر الزجاجي كثيراً ، وقد يكون بولغ فيها بعض المبالغة ، وإنها كانت ناشئة عن اختلاف منهجية علماء كل من المصريين ، وغذتها واشعلتها عوامل سياسية تارة ونوازع شخصية تارة أخرى وفي أحيان ، قد تكون قليلة جداً ، كانت عواملها علمية كما في وسألة « أيءُ كذا خُلقت » .

لقد انحطت بعض هذه الخلافات الى درك الوضع والتزييف أحياناً ، متغذية بالنوازع والاحقاد الشخصية ، روى الزجاج أنه دخل على ثعلب وعنده أبو موسى الحامض الذي كان يحاسد الزجاج ويجاهره بالعداوة ويُجله الزجاج لِشيخوخته ، يقول « فقال ثعلب قد حمل إليّ بعض ما أملاه هذا الخَلَنْدي ، يعني المبرد ، فرأيته لا يطوع لسانه بعبارة [فقال الزجاج] أنه لايشك في حسن عبارته اثنان ولكن سوء رأيك فيه يعيبه عندك ، فقال : ما رأيته إلا الكن منغلقاً فقال أبو موسى : والله ان صاحبكم ألكن ، يعني سيبويه ، فاحفظني ذلك ثم قال : بلغني عن الفراء أنه قال دخلت البصرة فلقيت يونس وأصحابه فسمعتهم يذكرونه بالحفظ والدراية وحسن الفطنة وأتيته فاذا هو أعجم لا يفصح وسمعته يقول لجارية له : هاتي ذيكِ الماءَ من ذلكِ الجَرة ... »(١)* ومن المستبعد أن يحدث مثل هذا ، سواء لسيبويه أم لغير سيبويه من شيوخ البصرة ، ولا نرى في هذه الرواية غير الوضع على لسان الفراء مع انه عرف عنه الشيء الكثير في خلاف البصريين عامة وسيبويه خاصة ، ذلك الخلاف الذي قالوا فيه أنه كان « يتعمد خلاف [سيبويه] .. حتى ألقاب الاعراب

(١) السيوطي ، المزهر ، ١/٢٠٢-٢٠٣ .

* لقد فند الدكتور الانصاري هذه الرواية في كتابه « أبو زكريا الفراء ... » ص٥٢ وما بعدها .

وتسمية الحروف » (١)، لانه كان زائد العصبية عليه (٢)، وهذا لا يكفي أن يبيح لشخصية علمية مثل الفراء أن ينحط الى مثل هذا الدرك فيضع رواية مفضوحة بهذا الشكل الذي ينم على أن واضعها لم يكن يتقن شيئاً . ومع انهم عابوا على الفراء أنه مات « وتحت رأسه كتاب سيبويه »(٣)، لانجد في الأمر ما يعاب عليه بل نجده مدعاة فخر له وحرص على العلم والدرس والبحث .

المسألة الزنبورية :

ولعل هذه المسألة هي قمة الخلاف بين البلدين ، وقد حملت اكثر من سمة من سمات التنافس بينهما . ثمة ملاحظة تستلفت نظر الباحث في هذه المسألة هي أن جميع من روى هذه المناظرة أوالمسألة ، كانت روايته متصلة بالفراء ، ثم تختلف الروايات في فحوى هذه المناظرة ومحتواها ، ومع ذلك يبدو إنها قد وقعت فعلا واختلاف الرواة فيها كان اختلافاً في الرأي .

والمناظرة بخطوطها العامة تمثل سيبويه قادماً بغداد لغرض يختلف حسب الروايات ، ثم يجمع بينه وبين الكسائي في مجلس يحي بن خالد البرمكي أو الرشيد أو الأمين ، وأغلب الروايات تنص على ان مناظرات أخرى حدثت بين سيبويه من جهة ، وبين الفراء أوعلي بن المبارك الاحمر ،

(١) اللغوي الحلبي . أبو الطيب عبد الواحد بن علي ، مراتب النحويين ، القاهرة ١٩٥٥ص٨٨ .

(٢) أيضاً ص٨٧ .

(٣) البغدادي ، عبد القادر بن عمر، خزانة الادب ولب لباب لسان العرب جا القاهرة لا.ت ص ١٧٩ .

أو هشام بن معاوية الضرير وغيرهم ، منفردين تارة ويجتمع بعضهم تارة أخرى ، وذلك قبيل التقاء سيبويه بالكسائي . وأغلب الروايات أيضاً ، تظهر الفراء متبجحاً بما عمل معترفا ضمن ما يروي بأن سلوكه ما كان منسجماً مع منزلته العلمية وان مناظرته مع سيبويه سيرها الهوى وقادتها النوازع الشخصية بحيث يذكر وصف سيبويه أياه بسوء الأدب (١) .

يأتي الكسائي ويسأل سيبويه عن المثل العربي « كنت أظن ان العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هو هي أو هو إياها » (٢) ، أو على رواية أخرى « كنت أظن الزنبور أشد لسعاً من النحلة فاذا هو إياها فقال سيبويه ليس المثل كذا بل فاذا هو هي » (٣) . فسيبويه يرى ان الضمير « هو » مبتدأ ولابد لكل مبتدأ من خبر وليس في المثل ما يصلح للاخبار غير الضمير« هي » أما ضمير النصب « اياها » فلايصلح للمجيء في محل رفع ، على حين خرّج الكوفيون ذلك بأن المثل سمع عن أبي زيد الانصاري أحد علماء البصرة بـ « اياها » وان الضمير « اياها » هنا ضمير عماد ، كما ان « إذا » فجائية (٤) .

تعقب المسألة بمسألة أخرى تقارن ويحاول مقايستها هي قولهم : « خرجت فاذا عبد الله قائم ، قائماً » ، ولا يجيز سيبويه النصب أيضاً لنفس الاسباب ، ويحتدم الجدل فيطرح اقتراح بان يحتكم الاعراب في

(١) الانباري ، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد ، الانصاف في مسائل الخلاف القاهرة ١٩٥٥ ٢٧٢/٢ ، الحموي ، معجم الادباء ٨٣/٦ ، ١٩٣/٥ـ١٩٥.

(٢) السيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، القاهرة ١٩٦٤ ٢٣٠/١ .

(٣) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ١٣٤/٣ .

(٤) الانباري ، الانصاف ٣٧٣/٢ .

صحة القولين ، وهنا تختلف الروايات ، فمن روى بأن الاعراب جيء بهم بصورة تكاد تكون عشوائية وغلطوا الكسائي فرشاهم ، ومن روى إن الكسائي أرسل على جماعة معينين باسمائهم تواطأ معهم يحي البرمكي لصالح الكسائي ، ومن روى أنه جيء بجماعة زعم انهم إعراب أعدّهم الكسائي ويحى والمسألة مفصلة على اختلاف الاقوال في مضامنها (١) .

ولعل من الطرافة أن يذكر السيوطي مناظره أخرى « للكسائي مع اليزيدي وظلم فيها [الكسائي] كما ظلم سيبويه وأحضر العرب فوافقوا اليزيدي (٢) » وكان في الامر تحوّباً .

لقد حظيت هذه المسألة بمقام ملحوظ عند قدامى الباحثين ومحدثيهم ، وكان أغلبهم في جانب سيبويه ، ان لم يكونوا في جانبه نحوياً ولغوياً ، فقد اتهموا الكسائي بالتآمر والتواطؤ ، صوّب ابن الانبارى رأى سيبويه وتبعه في ذلك ابن هشام (٣) ، ونظم ابن حازم الانصارى ، من علماء المغرب في القرن التاسع الهجري ، قصيدة صوّب فيها رأى سيبويه أيضاً (٤) ، وذكر أبو الطيب الحلبي « ان الكسائي دنا من الخلفاء فرفعوا ذكره [ولولا ذلك] .. لم يكن شيئاً وعلمه مختلط بلا حجج ولا علل الا حكايات عن الاعراب مطروحة لانه كان يلقنهم مايريد » (٥) . ومن

(١) البغدادي ، أحمد بن علي الخطيب ، تأريخ بغداد ، بيروت لا . ت ١٠٤/١٢ـ١٠٥. ابن هشام ، جمال الدين الانصاري ، مغنى اللبيب عن كتب الاعاريب ، القاهرة لا ت ، ٨٨/١ـ٩٣ .

(٢) السيوطي ، بغية الوعاة ٢٣٠/١ ، اليافعي ، مرآة الجنان ٤٤٦/١ .

(٣) ابن هشام ، مغنى اللبيب ، ٨٩/١ . ابن الانبارى ، الانصاف ٣٧٣/٢.

(٤) الامير ، محمد الامير ، هامش مغنى اللبيب ، طبعة الحلبي القاهرة لا.ت ٨٠/١.

(٥) اللغوي الحلبي ، مراتب النحويين ، ٧٤ .

الباحثين المحدثين الذين تناولوا هذه المسألة بالدرس ، الدكتورة خديجة الحديثي ، وقد وصفت هذه المناظرة بانها كانت مأساة خرج منها سيبويه منتصراً بعلمه وحلمه (١)، والدكتور المخزومي ، وصف الكسائي بالتآمر وانه اشترى ذمم من جيء بهم بالمال (٢) .

وحاول بروكلمان أن يبرر تصرف الكسائي بأن سيبويه حاول زعزعة مكانة الكسائي عند الرشيد و « لم يصادفه التوفيق » (٣) ، وذهب الى قريب من ذلك أحمد أمين مصوباً قول الكسائي بانه « تمسك بما سمع وأجازه القياس عليه وان كان شاذاً » (٤) ، ومعنى هـذا ان المناظرة ، عند أحمد أمين ، كانت منبعثة من منطلق لغوي علمي .

يتبين لنا مما تقدم ان المسألة الزنبورية لم تكن علمية المنطلق وإنها لم تعد في واقعها الخلاف بين المصرين ممثلا في سيبويه من جهة ، والكسائي وسلطة بغداد من جهة أخرى ، وان العامل السياسي والتعصب البلدي أديا دورهما بفاعلية كبيرة في هذه المسألة ، فحرفاها عن منهجها العلمي الذي كان محتملا ان تنهجه لولاهما .

امتزاج الثقافات في البصرة :

كان الموقع الجغرافي قد أهّل البصرة لازدهار كبير في حياتها الاقتصادية

(١) أبنية الصرف في كتاب سيبويه ، بغداد ١٩٦٥ص٥١ .

(٢) المخزومي ، مقال بعنوان ـ من سير المشاهير ، سيبويه أبوبشر عمرو ابن عثمان نشر بمجلة المعلم الجديد ج٥ الصادر في ١٩٥٦/٩/١٩ص٤٥ـ٤٦. ، المخزومي ، مدرسة الكوفة ١٠٢.

(٣) تاريخ الادب العربي ، ج٢ القاهرة ١٩٦٨ص١٩٨ .

(٤) أمين ، أحمد ، ضحى الاسلام ٢٩٦/٢ .

وهو نفسه كان المؤثر الفعال في الازدهار الفكري في حياة مجتمعها العلمية ، فالتقت فيها الحضارات والامم بشكل محدود أول الامر، وسرعان ماتمازجت فانتجت ثقافة تمتلك من الاصالة والعراقة شيئاً كثيراً (١) .

اشتركت البصرة والكوفة في أمور أساسية في تمصير الامصار، توفرت فيهما وحدة الزمان والمكان والعنصر أيضا ، بالاضافة الى توفر وحـدة الهدف من تمصيرهما ، فلماذا شقت كل منهما طريقاً خاصاً بها في ميادين العلوم الاسلامية ؟

لقد عنت البصرة بالدراسات اللغوية قبل الكوفة على حين عنت الكوفة بالدراسات الشرعية ومن ثم اتجهت الى الدراسات اللغوية ، وتمازجت الثقافات في البصرة اكثر مما حدث في الكوفة .

يقول الدكتور الشيبي « كانت البصرة ... تضم من العرب قبائل مضر بينما سكنت حمير الكوفة ، وهذا يعني أنه كان في البصرة أغلبية مضرية من عرب الشمال ، أما الكوفة فكانت أغلبيتها من اليمن ... وهذا يشرح لنا لماذا اتصفت الكوفة بالاصالـة العربية والبصرة بالاختلاط والهجنة ، فقد كان اليمانيون على جانب من الحضارة أتاح لهم أن يتغلبوا على الآثار الواردة الى الكوفة من الحضارات الاجنبية وان يهضموها ، أمـا العنصر العربي الذي نزل البصرة فقد كان ضعيف الحضارة فغلبت عليه الثقافـة الاجنبية التي قابلته في بيئته الجديدة ، ويجب أن لا يفوتنا ان كون البصرة ميناءاً يستقبل كثيراً من الزوار والمثقفين والتجار قد أسهم في ذلك ولابد أن يكون لهؤلاء دور وأثر في بيئة البصرة لتقبل كل جديد ، ومما يزيد هذا وضوحاً ان الاتجاه القبلي الجاهلي كان قانون القبائل النازلة في الكوفة والبصرة وأن اتباع كل شيخ قبيلة كانوا يطيعونه في الحرب والسلم

(١) أحمد أمين ، ضحى الاسلام ٣٩٤/١ .

طاعة عمياء .... وإذا أضفنا الى هذه الحقيقة ان القبائل الكوفية قد اتجهت وجهة عاطفية شيعية وان نصرة هذا المذهب قد استغرقتها وان البصرة لم تكن ميالة الى تبني المذاهب العاطفية والافكار الدينية ، عرفنا لماذا كانت الكوفة أصيلة والبصرة جامعة للاخلاط والاشتات » (١) .

يبدو لي ان هذا الرأي والتعليل يفتقر الى مقومات أخرى ، فالقبائل اليمانية التي استوطنت الكوفة ، كانت أغلبيتها من كنده ومذحج ، وهما قبيلتان بدويتان أيضاً كسائر القبائل المضرية التي استوطنت البصرة ، وبطبيعة الحال ، لم يكن اليمانيون من قبائل الكوفة حملة حضارة اليمن بالضرورة ، لقد كانوا أحفاد أولئك اليمانيين المتحضرين ، كما ان طبيعة المجتمع في كل من البلدين واحتياجات هذا المجتمع ، كانت قد وجهت كلا من البلدين الى الاتجاه الذي عُرف به .

قالوا ، ان الأغلبية العربية قد غلبت على مجتمع الكوفة على حين اتجه أغلب الموالي الى سكنى البصرة ، وهذا لايعني بالضرورة زيادة الموالي على العنصر العربي في البصرة ، عددا ، ولكنه يعني ان الموالي كانوا هناك كثرة واكثر مما في الكوفة . ومن هنا تحتم على هؤلاء أن يطلبوا تعلم أشياء كثيرة تمس جوهر حياتهم الجديدة ، أن يتعلموا الدين الجديد الذي اعتنقه أغلبهم ، وان يتعلموا اللغة التي ينطق بها المجتمع والدولة ، وهمهم أيضاً أن يتعلموا تقاليد وتاريخ الامة التي أسبغت عليهم لغتها ودينها ، فكان منهم ، فيما بعد ، علماء بالانساب وعلماء في التاريخ وعلماء في اللغة ، فمجتمع البصرة اذن سيرته ووجهته دوافع تعليمية محضة أملتها حاجته نفسها ،

(١) د. كامل مصطفى ، الصلة بين التصوف والتشيع ، جا بغداد ١٩٦٣ ص٣٠٧-٣٠٨ .

ودفعت به أشواطاً بعيدة في ميدان الرقي الفكري والعقلي (١) ، فمن تعلم العربية من هؤلاء الموالي كان قد جمع بين « ثقافته القومية وثقافته العربية » (٢) ، ولهذا السبب كانت البصرة أسرع في دمج هذه الجاليات في مجتمعها (٣) ، يضاف الى ذلك تعاليم الاسلام السمحة في الفتح ودخول الكثيرين في هذا الدين وأواصر النسب والمصاهرة بينهم (٤) ، كل ذلك أدى الى سرعة الامتزاج الثقافي في البصرة .

بعض مظاهر الامتزاج :

ذكروا ان الكتابة انتشرت بين البصريين بصورة سريعة لان أغلب الموالي كانوا يجيدونها (٥) ، وبطبيعة الحال ما كانوا قد أجادوا الكتابة إلا بعد الاسراع في تعلمها وكان لطبيعة المجتمع البصري التجارية ، أثر فعال في دفعهم وتوجيههم هذه الوجهة .

لقد انتشر كثير من مظاهر العبث والمجون في البصرة خلال القرن الثاني وما أعقبه (٦) ، ولعل خطبة زياد بن أبيه التي أشار فيها الى « المواخير المنصوبة ... في النهار المبصر (٧) » ، اشارة الى البوادر الاولى لاستشراء العبث والمجون ، وعللوا هذه الظاهرة بوجود الموالي لانهم

(١) الصالح ، د. صبحي ، دراسات في فقه اللغة ، بيروت ١٩٦٨ ص ٣٠.
(٢) حسن ، ابراهيم ، تاريخ الاسلام السياسي ٥١١/١ .
(٣) المخزومي ، الخليل ، ١٤ .
(٤) أحمد أمين ، فجر الاسلام ، القاهرة ١٩٥٥ ، ٨٥-٩٣ .
(٥) ضيف ، د. شوقي ، الفن ومذاهبه في النثر العربي ، القاهرة ١٩٦٥ ص١٠٣.
(٦) الشيبي ، الصلة بين التصوف والتشيع ٧٠/١ .
(٧) الجاحظ ، عمرو بن بحر ، البيان والتبيين ، جا القاهرة ١٩٤٨ ص٦٢.

شغوفون بالطرب والملاهي (١) ، وهو تعليل ساذج إذ لو صح لما أمكن تعليل هذه الظواهر التي انتشرت في بيئات اخرى ، خلت من الموالي او كادت .

وقالوا ان المجتمع البصرى اتسم بالحكمة والدهاء ، اخذهما عن الفرس ، واعتمدوا في ذلك على ما روى عن ابي عمرو بن العلاء من قوله لاهل الكوفة : « لكم حذلقة النبط وصلفهم ولنا دهاء فارس واحلامها » (٢) ، والرواية تفتقر الى الثقة فقد عرف عن ابي عمرو تعصبه للعرب كما ان الحكمة والدهاء ماكانتا حكراً على الفرس ، ولاكانت الحذلقة والصلف سمات مميزة للنبط .

ان الرخاء الاقتصادي واختلاط القوميات في البصرة وتفاعلها ، أمور يمكنها أن تفسر ماظهر في البصرة من مظاهر الامتزاج الحضارى والثقافي بوجه عام .

الموالي وعلوم اللغة :

يأنف المجتمع البدوي من الصناعة والزراعة وسائر وسائل التكسب الأخرى ، لانها تبعدهم عن ميدان الفروسية والغزو ، حتى ان بعضهم عدّ حرفة التعليم حرفة معيبة لشخصية الفرد العربي فقال شاعر منهم :

فان كنتُ قد بايعتُ مروانَ طائعاً فصرتُ إذن بعدَ المشيبِ معلّما (٣)

فاتجه كثير من الموالي الى التعليم ، خاصة خلال العصر الاموى ،

(١) الكندي ، محمد بن يوسف المصري ، الولاة والقضاة ، بيروت ١٩٠٨ ص ٩٣ .

(٢) الجاحظ ، ن.م. ٢/١٠٦ .

(٣) ابن قتيبة ، عبد الله ، عيون الاخبار ج٢ القاهرة ١٩٦٣ ص٥٤ .

وحين انقضى هذا العصر تغيرت النظرة الاجتماعية الى الموالي وخف طابع التعصب العنصري الذي طبع العصر الاموي بطابعه .

طلبوا تعلم العربية توقا الى الفوز بمكانة اجتماعية مرموقة بين العرب (١) ، وحين أتقنوا ذلك مارسوا التعليم سداً لحاجة أخوان لهم ، موالي كانوا أم عرباً .

لقد كتب الكثير عن علاقة الموالي بعلوم العربية ، وكل نظر من زاوية ارتآها ، من زوايا الموضوع ثم ولجها وحاول البرهنة على رأيه ما استطاع استغرب ابن خلدون وتعجب من كثرة الموالي الذين طلبوا العلوم ومارسوا تعليمها ، فقال : « من الغريب الواقع ان حملة العلم في الملة الاسلامية اكثرهم العجم ، لا من العلوم الشرعية ولا من العلوم العقلية إلا في القليل النادر ... والسبب في ذلك ان الملة في أولها لم يكن فيها علم ولا صناعة (٢)» . ويضيف الدكتور طه حسين آراءاً أخرى فيقول ان العرب انتصروا على الفرس انتصاراً عسكرياً ، « وانتصر الفرس على العرب انتصاراً أدبياً (٣) » ، وكان مظهر هذا الانتصار ان الفرس أخذوا العرب بآدابهم ولم يكتفوا بذلك بل عبثوا بالادب العربي فادخلوا فيه ما ليس منه وأضافوا اليه ماليس له مستدلا على ذلك بما نقل من أن اللاحقي صنع بيت شعر لسيبويه لاعمال « فَعِلْ » (٤) ، ويقول في مكان آخر : « ان الكثرة من العلماء الذين انصرفوا الى الادب واللغة ... كانوا من العجم

(١) الوردى، د. علي، اسطورة الادب الرفيع ، بغداد ١٩٥٧ ص٢٠٦ .

(٢) المقدمة ، القاهرة ١٩٣٠ ص٥٤٣ .

(٣) حديث الاربعاء ، القاهرة « لا.ت » ج١/١٧٨ .

(٤) السيوطي ، المزهر ، ١/١٨ .

الموالي وكانوا يستظلون بسلطان الوزراء والمشيرين من الفرس (١)»، فان وُجد بين شيوخ البصرة من تعصب على العرب كأبي عبيدة ، فهناك غيره تعصبوا للعرب وهم موال .

لقد كان الاخفش سعيد بن مسعدة يرى ان العرب وضعت اللغة دفعة واحدة لأن ذلك « أدل على حكمتها وأشهد لها بعلمها بمصاير أمرها»(٢) وهو مولى ، وكان ابن جني يتحزب للعربية وينفي عنها كل شائبة (٣) ، وهو مولى أيضاً رومي الأصل .

ذكروا أيضاً بأن النحو كان قد اشتهر بانه من علوم الموالي (٤) ، ورجحوا بأن أغلب علماء البصرة كانوا موال معللين ذلك بأنهم أصحاب حضارات (٥) .

أستطيع أن أزعم ان الأمر لا يحتاج الى ترجيح ، ذلك ان كثيراً من علماء البصرة في اللغة والنحو هم موال فعلا ، وهذا لا يعني ان هذا الميدان كان قد خلا من العلماء العرب ، كان العلماء العرب كثرة أيضاً وكان شرف استنباط علوم اللغة وتقعيدها وتوجيهها من مهامهم ، أما الآخرون فكانوا دونهم رتبة ، ويكفي ان الخليل والمازني والمبرد كانوا عرباً صليبة .

(١) في الادب الجاهلي ، ط٩ القاهرة ١٩٦٨ص١٦٦ .

(٢) السيوطي ، المزهر ، ٥٥/١ ، ابن جنى ، الخصائص ٤٣٠/١ .

(٣) ابن جنى ، أبو الفتح عثمان ، الخصائص ج١ القاهرة ١٩١٣ ص١٥٢ « مثلا » .

(٤) الرافعي ، مصطفى صادق ، تاريخ آداب العرب ج ١ ، القاهرة ١٩٥٣ ص٢٤٥ .

(٥) السيد ، مدرسة البصرة ، ٣٣٤ .

واستطيع أن أزعم ، أيضاً ، ان لا حاجة لمثل هذه التمحلات التي ذهبوا اليها ، فالنحو لم يكن ميداناً رئيساً لشعوبية الموالي ، ولم يكن مستلا أو مقتبساً من حضاراتهم ، كما يزعمون ، كما لم يكن اتجاه الموالي لدراسته وعلوم اللغة ، والتبحر في ذلك بدافع عنصري أوشعوبي ، بل كانت حاجتهم الى اللغة وتعلمها هي الدافع الرئيس .

لقد وجد الموالي أنفسهم في مجتمع يتكلم العربية ة وتحت ظل وحماية دولة تتخذ العربية لغة وحيدة لها ـ خاصة بعد تعريب الدواوين ـ وهذا المجتمع وهذه الدولة يدينان بدين نزل كتابه بهذه اللغة أيضاً ،فماذا يفعلون ؟ لاشك ان الدافع الى تعلم هذه اللغة هو الدافع الديني أولا ، ثم هو دافع الحفاظ على الاندماج في مجتمع خاضع لسلطان عربي محض ، ومع ذلك فلم يؤثر عن أحد من الشيوخ الموالي معرفة لغة غير العربية ، بله لغته القومية .

والسبب واضح وبسيط ، انهم ـ مع أصلهم غير العربي ـ نشأوا في بيئة عربية فاكتسبوا لغة هذه البيئة وحدها .

دراسات اللغة العربية :

كانت الحاجة الى دراسة اللغة قد وجهت الدارسين الى البحث في أصلها وفي كيفية نشوئها ، فتساءلوا عما إذا كانت قد وُضعت دفعة واحدة ؟ أم تدريجاً ؟ ، وكيف ؟ ، وأي من أصولها كان الاسبق في الوضع ؟ ، الى غير ذلك من التساؤلات . ومن الطبيعي أن تكون الآراء الاولى غيبية لا تخلو من السذاجة (١) ، كالقول بأنها أشرف اللغات وانها لغة السماء

(١) الصالح ، دراسات في فقه اللغة ٢٦ .

والارض وصلتنا كما أنزلت على أبينا آدم (١) (ع) ، ولعل هذه الاقوال كانت تأويلا وتفسيراً ساذجاً للآية الكريمة « وعلّمَ آدمَ الاسماءَ كلّها » (٢) ، وقد ذهب الى هذا التأويل ، حتى في عصور متأخرة من الدراسات ، ابن فارس أيضاً ، فقال : « ان لغة العرب توقيف »(٣) ، وربما كانت هذه الآراء متأثرة ، بالاضافة الى تأويل الآية ، بآراء العبرانيين القائلة بان لغتهم هي أولى اللغات في الأرض (٤) .

ان القول بقدم اللغة العربية عن بقية اللغات لم يقتصر على قدامى الباحثين وحدهم ، فقد قال به بعض المحدثين كالاب انستاس مارى الكرملي (٥) ، والاستاذ عبد الحق فاضل (٦) ، بأدلة تختلف عن أدلة القدامى وافتراضاتهم ، وتبدو مقبولة ومعقولة الى حد كبير .

يظهر ان الاراء الغيبية لم تسد أوساط الدارسين في البصرة ، إذ نجد ثمة دلائل عند الاخفش والخليل على بريجة هذا التفكير اللغوي والبحث فيه ، فالاخفش ، وقد تأخر زمناً عن الخليل ، يحار في الاعراب وكيف وُضع ؟ ، وكيف وُضعت اللغة ، يقول : ان « اختلاف لغات العرب

(١) القلقشندي ، أبو العباس أحمد ، صبح الاعشى ، جـ١ القاهرة ١٩١٣ ص ١٤٨ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٣١ .

(٣) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، القاهرة ١٩١٠ ص٥ .

(٤) السامرائي ، د ابراهيم ، التطور اللغوي التاريخي ـ القاهرة ١٩٦٦ ٧ـ١٩ .

(٥) تناظر العربية واليونانية ، واللاتينية ، مجلة المجمع اللغوي الملكي بالقاهرة جـ١/١٩٣٤ .

(٦) مغامرات لغوية ، طبعة دار العلم للملايين . بيروت لا.ت .

انما جاء من قبل ، ان أول ما وضع منها وضع على خلاف وانه كان كله مسبوقاً على صحة وقياس ثم أحدثوا من بعد أشياء كثيرة للحاجة اليها ... [ثم يأتي بفرضية أخرى فيقول] وأما أي الاجناس الثلاثة ـ الاسم والفعل والحرف ـ وضع قبل فلا يدري ذلك ، ويجوز أن يكون الموضوع الأول ضرباً واحداً ثم رأى من جاء من بعد انه خالف قياس الاول الى قياس ثانٍ جارٍ في الصحة مجرى الاول » (١) ، ثم يذهب الى « ان ما غير لكثرة استعماله انما تصورته العرب قبل وضعه وعلمت انه لابد من كثرة استعماله فابتدأوا بتغييره (٢)» ، ويرجح القول الأول لان ذلك « أدل على حكمتها واشهد لها بعلمها بمصاير أمرها (٣) » . ان ذكر الاخفش لهذه الوجوه وتجويزها لا يعني ان ترجيحه لاحدها كان قاطعاً بل يعني حيرته بين صحة واصالة كل وجه منها ، وهذا يعني بطبيعة الحال ، بداية التفكير العقلي في هذا الموضوع .

وكما وجدت هذه الآراء ، وجدت آراء أخرى الى جانبها ، تتسم بسمات البحث العلمي في حدود معينة مثل اكتشاف ان العربية تختلف عن بقية اللغات في استعمالها الالف واللام للتعريف . وانها تلزم الاعراب للاسماء ، كما نقل عن أبي عبيد (٤) . ولعل ما ذهب اليه الخليل من أن « أصل اللغات كلها إنما هو من الاصوات المسموعات كدوي الريح ... وخرير الماء ... وصهيل الفرس ونزيب الظبي ونحو ذلك ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد (٥) » . هو تفكير عقلي محض بناه على دراسة مناسبة

(١و٢و٣) ابن جني ، الخصائص ١ / ٤٢٨ ـ ٤٢٩ ، السيوطي ، المزهر ٣ / ٥٥ ـ ٥٦ .

(٤) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ١٤٩/١ .

(٥) ابن جني ، الخصائص ، ٤٤/١ .

اللفظ مع المعنى ولمح ان اللغة ليست اصطلاحاً ولا إلهاماً ، بل هي موضوعة مستدلا ذلك (١) من هذه المسموعات .

ومع اتسام هذا الرأي بالسمات العلمية مما يجعل التوفر على دراسته وتعميقها واجباً مفترضاً على العلماء الذين تأخروا عن الخليل ، زمناً ، إلا ان ذلك لم يحدث فاستمرت بحوثهم وأقوالهم في الاصطلاح والالهام الى عصور متأخرة عن الخليل نسبياً ، الى عصر أبي علي الفارسي وابن جني الذي يقول فيه أنه « موضوع محوج الى فضل تأمل غير ان اكثر أهل النظر على أن أصل اللغة انما هو تواضع واصطلاح (٢) » . ثم يرجح « انها وحي »(٣)، ويعود فيجوز الامرين (٤)، ويصف رأي الخليل السابق بانه « وجه صالح ومذهب متقبل » (٥) .

وذهبت بعض البحوث الحديثة الى ان عربية القرآن « لا تتعدى الاسلام في التاريخ الزمني كثيراً » (٦) ، وان جهل العلماء ، الاول باللغات السامية أدى بهم الى بناء استنتاجاتهم على الظن وليس على الدرس والمقارنة (٧) ، وان « الناظر في اللغة متى توغل في أطوارها الى أقصى ما يسعه التاريخ يصل الى شذوذ في تركيب الكلمات أوتركيب الكلام بحيث يعتقد ان هذه اللغة لم تبلغ حالتها الحاضرة إلا بعد أن تقلبت في أطوار

(١) المخزومي ، الخليل ، ٨٧ .
(٢) ابن جني ، الخصائص ، ٣٩/١ .
(٣) أيضاً ، ٤٥/١ .
(٤) أيضاً ٤٢٧/١ .
(٥) أيضاً ٤٥/١ .
(٦) السامرائي ،د. ابراهيم ، دراسات في اللغة بغداد ١٩٦١ص١٦ .
(٧) السامرائي ، عامر رشيد ، آراء في العربية ، بغداد ١٩٦٢ ، ص ٨٧ .

مرت عليها أحقاباً ، فمن الصعب على الفيلسوف أو اللغوي أوالمؤرخ أن يحكم في أصل نشأة هذه اللغات حكماً فاصلاً . وإنما يستفيد من بحثه في اللغات التي بين يديه إنها تكون في أول أطوارها قليلة الكلمات غير متنوعة الاساليب ، ثم تغزر مادتها وتتعدد أساليبها على حسب ما يكون للناطقين بها من ثقافة أو حضارة » (١) .

(١) حسين ، محمد الخضر ، القياس في اللغة ، القاهرة ١٣٥٣هـ ص٨ .

الفصل الاول

اللحن والدراسات القرآنية

كان للحن ـ كظاهرة لغوية ـ أثر بيّن في لفت أنظار المسلمين الى العناية بالقرآن ، ونشوء الدراسات القرآنية ، ومن ثم انمائها وتشعبها .

لقد عرّف اللغويون اللحن بانه الخطأ في الكلام (١) ، أو أنه إمالة الكلام عن جهته الصحيحة ، وعدوّه من الكلام المتولّد (٢) ، وعلى هذا فاللحن يعني الخطأ في لفظ الكلمة ، أوفي إعرابها .

لقد زعم بعض المؤرخين ان اللحن كان معروفاً في الجاهلية ، وانه وقع في شعر بعض الشعراء الجاهليين ، وعدّ منه إقواء النابغة الذبياني(٣)، ان الاقواء بعيد عن مدلول اللحن ، فهو محض عيب ظهر في الشعر العربي أثناء تطوره الذي تتوّج باكتمال القصيدة الجاهلية قبيل ظهور الاسلام ، وان شعراء ذلك العصر تنبهوا اليه فكان آخر أخطائهم (٤) .

وذهبت بعض الروايات الى أن اللحن كان معروفاً ومصطلحاً عليه

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، ٣٧٩/٣ باب « لحن » .

(٢) ابن فارس ، أحمد ، معجم مقاييس اللغة ، جـ٥ القاهرة ١٣٦٩ص٢٣٩ باب الحاء واللام وما يثلثهما .

(٣) ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم ، الشعر والشعراء ، جـ١ القاهرة ١٩٦٦ ص ٩٥ـ١٠٤ .

(٤) طبانه ، دكتور بدوي ، دراسات في نقد الادب العربي ، القاهرة ١٩٦٥ ص٦٢ .

إبان عصر النبي (ص) والراشدين (رض) (١) ، وهي روايات تتهافت أمام النقد والمناقشة ، وعلى هذا يمكن أن يقال ان اللحن لم يكن معروفاً قبل عصر القرآن ، لابمدلوله الاصطلاحي ولابواقعه اللغوي ، بسبب اختلاف اللهجات القبلية وتعددها ، إن تلك اللهجات لم يعتدها العرب لحناً (٢)، لانهم « كانوا يرون هذا الاختلاف فطرياً ... فلم يلتفتوا إليه » (٣) ، ان اختلاف اللهجات لم يكن يعني أن يتكلم المرء كيف شاء ، فالاعراب موجود ، وهو من خصائص العربية ، والاخلال به يخل بالمعنى بشكل واضح بين .

شيوع اللحن في بيئة البصرة :

لقد صار مجتمع البصرة بيئة صالحة لتفشي هـذه الظاهرة اللغوية وانتشارها ، فاجناسه المتعددة ، واللغات التي اختلطت فيه ، والحضارات التي تمازجت به ، كل ذلك جعله بيئة تكاد تكون مثالية لمثل هذه الظاهرة اللغوية ، ولعل اختلاط اللغات وتفاعلها كان أهم عامل من عوامل تفشي اللحن ، لقد تفاعلت اللغات الاجنبية مع العربية وأعطت نتائجها السلبية ، وكان اللحن نتيجة سلبية ظاهرة ، وقد تنبه قدامى العلماء لهذا العامل فعرفوا ان اللغتين « إذا التقتا في اللسان الواحد ، أدخل كل منهما الضيم

(١) الزجاجي ، أبو القاسم ، الايضاح في علل النحو ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص٩٦ . ابن جني ، الخصائص ٤٠٨/١ . السيوطي ، المزهر ، ٢/ ٣٩٦ ـ ٣٩٧ .

(٢) السامرائي ، د. ابراهيم ، دراسات في اللغة ، ص٧٠ .

(٣) الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، ٣٣٥/٢ .

على الاخرى » (١) .

وبعكس ذلك نجد ان المجتمع الذي يقل فيه التقاء اللغات أوينعدم ، لابد أن يحافظ على لغته وسلامتها ، لانه لا يجد قوة في الخروج على قواعدها وأساليبها ، وما ذكره ابن جني عن « غلام المتهيا » أو عبد الله الشجري (٢) ، إلا أمثلة واضحة على ذلك ، وقبل هاتين الحادثتين بزمن بعيد ، نقلوا قول أبي الاسود :« إني لاجد للحن غمزاً كغمز اللحم »(٣) ، أو « غمزاً كغمز اللحم » (٤) .

إن الاختلاط الذي نتج عن التزاوج والتصاهر بين العرب وغيرهم من الاقوام التي انصهرت في بيئة البصرة ومجتمعها ، أدى بالضرورة الى التقاء اللغات وتفاعلها ، فهو عامل مهم ساهم في إنماء هذه الظاهرة ونشوها.

لقد شخص أبو حيان التوحيدي ، هذا العامل ، فقال : « إنما فشا اللحن للسبايا التي كثرت في الاسلام من الاعاجم وأولادهن ، فانهم نزعوا في اللكنة إلى الأخوال » (٥) ، وكانت حاله عبيد الله بن زياد الذي كان « يرتضع لكنة فارسية » (٦) ، مثل بيّن على ذلك .

لقد كانت هـذه القاعدة اذا انعكست ، شاركت في إنماء اللغة وازدهارها ، فالحسن البصري الذي شهدوا بفصاحته (٧) ، وأخذ عنه

(١) الجاحظ ، البيان والتبيين ٣٦٨/١ .
(٢) ابن جني ، الخصائص ، ٨٠/١ .
(٣) السيرافي ، أخبار النحويين ١٤ . الزبيدي ، طبقات النحويين ١٥ .
(٤) ابن قتيبه ، عيون الاخبار ، ١٥٨/٢ .
(٥) البصائر والذخائر ، ١٨٣ .
(٦) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ٧١/١-٧٣ ، المبرد ، الكامل ٢٢٥/٢ .
(٧) الجاحظ ،ن.م.١٦٣/١ .

العلم ابن أبي اسحاق (١)، وأبوعلي الاسواري الذي احتج بكلامه يونس ابن حبيب (٣)، وغيرهما ، لم يحتج بكلامهم ، وهم من أصل غير عربي ، إلا لأنهم نشأوا في أحضان العرب ولقنوا فصاحة العرب .

تزايد فشو اللحن وانتشاره كلما تأخر الزمن عن عصر النبي (ص) حتى بلغ من أمره أنه شاع بين خاصة المجتمع العربي ، كان الوليد بن عبد الملك يلحن (٣) ، وكان عمه بشر بن مروان ، يلحن أيضاً (٤) ، وحتى الكسائي ، رأس مدرسة الكوفة النحوية ، نقل عنه الفراء قوله : « ربما سبقني لساني باللحن فلا يمكنني أن أرده » (٥) * .

كان من الطبيعي أن يصير اللحن مألوفاً في لغة المجتمع العامة ، فهو يصيب الاحكام النحوية والصرفية (٦) ، وأحياناً يصيب الاسلوب فيشوه تركيب الجملة العربية نفسها ، بالاضافة الى الحكم النحوي والصرفي ، رُوي عن الزيادي أنه قال : « قلت لمن الشعر أصلحك الله ، قال لي سيدي أنا جوان بن دست الباهلي سيدي ، قلت : ليس جوان ودست ، عافاك الله ، من أسماء العرب ، قال : إيش عليك من ذا سيدي ، قلت :

(١) السيرافي ، أخبار النحويين ٦١ .
(٢) الجاحظ ، ن م، ٣٦٩/١ .
(٣) أيضاً ، ٢٠٤/٢ .
(٤) أيضاً ، ٢١١/٢ .
(٥) القفطي ، انباه الرواه ، ٢٦٣/٢ .
* وقد أفرد الجاحظ باباً خاصاً للحانين ، بالاضافة الى ذكر الكثير من لحن بعض أفراد هذه الطبقة ، البيان والتبيين ، ١ / ١٦٣ ، ٢/ ٢١١ ، ٢١٨/٢ ـ ٢٢٠ .
(٦) الجاحظ ، ن.م ٢٢٢/٢ .

فردد الصوت ، قال : تريد تقمشه ، كنك عقاب أو كنّي ما أعرفك ، ما تركت على كبد ابن عمي الاصمعي الماء وقد جئت إليّ ، طارت فراخ برجك طارت ...»(١) .

فان صح صدور هذا النص عن القرن الثالث *، وهو عصر الزيادي ، نجده يبين لنا لغة أخرى يتكلمها عامة المجتمع ، وتبتعد عن الفصحى في أحكامها ، وفي تركيبها ، وفي أسلوبها البياني أيضاً ، ولعل هذا الامر يفسر لنا كثرة ماذكر من كتب أو رسائل لعلماء البصرة وسمت بـ« ما يلحن فيه العامة » ، منها كتاب لأبي عبيدة وآخر لأبي حاتم السجستاني ، وثالث للمازني ، وللكسائي ، أيضاً ، كتاب بهذا الاسم .

الحث على تجنب اللحن :

لقد رويت نصوص كثيرة في الحث على تجنب اللحن وذم اللحانين ، اسند بعضها الى النبي (ص) ، والى الصحابة أيضاً (٢) ، وبغض النظر عن

(١) ياقوت ، معجم الادباء ، ٦٣/١ .

* وإن لم يصح صدور هذا النص عن القرن الثالث ، فهو صحيح الصدور عن القرن السابع الذي عاش فيه ياقوت الحموي ، وفي كلتا الحالتين يظهر لنا هذا النص مدى الشبه الكبير بين عامية ذلك العصر ، والعامية المعاصرة في بغداد خاصة ، ليس في التبسط في الاحكام النحوية واللغوية فحسب ، بل في شيوع مفاهيم وأمثال شعبية ما زالت متداولة لدى بعض فئات المجتمع .

(٢) اليغموري ، نور القبس ٢-٣ ، الجاحظ ، البيان والتبيين ٢١٩/٢ ، السيوطي ، الاتقان ، ١٧٩/١ .

صحة صدورها أوعدمه **، نجد انها كانت متساوقة مع ما هدف إليه علماء البصرة ، وهو هدف تعليمي محض .

تنبه المسؤولون بعد عصر الراشدين ، الى فشو اللحن وضرره على سلامة اللغة ، ولغة القرآن خاصة ، فشاركوا العلماء في عيب اللحن والحث على تجنبه ، وصف عبد الملك بن مروان ، اللحن ، بانه « أقبح من آثار الجدري في الوجه (١) » ، وتحرج ابنه مسلمه ، ان يسأل شيخاً يلحن في كلامه (٢) ، ثم انتقل هذا النشاط الى الشعراء فاتخذوا اللحن مادة هجاء ، قال يحيى بن نوفل في خالد بن عبد الله القسري :

وألحنُ الناسِ ، كل الناس قاطبة وكان يولع بالتشديق في الخطب (٣)

كان موقف السلطة والشعراء من هذه الظاهرة ، ردّ فعل تجاه أمر يهدد كيان الامة في أهم مقوماتها ، ويهدد كيان الدين في أهم أدواته ، وأعني اللغة وسلامتها .

أما موقف العلماء ، فكان صادراً عن سابق علم وتصميم ، بدافع من سلوكيتهم ومنهجيتهم التعليمية ، لقد تعددت مواقفهم في مكافحة هذه الظاهرة والحدّ من انتشارها ، اتسم موقف بعضهم بطابع التفكه أحياناً كما فعل أبو عمرو بن العلاء (٤) ، أو طابع الزجر أحياناً أخرى ، كما

** ان سمات الوضع والضعف في أغلب هذه الروايات واضحة بيّنة .

(١) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ٢١٦/٢ .

(٢) أيضاً ، ٢١٩/٢ .

(٣) أيضاً ، ٢١٧/٢ .

(٤) اليغموري ، نور القبس ٣ .

فعل الحسن البصري (١) ، أو طابع التوجيه والترغيب (٢) وعدّ اللحن إثماً يوجب الاستغفار ، كما نقل عن أيوب السختياني (٣) ، وكان للخليل بن أحمد ، موقف تعليمي واضح في ماتسب إليه من شعر في هذا الموضوع (٤) . لقد تحامل بعض الباحثين على النحاة بسبب موقفهم من اللحن فقال : « بلغ من نفوذ النحاة وسلطانهم ان وصفوا كل خروج على قواعدهم الاعرابية ، باللحن ، واصبح هذا اللحن وصمة وعاراً ... واصبح كافياً للحط من مكانة الرجل في الهيئة الاجتماعية » (٥) .

إن النحاة لم يتوصلوا الى فرض قواعدهم الاعرابية ويمدوا سلطانهم على المجتمع ، أيام عبد الملك ، حتى على فرض صحة الروايات القائلة بوضع واستنباط أبواب النحو ، أيام أبي الاسود الدؤلي ، وانما كان انتشار اللحن وفشوه ، هو الدافع الذي ولد ردّ فعل ، كاد يكون عفوياً ، في مكافحة هذه الظاهرة ، بذم اللحن ودفع من يلحن الى تعلم النطق الفصيح ، ان اللغة العربية معربة بطبيعتها ، والاخلال باعرابها يؤدى الى الاخلال بالمعنى ، وهذا يفسرلنا طبيعة الموقف الذي وقفته السلطة ووقفه العلماء إزاء هذه الظاهرة .

(١) الجاحظ ، البيان والتبيين ٢١٩/٢ .

(٢) الرازى ، أحمد بن حمدان ، الزينة في الكلمات الاسلامية ، ج٢القاهرة ١٩٥٧ص١١٧ .

الجاحظ ، البيان والتبيين ، ٢١٩/٢ .

(٣) ياقوت ، معجم الادباء ، ٢٠/١ .

(٤) الزبيدي ، طبقات النحويين ، ٤٦-٤٧ .

ياقوت ، معجم الادباء ، ١٤/١ ، باختلاف قليل .

(٥) أنيس ، د. ابراهيم ، من أسرار اللغة ، القاهرة ١٩٥٨ص١٨٥ .

تعريب الدواوين والدراسات البصرية :

بدأت حركة تعريب الدواوين والعملة ، في العصر الاموى ، ببداية العقد السابع من القرن الاول الهجرى ، فسارت حثيثاً ، وكان لها الاثر الكبير في ايجاد الشعور بالحاجة الى الدراسات اللغوية ، ثم في نشوئها وانمائها .

لقد استتبع هذه الحركة أبعاد من لا يجيد قراءة العربية وكتابتها ، وهذا يعني استبعاد أغلب كتاب الدواوين ، وأغلبهم موالٍ ، ومن هنا نشأت الحاجة الى طبقة أو فئة تحل محل الكتاب السابقين ، واستغرق ذلك زمناً ، فنشأت حركة تعليمية واسعة ، بالقياس الى ما كان قبلها ، وبنمو حركة التعليم وتوسعها نشأت فئة تجيد قراءة العربية وكتابتها ، فضمت الى صفوف القراء التقليديين قراء آخرين جدد ، كان القراء التقليديون يتلقون القراءة بطريق الرواية غالباً ، وكان القراء الجدد يقرأون نظراً ، فكان من الطبيعي ان يستلفت نظرهم ما تحويه الآيات القرآنية من أساليب في تركيب الجملة العربية وبنائها ، راقبوا أواخر الكلمات ، ووجدوا الاختلاف في حالاتها الاعرابية من رفع ونصب أو جر وجزم (١) ، ولابد أن استلفت نظرهم تغير المعنى بتغير الاعراب ، فنمت وأينعت الدراسات القرآنية بشكل عام ، الامر الذى ولد رغبة شديدة بقراءة القرآن مضبوطاً ، ومن هنا نجد ان « القرآن [كان] من أهم البواعث على وضع النحو والاسراع في وضعه ... » (٢) ، « التماساً

(١) حسن ، عباس ، رأي في بعض الأصول اللغوية والنحوية ، القاهرة ١٩٥١ ص ١٦ .

(٢) زيدان ، جرجي ، تاريخ آداب العربية ، ١٣/٢ .

للدقة في ضبط » معانيه (١) ، ومن هنا ، أيضاً ، يتبين لنا اصالة الحاجة العربية الى وضع هـذا العلم وانمائه بدافع ديني ولتد في نفوس المسلمين زخماً أقوى من غيره (٢) ، من الدوافع .

(١) زيدان ، جرجي ، تاريخ التمدن الاسلامي ، ٨٤/٣ .

(٢) السيد ، مدرسة البصرة النحوية ، ١٠٢ .

الدراسات القرآنية

نزل القرآن الكريم دستوراً ومنهجاً للمسلمين وتنظيماً لمجتمعهم فتناقلوا احاديث كثيرة صدرت عن النبي (ص) تحثهم على تعلم القرآن وتعليمه من نحو « خيرُكم مَن علِمَ القرآنَ وعلّمه »(١) ، أو تلاوته من نحو « مثل الذي يقرأ القرآن كالأترُجة طعمها طيّب وريحها طيب .. » (٢) ، أوتفهم أحكامه والايمان بما جاء به من مثل « قارىء القرآن التابع له لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة »(٣) ولم يكن الحث على العناية بالقرآن ، تلاوة وفهما ، مقتصراً في صدوره عن النبي (ص) وحده ، بل تداول المسلمون أحاديث أخرى صدرت عن أئمة آل البيت (ع) كقول الصادق (ع) « ينبغي للمؤمن أن لا يموت حتى يتعلمَ القرآنَ أو يكون في تعليمه (٤)» ، وأحاديث أخرى غيرها ، ذهب أحدها الى تيسير وتبسيط مفهوم ختم القرآن كقول الرسول (ص) : « ختّم القرآن الى حيث تَعلَم » (٥) .

(١) البخاري ، محمد بن اسماعيل بن المغيرة ، صحيح البخاري ج٦ القاهرة لا.ت ص ٣٢٩ .

(٢) أيضاً ص ٣٢٧ .

(٣) الديلمي ، الحسن بن أبي الحسن ، ارشاد القلوب ج١ نجف لا.ت ٧٦ـ٧٧ .

(٤) الكليني ، محمد بن يعقوب ، أصول الكافي ج٢ طهران ١٣٨٨ هـ ص ٤٤٤ .

(٥) أيضاً ج٢/٤٤٨ .

لقد اتجهت عناية المسلمين الى هذا الكتاب الكريم ، أمة ودولة ، فجمعوه في مصحف على عهد الخليفة الاول بعد جمعه على عهد الرسول(ص)(١)، في صحف وعسب وغيرها ، وهذا الرأي « لا يقبله المستشرقون » !!(٢)، ثم وحدوا نصه في عهد الخليفة الثالث (٣) ، وانكبوا عليه يتدارسوه فيقرأوه ويقرؤنه . كانت الدراسات القرآنية ، على ما يظهر ، قد بدأت بتفسير بعض آياته أو توضيح بعض كلماته فالتمسوا مصاديق ذلك في « أشعار العرب ... واكثر ماكان هذا ... في زمن ابن عباس ... فهو الذي سنّ ذلك للمفسرين » (٤) .

ان تفسير القرآن لم يكن على ما يبدو وليد زمن متأخر عن التنزيل كثيراً ، فهناك أشارات تفيد أن عمر بن الخطاب (رض) كان قد سأل عن معنى بعض الآيات (٥). أماتفسير القرآن بالشعر كما نقل عن ابن عباس في اجاباته عن سؤالات نافع بن الازرق فتكون أولى المحاولات التفسيرية للقرآن بهذا الاسلوب .

وهذه المحاولات ، تَمَنّ ، فحاول المسلمون استيعاب كلام العرب ما أمكنهم ذلك كي يستطيعوا بما يصلوا اليه ، من تفسير « آيات الله

---

(١) الحكيم ، محمد باقر « ثبوت النص القرآني » رسالة الاسلام عدد ٩ـ١٠/ آب /١٩٦٨ص١٤ـ٢٨ .

(٢) السجستاني ، عبدالله بن أبي داود بن سليمان ، كتاب المصاحف ، القاهرة ١٩٣٦ ص٥ مقدمة المستشرق .

(٣) المخزومي ، مدرسة الكوفة ص ١٦ .

(٤) الرافعي ، تاريخ آداب العرب ٣٣٥/١ .

(٥) السيوطي ، الاتقان في علوم القرآن ، ١٧٣/٢ .

البينات ، وكان أول اتجاه للعناية اللغوية هو رغبة دينية محض » (١) ، ومن نمو هذه المحاولات في التفسير وفي ملاحظة الشعر الجاهلي ودراسته والالمام بالمفردات اللغوية بالاضافة الى عوامل أخرى منها اللحن وفشوه ، أخذت الدراسات القرآنية اتجاهات أخرى هادفة الى سلامة النص القرآني وسلامة قراءته . فكان اعرابه بالنقط من مهام علماء البصرة ، وهذه الخطوة على ما يبدو لم تكن كافية تماماً فقد ندّت الحاجة الى خطوة أخرى تلتها هي اعجام حروفه ، ومن هنا ظهر لعلماء البصرة آفاق جديدة في هذه الدراسات فتابعوها « وتعلقوا باسبابها فاذا هذه الدراسـ [ـات] الجديدة كائن متميز نما بين الدارسين سريعاً » (٢) .

لقد زعم بعض الباحثين ان هذه الدراسات كانت قد أفقدت اللغة كثيراً من مفرداتها الجاهلية ولهجات أطراف الجزيرة ، الاقليمية (٣)، ويبدو ان هذه النتيجة طبيعية بسبب ان عناية العلماء كانت منصبة على القرآن حفاظاً عليه وليس حفاظاً على تلك اللهجات .

وبنمو هذه الدراسات ، أخذ التخصص يظهر بوضوح في أبحاث العلماء البصريين والكوفيين ، على السواء ، لقد اختلف البلدان في هذه الدراسات شكلا ، لا موضوعاً ، فاخذت البصرة مهمة العناية بالجانب اللفظي واللغوي من القرآن الكريم ، على حين أخذت الكوفة مهمة العناية بمضمون القرآن

---

(١) عطار ، أحمد عبد الغفور ، مقدمة الصحاح ، ج ١ ، القاهرة ١٩٥٦ ص ٤٣ .

(٢) المخزومي ، مدرسة الكوفة ، ص ٣٣ .

(٣) الصالح ، د. صبحي ، دراسات في فقه اللغة ، بيروت ١٩٦٨ ص ٥٩ ـ ١١٦ .

السامرائي ، د. ابراهيم ، دراسات في اللغة ص ١٦، ٧٠ .

وأحكامه ، فكانت البصرة سباقة الى علوم العربية ، وكانت الكوفة معهداً لعلوم الفقه والتفسير .

لقد تبلورت من هذه الدراسات ثلاثة اتجاهات دراسية ، هدفت كلها ، الى العناية بالقرآن لفظاً ومضموناً .

كان الاتجاه الاول يضم العلماء الذين غلبوا على نشاطهم مهمة نقل النص القرآني ، متخذين سبيل السند والرواية ، وهم القراء .

وكان الاتجاه الثاني يضم جماعة العلماء الذين أخذوا على عاتقهم مهمة العناية بمضمون القرآن، وبآيات الاحكام الشرعية خاصة ، وهم جماعة الفقهاء .

أما الاتجاه الثالث ، فكان يهدف الى العناية بلفظ القرآن ، دراسة وإعراباً ، بغية ضبط معاني الآيات بضبط نحوها ، وكان رجال هذا الاتجاه ، هم علماء واللغة النحو .

لم تكن هذه الاتجاهات مستقلة متميزة أول الأمر ، لذا نجد اكثر من عالم يعني بمهمة اكثر من طائفة ، كأن يكون قارئاً ونحوياً أو لغوياً ، أو يكون فقيهاً وقارئاً ، أوفقيهاً ونحوياً ، لأن هذه العلوم لم تكن قد أخذت شخصيتها العلمية بعد ، كما أنها لم تخالف طبيعة الاشياء في نموها .

وسنحاول دراسة كل من هذه الاتجاهات ، خاصة الاتجاه الثالث ، بشيء من التفصيل ، لكونه من مهام البحث الرئيسة .

الاتجاه الاول :

القراء والقراءات في البصرة

يذكر ابن خلدون ان فشو الامية أيام النبي (ص) والصحابة والتابعين ، كان السبب في تسمية حملة القرآن بالقراء (١) ، فكان القراء أهل الفتيا منذ ذلك الوقت ، وان اقراء القرآن وتحفيظه كان بطريق السماع في الغالب (٢) .

لا شك ان هذه الطريقة في نقل النص القرآني تؤدي الى تغيير بعض الاحكام الاعرابية نتيجة للسهو ، أو الخطأ ، أو الرأي ، فيستتبع هذا التغيير في الاحكام الاعرابية ، تغيير في المعنى أيضاً ، وغالباً ما يمس الحكم الشرعي الذي جاءت به الآية ، أو حتى الكلمة القرآنية ، كما في قراءة « يَطْهُرْنَ » و « يَطَّهَّرْنَ » (٣) ، ومن هنا تعددت القراءات فاقتصر على سبع لدى بعض القراء ، وعلى عشر قراءات لدى آخرين ، وروّي في ذلك أحاديث عن النبي (ص) تفيد ان القرآن أنزل على سبعة أحرف ، كترجيح للقراءات السبع ، وقد عللت وفسرت هذه الرواية بأن القرآن كان قد انزل بسبع لهجات عربية (٤) .

يرى السيد الخوئي ان القراءات لم تكن متواترة عن النبي(ص)، وانما

(١) المقدمة ٥٤٣ .

(٢) أيضاً ٤٤٦ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ٢٢٢ .

(٤) طه حسين ، في الادب الجاهلي ، ٩٥ـ١٠٧ .

هي محض اجتهادات من القراء أنفسهم ، وان ما ذكر من الروايات في « نزول القرآن على سبعة أحرف لا يرجع الى معنى صحيح ، فلابد من طرح الروايات الدالة عليه » (١) .

لعل ما يعزز هذا الرأي ، حتى عند القراء أنفسهم ، هو ماقاله المعري من أن « أصحاب العربية مجمعون على قراءة حمزة :(وما أنتم بمصرخيّ) بكسر الياء ، وقد روى ان أبا عمر بن العلاء سئل عن ذلك فقال إنه لتحسّن" تارة الى فوق وتارة الى أسفل ، يعني فتح الياء في مصرخي وكسرها ، والذين نقلوا هذه الحكاية يحتجون بها لحمزة ويذهبون الى أن أبا عمرو أجاز الكسر لالتقاء الساكنين ، وان صحت الحكاية عنه فما قالها الا متهزأً على معنى العكس »(٢) .

ولا يخفى ان أغلب شيوخ البصرة كانوا قراءاً في طور من أطوار حياتهم العلمية ومنهم من استطاع الجمع بين القراءة والاقراء وعلوم العربية ، وقد عرفت احدى القراءات باحد هؤلاء الشيوخ ، أعني أبا عمرو بن العلاء (٣) ، وقد قيل عنه انه كان يقرىء الناس في مسجد

(١) البيان في تفسير القرآن ، جا ، النجف ١٣٨٥هـ ، ص ١٨٧ـ٢١١ ، جبار حمودي ، « القراءات القرآنية » بحث منشور في مجلة رسالة الاسلام العدد ٧ـ٨ السنة الرابعة ١٩٧٠ـ١٣٩٠ .

(٢) رسالة الغفران ، القاهرة ١٩٥٠ ، ص ٤٤٧ـ٤٤٨ .

(٣) السيرافي ، أبو الحسن بن عبد الله ، أخبار النحويين البصريين ، القاهرة ١٩٥٥ص٢٢ .

ابن الجزري ، محمد بن محمد ، غاية النهاية في طبقات القراء ، جا القاهرة ١٩٣٢ ص ٢٨٨ .

الدينوري ، مسلم بن قتيبة ، المعارف ، القاهرة ١٩٣٤ص٢٣٠ . =

البصرة (١) ، كذلك عدّ يعقوب بن اسحاق بن عبد الله بن أبي اسحق من القراء العشرة وهو عالم بصري أيضاً (٢) .

ولم يقتصر أمر القراءة والاقراء على هؤلاء فحسب ، فقد كان أبو الاسود قارئاً أخذ القراءة عن علي (ع) وعثمان (رض) واقرأ كثيرين ، منهم نصر بن عاصم (٣) وكان قارئاً أيضاً (٤) ، وصفوه بأنه « كان من أقصد الناس طريقاً في القراءة » (٥) ، كذلك كان عبد الرحمن بن هرمز قارئاً (٦) ، وابن أبي اسحاق (٧) الذي زامل أبا عمرو بن العلاء في أخذه القرآن عن نصر (٨) ، وان عيسى بن عمر وهارون بن موسى كانا تلميذين لهما ، وصفوا الأخير بانه كان ذا « قراءة معروفة » (٩) ، وان

= الخوانساري ، محمد باقر ، روضات الجنات جـ٢ طهران ١٣٤٧هـص٢٩٨ .

(١) الزبيدي ، محمد بن الحسن ، طبقات النحويين واللغويين ، القاهرة ١٩٥٤ ص ٢٨ ..

(٢) ابن الجزري ، غاية النهاية ٣٨٨/٢ .

(٣) أيضاً ٣٤٦/١ .

(٤) السيرافي ، ن.م ، ص ١٦ .

(٥) القفطي ، علي بن يوسف ، أنباه الرواة على أنباء النحاة جـ٣ القاهرة ١٩٥٥ ص ٣٤٣ .

(٦) ابن النديم ، الفهرست ، ٥٩ـ٦٠ .

(٧) السيوطي ، البغية ٤٢/٢ ، الخوانساري ، الروضات ٢٩٨/٢ ، الدينوري المعارف ٢٣ .

(٨) الانباري ، نزهة الالباء ، ط مصر ، ص ١٨ .

(٩) ابن الجزري ، غاية النهاية ٣٤٨/٢ .

عيسى كانت تروى عنه قراءات (١) ، وعدّ الجاحظ يونس بن حبيب أحد ثلاثة لم يكن أحد أقرأ منهم بالقرآن بعد أبي موسى الاشعري (٢) .

لقد استمر شيوخ البصرة في جمعهم بين القراءة وعلوم اللغة الى عصر متأخر نسبياً فيحيى بن المبارك اليزيدي كان « الغاية في قراءة أبي عمرو وبروايته يقرأ أصحابه » (٣) ، وكان لسهل بن محمد السجستاني كتاب في القراءات يفخر به أهل البصرة (٤) ... وانه « كان إماماً في علوم القرآن والشعر » (٥) ، و « في غريب القرآن واللغة » (٦). كذلك نجد علماء آخرين اختصوا بالقراءة ولم يوزعوا نشاطهم العلمي في اتجاهات دراسية أخرى منهم ، الحسن البصري الذي قرأ على أبي موسى الاشعري واقرأ عيسى بن عمر (٧) ، وعنه أخذ عمرو بن عبيد (٨) ، رأس المعتزلة ، ورفيع بن مهران الملقب بأبي العالية الرياحي (٩) ، وعاصم بن أبي الصباح الجحدري ، وكان قد قرأ على نصر ويحيى وأقرأ عيسى بن عمر أيضاً (١٠) ، وعصمه بن الورد الفقيمي كان قد قرأ على أبي عمرو بن

(١) السيرافي ، أخبار النحويين ص ٢٥ .
(٢) الجاحظ ، البيان والتبيين ٣٦٨/١ .
(٣) السيرافي ، ن م، ص٣٦ .
(٤) القفطي ، انباه الرواه ٥٨/٢ .
(٥) السيوطي ، البغية ٦٠٦/١ـ٦٠٧ .
(٦) ياقوت ، معجم الادباء ٥٨/٤ .
(٧) ابن الجزري ، غاية النهاية ٢٣٥/١ .
(٨) أيضاً ٦٠٢/١ .
(٩) أيضاً ٢٨٤/١ .
(١٠) أيضاً ٢٤٩/١ .

العلاء (١) ، وقتادة بن دعامة السدوسي روى قراءته عن مالك بن أنس (٢) ، وممن تأخر زمناً وعد من القراء العشرة ، كان يعقوب بن اسحاق ابن عبد الله ابن أبي اسحاق (٣) .

الإجتهاد النحوي في بعض قراءات البصريين :

قالوا ان « حروف أهل العراق ... أربع عاصم ، وحمزة ، والكسائي ، وأبي عمرو (٤) » . وكانت واحدة من هذه القراءات قد اختصت بها البصرة ، هي قراءة أبي عمرو بن العلاء ، وكان قد خالف غيره من القراء في مواضع معينة من القرآن الكريم ، منها أنه قرأ « إنّ هذين لساحران » (٥) ، وكان يقرأ اللائي « بياء ساكنة بدلا من الهمزة »(٦) سواء في الوقف أم في غير الوقف (٧) .

ويبدو ان أباعمرو كان يخالف مواضع الادغام فيدغم الراء في اللام وقد اعتذر عنه بان العلماء « ينسبون الغلط في ذلك الى الراوي لا الى أبي عمرو ولعل أباعمرو أخفى الراء فخفي على الراوي فتوهمه ادغاماً»(٨).

(١) ابن الجزري ، غاية النهاية ٥١٢/١ .
(٢) أيضاً ٢٥/٢ .
(٣) أيضاً ٣٨٨/٢ .
(٤) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص٣٩ .
(٥) ابن فارس ، الصاحبي ، ص١١ .
(٦) سورة طه الآية ٦٣ .
(٧) العكبري ، أبو البقاء ، التبيان في شرح الديوان ، ج٣ ، القاهرة ١٩٥٦ ص ٢٥١ .
(٨) الانباري ، عبد الرحمن بن محمد ، أسرار العربية ، دمشق ١٩٥٧ ص ٤٢٥ ـ ٤٢٦ .

وكان يقرأ ، مع عيسى بن عمر ، الآية الكريمة « ياجبال أوّبي معَهُ والطيرَ ويختلفان في التأويل ، كان عيسى بن عمريقول : على النداء كقولك يازيدُ والحارثَ وكان أبو عمرو يقول : لو كانت على النداء لكانت رفعاً ولكنها على أضمار وسخرنا الطيرَ كقوله : على أثر هذا ولسليمان الريحَ ، أي سخرنا الريحَ » (١) .

واختلافهما هذا لا شك ناتج عن اجتهادهما في هذه القراءة ، فأبو عمرو يراه معمولا لفعل مضمر على حين يوجهه عيسى بن عمر بالعطف على المنادى ، وقد قيل عنه انه ذو « اختيار في القراءات على قياس العربية » (٢) .

وقالوا أيضاً ، ان عيسى بن عمر كان يفزع الى النصب حين اختلاف القراءات فاشترك مع ابن أبي اسحاق في قراءة « ياليتنا نُرَدُّ ولا نكذبَ بآياتِ ربّنا ونكونَ من المؤمنين » (٣)(٤) ، فخالف في ذلك بعض الشيوخ من معاصريه ،كان أبوعمرو بن العلاء ويونس بن حبيب والحسن البصري يرفعون ، نرد ، نكذب ، نكون ، وقد نقل ابن سلام ان سيبويه رجح قراءتهم وعلل قراءة من قرأ بالنصب بانهم « سمعوا قراءة ابن أبي اسحاق فاتبعوه » (٥) على حين نجد ان سيبويه قد درس هذه الآية وتعرض لوجهي الرفع والنصب ولم يرجح أحد الوجهين (٦) .

(١) ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء ، القاهرة ١٩٥٢ص١٩ .

(٢) ابن الجزري ، غاية النهاية ٦١٣/١ .

(٣) ابن سلام ،ن.م، ص١٨ .

(٤) سورة الانعام ، الآية ٢٧ .

(٥) ابن سلام ،ن.م، ص ١٩ .

(٦) الكتاب ٤٢٦/١ .

الاتجاه الثاني :

الفقهاء والمحدثون في البصرة

عنيت هذه الطائفة في دراستها بتفهم الاحكام الواردة في القرآن والسنة ولما أعوزتها النصوص لجأت الى الاجتهاد ثم الاخذ بالرأي والقياس .

وبجهود هذه الطائفة نشأ ونما علم الفقه ، ونما بنموه علم الاصول فيما بعد (١) ، فتعددت المذاهب الفقهية وتنوعت نتيجة لهذه الدراسات .

لم تعرف البصرة بمذهب فقهي من المذاهب المعروفة ، ان استثنينا المذهب المالكي ، ذلك ان مالك بن أنس لم يعش عمره في البصرة بل قضى فيها زمناً ما .

أما الحديث فكان يُروى ويدرس في محافل البصرة العلمية جنباً الى جنب مع القراءة والعربية ، شأنه شأن الدراسات القرآنية في أول أمرها ومع ذلك نجد بعض العلماء من البصريين كانوا قد اختصوا بالحديث وعرفوا بروايته كشعبة بن الحجاج وحماد بن زيد ومعاذ بن معاذ الذي ولي قضاء البصرة للرشيد وتوفي بها (٢) .

والى جانب هؤلاء ،كان هناك علماء قد جمعوا في دراساتهم بين العربية والحديث ، فأبو الاسود كان قد روى عن علي (ع) وعمر وأبي ذر وابن عباس (رض) (٣)، ويحيى بن يعمر روى عن ابن عباس وابن عمر وروى

(١) الصدر ، محمد باقر ، المعالم الجديدة للاصول ، نجف ١٣٨٥ هـ ص ٤٦ ـ ٤٨ .

(٢) ابن قتيبة ، المعارف ، ٢١٩ـ٢٢٣ .

(٣) ياقوت ، معجم الادباء ٢٨٠/٤ـ٢٨٢ .

عنه أيضاً (١) ، وابن أبي اسحاق روى عن جده عن علي (ع) (٢) وأبو عمرو بن العلاء يروى عن أنس بن مالك (٣) ، ويروى الخليل عن أيوب السختياني وعاصم الاحول (٤) . وكان هناك علماء آخرون يروون عن اكثر من محدث كأبي زيد الانصارى (٥)، وأبي عمر الجرمي (٦)، وقالوا عن حماد بن سلمه انه كان « شيخ أهل البصرة في الحديث والعربية والفقه [ورُوى عنه] بضعة عشر ألف حديث »!(٧) .

كان بعض العلماء يجد حرجاً ، احياناً ، من رواية الحديث ، ولعل ذلك بسبب كثرة الوضع فيه ، ذكروا عن روح بن عبادة انه قال : « كنا عند شعبه فضجر من الحديث فرمى بطرفه فرأى سعيد بن أوس في أخريات الناس فقال : يا أبا زيد

استعجَمتْ دارُ مَيٍّ ما تَكلّمُنا والـدارُ لوكلّمتنا ذات اخبارِ

إليّ أبا زيد ، فجاءه ، فجعلا يتناشدان الاشعار، فقال بعض أصحاب الحديث : يا ابا بسطام ، نقطع اليك ظهور الابل لنسمع منك حديث رسول الله (ص) فتدعنا وتقبل على الاشعار؟ قال : فرأيت شعبة قد غضب غضباً شديداً ثم قال : يا هؤلاء أنا أعلم بالاصلح لي أنا والله الذي لاإله

(١) السيرافي ، اخبار النحويين ١٧ .
(٢) السيوطي ، البغية ٤٢/٢ . الخوانساري ، الروضات ٢٩٨/٢ـ٢٩٩ .
(٣) الحنبلي ، الشذرات ٢٣٧/١ .
(٤) ياقوت ـ ن.م ـ ١٨١/٤ـ١٨٣ .
(٥) أيضاً ٢٣٨/٤ ، البغدادي ، تاريخ بغداد ٧٧/٩ـ٨٠ .
(٦) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ١٧٨/٢ ، السيرافي ، اخبار النحويين ٥٦.
(٧) ياقوت ، معجم الادباء ١٣٥/٤ـ١٣٦ .

إلا هو ، في هذا أسلم مني في ذلك (١) » .

وقريب من ذلك ما كان من شأن سماك بن حرب بن أبي سعيد ، « قال حماد الكاتب كنا نأتي سماك بن حرب نسأله عن الشعر ويأتي أصحاب الحديث فيقبل علينا ويدعهم ويقول هؤلاء ثقلاء »(٢) .

وذكروا ان ابن شهاب الزهري كان أول من دون علم الحديث في عهد عمر بن عبد العزيز (٣) ، مما يوحي بأن هذه الخطوة كانت خطوة بدائية في برمجة هذا العلم وصيرورة الكتابة طريقة من طرق نقل الحديث ، ولكن ما يضفى صفة المنهجية في العلم هو التصنيف فيه ، وكانت هذه الخطوة من مهام علماء العربية في البصرة .

ذكروا أن أول من قام بمثل هذا العمل هو أبو عبيدة إذ صنف كتاباً في غريب الحديث (٤) ، وقالوا ان النضر بن شميل نافسه في هذه الاولوية (٥)، ولايعنينا أمر الاولوية ذلك انهما من علماء العربية وانهما متعاصران وعملهما هو الذي يعنينا ، لانه يوضح ويثبت ان علماء العربية كانوا ملتفتين الى مايرد في متون الاحاديث من ألفاظ تستوجب الدراسة والتسجيل ، فاغنوا البحوث اللغوية والنحوية بها ، ويظهر أيضاً مدى ارتباط هذه الدراسات بتفسير القرآن الكريم ، المنطلق الاول لها ، ذلك ان الحديث في « غالب موارده تفسير وشرح (٦) » للقرآن الكريم .

(١) القفطي ، انباه الرواه ٣٢/٢ـ٣٣ .
(٢) الزبيدي ، طبقات اللغويين ١٧٦ .
(٣) السيوطي ، جلال الدين ، الوسائل الى مسامرة الاوائل ، بغداد ١٩٥٠ ص ١١٢ . (٤) ياقوت ، معجم الادباء ١٦٤/٧ـ١٧٠ .
(٥) السيوطي ، الوسائل ، ١١٤ .
(٦) ابن خلدون ، المقدمة ، ٥٤٣ .

الاتجاه الثالث :

العناية بلفظ القرآن واعرابه

أخذت هذه الطائفة على عاتقها العناية بالجانب اللفظي من النص القرآني فنهجت في سبيل تنفيذ هذه المهمة ، منهج ضبط النص القرآني نفسه ، بدراسته واعرابه هادفة في ذلك الى ضبط معاني آياته بضبط لفظها وصحة تلاوته ، ولعل ما قام به أبو الاسود كان أول عمل منظم لهذه الطائفة .

نقط ابي الاسود :

« إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط فوقه على اعلاه ، فان ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف ، وان كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف ، فان اتبعت شيئاً من ذلك غنة ، فاجعل مكان النقطة نقطتين ... » (١) .

لقد تكرر هذا النص عند المؤرخين منسوباً الى أبي الاسود حين أمر به الكاتب الذي اختاره لمساعدته في عملية نقط الحروف ، والرواية التي ذكروها حول نقط القرآن ترينا ان أبا الاسود كان متروياً في عمله يختار من يعتمد عليه في مشاركته ، كما أنه اصطنع ألفاظاً منسجمة تماماً مع حركات الفك والشفتين ، فكان هذا العمل « أول رمز رمز به لاحوال أواخر الكلمات » (٢) ، وهي خطوة ابتغي منها ضبط لفظ القرآن بشكل

(١) السيرافي ، أخبار النحويين ، ص١٢ .

(٢) المخزومي ، مدرسة الكوفة ٢٤٣ .

صحيح خالٍ من اللحن الذي فشا حينذاك ، فهي خطوة « مضادة لانتشار اللحن » (١) ، وقد وضعت « عند أواخر الكلمات لتدل على حركاتها بشكل يبعد القارىء عن الخطأ (٢)» ، ومكنت « أن يصبح الخط العربي ، باستعمالها ، صوتياً تماماً وبصورة ارادية » (٣) .

ان أبا الاسود ، بطبيعة الحال ، لم ينقط مصاحف كثيرة ، بل نقط نسخة ثم كتبت نسخ أخرى منقوطة بأمر الدولة ، وهذا يعني ان النقط لابد له ان ينتشر وان يتعلمه الآخرون بشكل مباشر أو غير مباشر من أبي الاسود نفسه أو من غيره ، ومن هنا يظهر الاسلوب التعليمي المبرمج في عمل هذه الفئة .

نقط نصر :

ويظهر ان نقط أبي الاسود وضبطه لاواخر الكلمات لم يكن كافياً لحفظ لغة القرآن وصيانتها من اللحن والتحريف والتصحيف وذلك بسبب تشابه الحروف في صورها واشكالها في اللغة العربية والتي تستعصي معرفتها على الكثيرين أحياناً ، « فاحدثوا الاعجام فكانوا يتبعون النقط بالاعجام فاذا أغفل الاستقصاء على الكلمة ... التمسوا حيلة فلم يقدروا فيها إلا على الاخذ من أفواه الرجال (٤) » .

(١) الدجيلي ، عبد الكريم ، شرح وتحقيق ديوان أبي الاسود ، بغداد ١٩٥٤ ص ٦٨ .

(٢) السامرائي ، عامر رشيد ، آراء في العربية ، ص٨٣ .

(٣) جب ، هـ . أ ، المدخل في الادب العربي ، ترجمة كاظم سعد الدين ، بغداد ١٩٦٩ ، ص ١٧ .

(٤) العسكري ، الحسن بن عبد الله ، شرح مايقع فيه التصحيف ، جا القاهرة ١٩٦٣ ص ١٣ ، ابن خلكان ، الوفيات ٣٤٤/١ .

كان نقط نصر يهدف الى التفريق بين أشكال الحروف المتشابهة فكان عمل نصر في اعجام الحروف هو الاساس « لـترتيب الحروف الهجائية ترتيباً جديداً هو آ ، ب ، ت ، ث ... الخ »(١)، بعد ان كانت معروفة بالترتيب الابجدي .

ويبدو ان الامر اختلط على بعض الرواة فلم يميزوا بين النقطين فقالوا ان نصر بن عاصم كان « أول من نقط المصاحف (٢) »، واشرك بعضهم مع ابي الاسود ونصر، الحسن البصري، أويحيى بن يعمر العدواني (٣)، ونص أخرون على ان يحيى كان « أول من نقط المصاحف (٤) ».

ان اسناد النقط الى يحيى بن يعمر ، أمر بعيد عن الواقع إذا اعتمدنا على نصوص أقدم من النصوص التي اسندته الى يحيى .

نقل الجهشيارى « ت : ٣٣١ هـ » ومعاصره المرزبانى « توفي ٣٨٤ هـ » ان يحيى بن يعمر كان كاتباً ليزيد بن المهلب في خراسان ، ونص المرزبانى على انه "ولد هناك ثم استقدمه الحجاج لاعجابه باسلوبه في الكتابة وفصاحته فسأله وارجعه الى خراسان (٥) .

ومع ان المؤرخ السجستانى كان قد عاصر هذين المؤرخين «ت٣١٦هـ» وهو الـذي ذكر اسناد النقط الى يحيى وتابعه ابن الجزري في ذلك

(١) المخزومى ، الخليل بن أحمد ٢١ .

(٢) ابن الجزري ، غاية النهاية ٣٣٦/٢ ، السيوطي ، الوسائل ١١١ .

(٣) السيوطي ، ن.م ١١١ .

(٤) السجستانى ، عبد الله بن سليمان بن الاشعث ، كتاب المصاحف ، القاهرة ١٩٣٦ ص ١٤١ ، ابن الجزرى ، ن.م. ٣٨١/٢ .

(٥) اليغمورى ، يوسف بن أحمد ، نور القبس ، فيسبادن ١٩٦٤ ص٢٠-٢١ ، الجهشيارى ، الوزراء والكتاب ٤١-٤٢ .

« ت ٨٣٣ »، ولافتقار روايتيهما الى الثقة كما ذكرنا ، يظهر لنا ان يحيى لم يصاحب الحجاج طويلاً والتالي لم يكتب له عما يتنافي مع ماذكر من نقطه للمصحف ، بل ولم يشارك نصراً في اعجام القرآن كما رجح احد الباحثين (١) .

عصر النقط والاعجام :

ذكر بعض المؤرخين ان نقط القرآن واعجامه كان معروفاً منذ عصر الصحابة وانهم تعمدوا اخلاء المصاحف منهما حين وحدوا النص القرآني في عهد عثمان « رض » ، لتستقيم قراءة القرآن مع القراءات المتعارف عليها ، و « لتكون دلالة اللفظ الواحد على كلا اللفظين المنقولين المسموعين المتلوين » (٢) .

ان هـذا القول يحمل كثيراً من الشك ، فلو كان النقط والاعجام معروفين لكانا من صلب الكتابة التي حفز النبي (ص) الناس اليها ، وتعمد الصحابة اخلاء المصاحف منهما هو دفع لرغبة النبي (ص) ، والذي يظهر ان هذا الخبر أتى به توثيقاً للقراءات المعروفة . وذكر مؤرخ آخر ان الاعجام كان معروفاً قبل الاسلام وتناساه الناس حتى أحياه عبد الملك بن مروان (٣). على حين نجد الحقائق التاريخية والكتابة التي اكتشفت تخالف هذه المقولة وتدفعها .

لقد رجح الدكتور الاسد نص ابن الجزري ودعمه بأبيات وردت في

(١) شلبي ، د . عبد الفتاح اسماعيل ، أبو علي الفارسى ، القاهرة ١٣٧٧ هـ ص ١٦ .

(٢) ابن الجزرى ، النشر في القراءات العشر ٣٣/١ .

(٣) الزنجانى ، أبو عبد الله ، تاريخ القرآن ، بيروت ١٩٦٩ ص٨٩ .

شعر طرفه بن العبد والمرقش ، وذكر ان ورقـه بردى وجـدت منذ عهد عمر بن الخطاب «رض» « بعض حروفها منقوط معجم (١) » واخرى من عهد معاوية اكثر حروفها « التي تحتاج الى نقط منقوطة معجمة » ، ولو صح ذلك ، لما تواترت الروايات عن الحاجـة الى نقط القرآن واعجامه فيما بعد .

اصالة النقط :

زعموا أن النقط ماخوذ عن مصدر غير عربى ، وان أبا الاسود كان قد اخذه عن السريانيين ، وعن يعقوب الرهاوى بالذات ، والحجة الرئيسة في ذلك ان أبـا الاسود والرهاوي كانا قـد تعاصرا زمناً وان النقط في العربية وفي السريانية متشابهان شكلا .

قال جرجى زيدان ، ان الرهاوى وضع نقطة قبل ابى الاسود (٢) ، ورجح ذلك باحثون آخرون (٣)، وقيل ان « طريقة الشكل .. هى اللبنة الاولى في بناء النحو العربى فقد استمدها أبو الاسود الدؤلي من النحـاة السريانيين ونحن نقرر مبدئياً بانه ليس في ذلك ما يضير النحو العربى ولا ما يقلل من قيمة مجهود ابى الاسود فيه (٤) » .

(١) د. ناصر الدين ، مصادر الشعر الجاهلي ، القاهرة ١٩٥٦ص٣٤ـ٤٠.
(٢) زيدان ، جرجى ، تاريخ التمدن الاسلامى ٨٥/٣ ، ٦١/٣ .
(٣) الدجيلي ، شرح ديوان ابى الاسود ص٦٩ .
مكرم ، عبد العال سالم ، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية القاهرة ١٩٦٨ ص٥٥ ويسند هذا الرأى الى الدكتور مصطفى نظيف ، مجلة المجمع اللغوى ج٢٤٨/٧ .
(٤) عون ، د. حسن ، اللغة والنحو ، القاهرة ١٩٥٢ ص٢٤٨ .

ويبدو ان هذه المعاصرة لاتعني ان أباالاسود أخذ عن يعقوب الرهاوى شيئاً بل يبدو ان العكس أقرب الى الصحة .

ان وفاة أبي الاسود ـ على ارجح الروايات ـ كانت في عام ٦٩ هـ وهذا يعادل عام ٦٨٨ للميلاد .

ولاشك ان أبا الاسود كان قد وضع النقط قبل عام وفاته ، وقيل في عهد زياد بن أبيه ـ على اكثر الروايات وأرجحها ـ وهذا يعني ان النقط كان قد أحدث فى العقد الخـامس للهجرة على وجه التقريب وهو يقـابل ٦٦٩م ـ ٦٧٩م .

وذكر جرجى زيدان ان الرهاوى كان قـد توفي عام ٤٦٠م (١) وهو خطأ يبدو مطبعياً ، ذلك ان دائرة المعارف البريطانية ـ تذكر ان الرهاوى ولد عام ٦٤٠م وتوفي عام ٧٠٨م ولم تتطرق الى وضعه للنقط أو الشكـل بـل وصفته بانـه نحوي ومهندس ومؤرخ . كرس حياته للتدريس (٢) ، وهذا يعني ان أبا الاسود والرهاوى قد تعاصرا حقيقة ، ولكنه يعني أيضاً ان الرهاوى حينما أحدث أبو الاسود النقط ، كان في عمر يتراوح مـا بين ٢٠ـ٣٠ عاماً .

ثمة أمر آخر يجعل الشبه بين النحويْن واقعاً ، هو السبب والدافع الى نشوء كـل منهمـا فالفتوح العربية أضعفت مركز اللغـة السريانيـة وزحزحتها من الحياة العامـة الى حياة الكنائس والبيوت السريانية فظهر الفرق بين اسلوب الكلام في الحالتين وه تبين للسريانيين حوالي عام ٧٠٠م

(١) زيدان ، جرجي ، تاريـخ آداب اللغة العربية ، القـاهرة ١٩٥٧ ج ٢٥١/١ .
(٢) *Enc. Brit. Vol. 12. P.834-835*

انه قد أصبح من الواجب وضع قواعد ... للغتهم »(١) .

ولكن هل وضعوا قواعدهم قبل القواعد العربية ؟

قلنا قبل سطور ان الراجح هو العكس ولعل ما يعزز هذا الترجيح هو ما قاله القس جبريل القرداحي ، قال :« إني أخذت من اصطلاحات العرب علامتَي" التشديد والاسكان لعدم اصطلاح السريان على ما يسد مسدهما مع شدة الحاجة اليه (٢) » ، والقرداحي كان من رجال القرن الماضي ، فان ظلت اللغة السريانية تفتقر الى هذين المصطلحين طيلة القرون الماضية مع شدة حاجتها اليهما ، فكيف يستقيم الزعم القائل بانها أقدم من العربية نقطاً .

انتشار النقط والاعجام :

من الطبيعي أن ينتشر النقط والاعجام بعد عصر أبي الاسود ونصر، فيعمل الناس والعلماء على نقط مصاحفهم ويتعلمه بعض من بعض مترسمين خطى أبي الاسود ونصر ، ويبدو ان العلماء كانوا يشرفون على مثل هذا العمل فيجمع أحدهم حلقة ويتلو القرآن مضبوطاً فينقط الناس مصاحفهم على ضبطه ، ذكروا عن الكسائي ، ان الناس « كانوا يكثرون عليه ... فيجمعهم في مجلس ... ويتلو القرآن من أوله الى آخره وهم يسمعون

(١) الابراشي ، محمد عطية وجماعته ، المفصل في قواعد اللغة السريانية القاهرة ١٩٣٥ ص٦ .

(٢) القرداحي، القس جبرائيل، اللباب ، كتاب في اللغة الارامية السريانية بيروت ١٨٨٧م ص١-٢ المقدمة العربية .

ويضبطون عنه حتى المقاطع والمبادىء »(١) أو« حتى الوقف والابتداء(٢)».

وبطبيعة الحال لم يكن أبوالاسود أونصر بن عاصم قد وضعا اشارات أو اصطلاحات تدل على الوقف والابتداء أو المقاطع والمبادىء ولكنها سنة النمو والتطور في العلوم ، جعلت الناس ممثلين بعلمائهم يبتكرون مثل هذه المصطلحات والاشارات ، فوضعوا علامات أخرى للتمييز بين النون الخفيفة والمدغمة والمظهرة في التنوين ، كما ان « أهل المدينة [اخترعوا] للحرف المشدد علامة على شكل قوس طرفاه للاعلى هكذا ـّ ... ثم زاد [الناس والعلماء] علامات أخرى في الشكل فوضعوا للسكون جرة أفقية فوق الحرف منفصلة عنه سواء كان همزة أم غير همزة ، ولألف الوصل جرة في اعلاها متصلة به أن كان قبلها فتحة وفي أسفلها ان كان قبلها كسرة وفي وسطها ان كان قبلها ضمة هكذا $_{\perp}T + ..$ » (٣) .

اشارات الخليل :

كان نقط أبي الاسود يهدف الى تمييز حركات أواخر الكلم بحسب موضع بعضها من بعض ، في حين كان نقط نصر يهدف الى تمييز الحروف المتشابهة ومنع التصحيف ولكنهما كانا نقطا على كل حال ، فمن المؤكد ان يختلطا على من ليس له الدربة الكافية في العربية ، ومن هنا حاول

(١) ابن الجزري ، محمد بن محمد ، النشر في القراءات العشر ج ١ القاهرة لا.ت ص ١٧٢ .

(٢) العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر ، تهذيب التهذيب ، ج ٧ حيدرآباد ١٣٢٥ هـ ص ٣١٤ .

(٣) الزنجاني ، تاريخ القرآن ، ص ٨٨ .

بعض العلماء أن يميز بينهما في اللون (١) .

ويبدو ان هـذا العلاج ، أعني التمييز باللون ، لم يكن ناجعاً فجـاء الخليل وميزها تمييزاً عملياً وفسرها تفسيراً علمياً بناه على الصلة بين صوت الحروف والحركات فابدل « الضمة والكسرة والفتحة من النقط » (٢) ، لانه كان يرى ان هذه الحركات ليست إلا زوائد يلحقن الحروف ليتمكن المتكلم من النطق بها وأن « الفتحة من الالف والكسرة من الياء والضمة من الواو ....»(٣)، وبذا يعد بحق « أول من وضع اللغة على الحروف (٤) ، أما أنه « أخذ ذلك عن اليونانية [لأنه] .. كان قـد قرأها » (٥) ، فزعم لا يؤيده دليل .

الفقهاء والمحدثون والعلامات :

كانت العناية بالجانب اللفظي من القرآن قد أثمرت النقط والاعجام ثـم أثمرت إشارات الخليل ، وكان ذلك كلـــه يهدف الى ضبط النص القرآني ولفظه والحفاظ على سلامة معانيه بسلامة لفظه ، ورأينا ان القراء اتخذوا سلامة السند سبيلا الى سلامة المتن ، منهجاً لهم ، ومع ان عمل الجماعتين كان كل منهما يكمل الآخر ، إلا أننا نجد بعض القراء والفقهاء قـد احتجوا على النقط والاعجام أول الامر ، ويبدو ان احتجاجهم كان

(١) الزنجاني ، تاريخ القرآن ، ص ٩٠ .

(٢) المخزومي ، مدرسة الكوفة ٢٤٣ .

(٣) سيبويـه ، عمرو بن عثمان ، الكتاب ج ٢ القاهرة ، بولاق ١٣١٧ هـ ص ٣١٥ .

(٤) السيوطي ، الوسائل ١٢٢ .

(٥) مصطفى ، الاستاذ ابراهيم . « أول من وضع النحو » مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ج٢/ مجلد ١٠/ك٢ (١٩٤٨) ص ٧٣ .

ناتجاً عن عدم فهم الغاية التي ابتغاها النقط والاعجام .

قيل ان الحسن البصري « كره ان تنقط المصاحف بالنحو (١) » ، وأيده محمد بن سيرين ، وان مالك بن أنس كان قد سئل : « هل ينقط المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء ؟، قال : لا ، الا على الكتبة الاولى (٢) » .

ولاشك ان موقف هؤلاء العلماء كان منبثقاً عن حرصهم على سلامة القرآن فمحمد بن سيرين برر اعتراضه بانه « يتحرج ان يزيدوا في الحروف (٣) » ، فتحدث الزيادة في متن القرآن نفسه ، ولأن قواعد وأصول النحاة خالفت خط المصحف الامام في بعض الاحيان (٤) ، كـذلك تراجع مالك بن انس عن موقفه فاجـاز النقط في المصاحف التي يتعلم بهـــا « أما الامهات فلا » (٥) .

ولم يبق هؤلاء العلماء على موقفهم هذا فسرعان ماغيروه بعد ان رأوا أنـه كان قـــد حقق الغرض في العناية بالقرآن والمحافظة على معانيـه وسلامتها فقـد شوهد ابن سيرين « يقرأ في مصحف منقوط » (٦) ، والحسن البصرى صار « لايرى بأساً في ان ينقط المصحف بالنحو » (٧) ، ويسألان عن ذلك فيجيبان ان النقط « لا بأس بـه » (٨) ، والنووي

(١) السجستاني ، المصاحف ١٤١ .

(٢) السيوطي ، الاتقان في علوم القرآن ج٢ القاهرة ١٩٥١ ص١٦٧.

(٣) السجستاني ، المصاحف ١٤١ .

(٤) السيوطي ، الاتقان ١٦٦/٢ .

(٥) أيضاً ١٧١/٢ .

(٦و٧و٨) السجستاني ، المصاحف ، ١٤٢ـ١٤٣ .

يقول أن « نقط المصحف وشكله مستحب لانه صائن لـه من اللحن والتحريف (١) » ، كذلك نجد مالك بن دينار يتولى كتابة مثل هـذه المصاحف بالأجرة (٢) .

(١) السيوطي ، الاتقان ، ١٧١/٢ .

(٢) ابن الجزري ، غاية النهاية ، ٣٦/٢ .

الفصل الثاني

مؤثرات في الدراسات النحوية واللغوية

الترجمة والدراسات البصرية :

كتب الكثير عن أثر الترجمة والاعتزال والفقه في الدراسات النحوية فطرحت آراء عديدة بشأن هذا الأثر،ذهب اكثرها الى ان النحو العربي، كان قد بني على أصول منطقية وفلسفية منذ عصوره المبكرة نتيجة ترجمة هذين العلمين عن اليونانية أو السريانية أو الفارسية ، وقال آخرون ان المذاهب الفقهية والفكرية قد أثرت فيه وبني على أصول منها .

ان تأثير المنطق والفلسفة في النحو العربي ، الاتجاه البصرى خاصة لايمكن نكرانه بحال ، ولكن النحو لم يؤصل على أصول الفلسفه والمنطق في نشوئه ، ومبكراً ، بل منطق النحو وفلسفه نحاة متأخرون .

في هذا الفصل ، ستكون دراستنا محض رصد لهذه الآثار ونبدأ ، فيه بالترجمة وآثارها في العصور المبكرة للدراسات النحوية في البصرة .

تاريخ الترجمة :

لم تعرف ترجمة العلوم في عصر النبي (ص) والراشدين ، إذ لم تكن ظروف العرب المسلمين ، مواتية لمثل هذه الحركة بالاطلاع على علوم الامم الاخرى ، أما في العهد الاموى فقد ذكروا عن خالد بن يزيد شيئاً من ذلك ، قالوا أنـه أحضر جماعة من مصر ممن يعرفون اليونانية والقبطية لينقلوا له كتباً الى العربية (١) ، وعرف عن خالد هذا ولعه الشخصي

(١) ابن النديم ، الفهرست ، طبعه مكتبة خياط ، بيروت١٩٦٤ص٢٤٢.

بالكيمياء أوتحويل العناصر، فان صحت هذه الاقوال كانت بداية الترجمة بدافع شخصي محض ، وبجهود فردية ، ومن المحتمل ان أولئك التراجمة قد « ترجموا له شيئاً لم يصلنا خبره (١) » .

أما أن حركة الترجمة في هذا العصر ، كانت تنهج الاسلوب الشفهي وإنها كانت منظمة (٢) ، وتتسع وتسير ببطء (٣) ، فأمور بحاجة الى أدلة ونصوص اكثر مما ذكر .

وبعد عصر خالد بن يزيد لا نكاد نجد شيئاً يذكر عن الترجمة في العصر الاموي سوى ما ذكره ابن جلجل حين ترجم لماسرجويه الطبيب ، الذي قال عنه أنه كان بصرياً وانه كان « يهودي المذهب سريانياً ، وهو تولى في الدولة المروانية تفسير كتاب أهرن بن أعين القس الى العربية ... [و] .. ان الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز وجد .. [هذا الكتاب] في خزائن الكتب ... وانه استخار الله في اخراجه الى المسلمين (٤)» فأخرجه .

لقد اعترف محقق الكتاب ، بأن ابن النديم لم يذكر شيئاً عن هذا النص و« أنه لم يرد في كتب التاريخ وظل مجهولا عند المشارقة »(٥) ، لكنه أطال

(١) حسن،د. حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام السياسي ٥١٢/١ .

(٢) معروف ، الاستاذ ناجي ، أصالة الحضارة العربية ، بغداد ١٩٦٩ ص ٤٢٩ .

(٣) العزيز ، دكتور حسين قاسم ، أثر العرب في الحضارة العالمية، محاضرات مطبوعة بالرونيو ألقيت على طلبة الجامعة المستنصرية ، قسم التربية وعلم النفس ، بغداد ١٩٧٠ ص١٥ .

(٤) ابن جلجل ، سليمان بن حسان الاندلسي، طبقات الاطباء والحكماء ، القاهرة ١٩٥٥ ص٦١ .

(٥) أيضاً ، مقدمة المحقق ، فؤاد سيد ، ص،ك ط .

كلامه حول أهمية هذا النص فزعم اهتمام العلماء به اهتماماً عظيماً واستدل منه على قدم حركة الترجمة ، « وان الامويين كانت لهم خزائن للكتب عامرة بالمؤلفات العربية الاصلية والمترجمة اليها »(١) .

ان أقوال ابن جلجل ومحقق كتابه تستدعي اكثر من وقفة ، فابن جلجل يصرح بميوله الاموية ، والظروف التي أحاطت بتأليفه للكتاب ، تجعل أمر ما يروي فيه موضع نظر .

أما ماسرجويه فهو مجهول لدى كتاب طبقات الاطباء ، لم يترجم له ابن أبي اصيبعة ولا القفطي ، واعترف محقق الكتاب نفسه ، بانه عجز عن العثور على تاريخ وفاة ماسرجويه (٢) .

وهذا لا يعني أن ماسرجويه شخصية مختلقة ، بل يبدو انه وجد وعُرف طبيباً ، ذكر له الجاحظ أقوالا في العقرب وخصائص سمها وأثره في مختلف الناس (٣) ، ولو كان الجاحظ ـ وهو أقرب عصراً وموطناً الى ماسرجويه من ابن جلجل ـ يعرف شيئاً عن الترجمة التي قام بها لذكره وذكرها في أغلب الاحتمالات . والاستدلال بوجود خزائن كتب لدى الامويين ، عامرة بالكتب المترجمة والاصلية ، اعتماداً على مثل هذا النص الصادر عن طبيب حاول ان يكون مؤرخاً ، أمر يفتقر الى الدقة العلمية في البحث .

وعلى ذلك نستطيع ان نزعم بان الترجمة في العصر الاموي ، لم تكن في مستوى يؤهلها ان تؤثر في العقلية العربية ، وانها كانت محض جهود فردية لاشباع رغبات شخصية لاحد الامراء ، وربما استتبعه أناس آخرون اشباعاً لهواية أو طلباً لعلاج .

(١) أيضاً ، مقدمة المحقق ، فؤاد سيد ، ص،ل ط .

(٢) أيضاً ص٦١ ، الهامش .

(٣) الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، الحيوان ج٤ القاهرة لا.ت ص٢٢١.

الترجمة في القرن الثاني :

من الطبيعي أن يبدأ ازدهار حركة الترجمة والنقل مع بدايـــة عهد التحضر والاستقرار ، وان تخطو الترجمة العلمية أولى خطواتها آنذاك .

« ومع ان اكثر الناقلين عن اليونانية والسريانية كانوا من السريان... فان اللسان العربي كان الاداة التي استعملت في النقل والتصنيف وتسرب اليه كثير من الالفاظ الجديدة والمعاني الجديدة مايعكسه لنا الشعر والنثر في العصر العباسي (١) » .

نقل المسلمون عن كتب اليونانيين في الطبيعة والمنطق والطب ، وكان الشروع في نقلها فى عصر المنصور (٢) ، وقيل ان جورجيوس بن جبرائيل « نقل للمنصور كتباً كثيرة عن كتب اليونانيين (٣) » ، وقـد لا تكون كثيرة بالمعنى العلمي الدقيق فحركـة النقل كانت ما تزال تحبو ، ولكن الظاهر ان المنصور كان ، حقاً ، أول من عني من العباسيين بهذه الحركة (٤) وانه أنجب أسرة من العلماء ومحي الحكمة والترجمـة والعلوم (٥) ، وان اهتمامه بهذه الحركة وهذه العلوم أدى الى اهتمام المسلمين بذلك أيضاً ، ودراستهم إياها (٦) .

(١) المقدسي ، أنيس ، أمـــراء الشعر العربي في العصر العباسي ، بيروت ١٩٦٩ ص٦٤ .

(٢) دي‌بور ، تاريخ الفلسفة في الاسلام ، ص٢١ .

(٣) ابن أبي اصيبعة ، أحمد بن القاسم ، عيون الانباء في طبقات الاطباء بيروت ١٩٥٥ ص١٨٣ .

(٤) ابن العبري ، غريغوريوس الملقى ، تاريخ مختصر الـدول ، بيروت ١٩٥٨ ص ١٣٦ .

(٥) الديوجي ، سعيد ، بيت الحكمة ، الموصل ١٩٥٤ ص١٢-١٤ .

(٦) مظهر ، اسماعيل ، تاريخ الفكر العربي ، بيروت لا.ت ص٣١ .

يرى بعض الباحثين ان « ترجمة الكتب العلمية بدأت في عهد الرشيد بتشجيع من الوزير جعفر البرمكي ، وان الترجمة كانت قاصرة أول الامر على كتب الرياضة والفلك ، وقد ترجم بعضها علماء مرو وهي بلد جعفر البرمكي نفسـة(١) » بينما يعلل آخرون هذه الحركة بسبب اختلاط العنصر العربي بالفارسي ، « اتجهت ميول الخلفاء العباسيين الى معرفة علوم الفرس واليونان » (٢) .

والذي يبدو لنا ان العوامل التي دفعت العرب المسلمين الى الترجمة لم تكن محصورة في عامل واحد بل كانت جملة عوامل اجتمعت في ظروف بيئوية وحضارية واجتماعية ولدت تلك الرغبة في الاطلاع على علوم الامم الاخرى ، فأقبل العرب على هذه العلوم ، وخاصة الفلسفه والمنطق ، « وبلغوا بها فوق ما بلغ اليونان أنفسهم » (٣) .

والظاهر ان عصر الرشيد كان عصر ازدهار « الحركات العقلية والفلسية » (٤) ونمو الرغبة في العناية بـالكتب العلمية وخزائنها ، تلك الرغبة التي ولدت حركة علمية بلغت اوجها واثمرت ثمراتها في عهد المأمون العباسي (٥) ، وكان ما عرف عن المأمون من عمق الثقافة وسعة الاطلاع ، ثمرة من ثمرات تلك الحركة .

الترجمة في القرن الثالث ، عصر المأمون

بلغت الدولة العباسية أوج افقها العلمي في القرن الثالث فمال المجتمع

(١) اوليرى ، علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب ٢١٩ .

(٢) حسن ، ابراهيم تاريخ الاسلام السياسى ٢ / ٣٤٠ .

(٣) حسين ، د . محمد كامل ، متنوعات ، ط٢ القاهرة لا . ت ص١٣٦ .

(٤) طلس ، محمد أسعد ، تاريخ الامـة العربية ـ عصر الازدهار ، بيروت ١٩٦٠ ص ١٢٤ .

(٥) طلس ، عصر الازدهار ١٦٣ .

الى اسباب الترف الحضارى في حياته ، كثيراً . وكان ذلك نتيجة طبيعية تتماشى وطبيعة العصر نفسه ، فازدهرت العلوم المترجمة ، وصار الالمام بالمنطق والفلسفة ، من مستلزمات المثقف الاسلامي ، فأخذ بها الناس وتأثرت كافة الميادين الفكرية والعقلية بهذه العلوم .

قالوا بأن السبب في ازدهار الترجمة في عصر المأمون ، يعود الى انه رأى في منامه شيخاً زعم له انه ارسطا طاليس وأمره بنقل كتبه (١) ، وهو قول يبدو الى السذاجة اقرب منه الى التعليل العلمي .

وهناك من علل هذه الظاهرة بأن المأمون كان قد اعتنق الاعتزال ولما كان الجدل أمضى اسلحة المعتزلة « وتأييداً لصحة الجدل أمر [المأمون] بنقل كتب الفلسفة والمنطق »(٢) ، ويرجح ذلك بسعة علم المأمون وما تمتع به من حرية الفكر والرغبة في القياس العقلي ، الاسباب التي جعلته لا يرى بأساً من نقل كتب الفلسفة والمنطق ومن ثم ، « جعل الترجمة عامة لكل مؤلفات أرسطو في الفلسفة وغيرها . . . . فتولد من اشتغال المسلمين بالفلسفة ، علم الكلام » (٣) .

وهذا التعليل يتضمن الافتراض بأن المأمون كان على علم سابق بفائدة الفلسفة والمنطق للجدل وللمعتزلة وهو أمر بعيد عن الواقع ، فلا المأمون كان مطلعاً على هذه العلوم قبل ترجمتها ولا غيره من المعتزلة ، لقد اطلعوا عليها بعد ترجمتها ، ومن ثمَّ ، وجدوا فيها مفاهيم ومناهج تفيد الجدل والاعتزال ، فتأثرت بقية العلوم بذلك ومنها علم الكلام الذي ألف فيه قبل عصر المأمون .

(١) ابن النديم ، الفهرست ط بيروت ٢٤٣ ، ابن أبي أصيبعه ، عيون الانباء ص ٢٥٩ .
(٢) زيدان ، تاريخ التمدن الاسلامي ، ٣ / ١٥٨ .
(٣) ايضاً ٣ / ١٦٠ .

وعلل بعضهم هذه الظاهرة ، « بالروح الديني وغلبته على العقول ، فالأديان لا تخلو من الغيبيات » (١) ، ولعل هذا الرأي اكثر تهافتاً من سابقه ذلك ان الروح الديني كان أكثر عمقاً على عهد الرسول وصدر الاسلام . ومع ذلك لا نجد ثمة حركة بالأطلاع على العلوم الفلسفيه والمنطقيه .

إن سعة علم المأمون ، لاشك ، كان لها الدور الفعال في إنماء هذه الحركة وتنشيطها بالاضافة الى استطاعة المعتزلة أثارة شوقه للاهتمام بمناقشاتهم واعتناقه لنظرياتهم(٢) ، امور جعلت المأمون يسبغ اهتمامه ورعايته للترجمة ، سواء بترغيبه العلماء والناس في الاقبال على العلوم المترجمة (٣) ، أو جلب الكتب اليونانية بشرائها (٤) ، او اغداقه الاموال على المترجمين الماهرين (٥) ، مما دفع بهذه الحركة خطوات سريعة .

مصادر الترجمة

لم تكن العلوم المترجمة قد ترجمت عن مصدر واحد او بسبيل واحد ، فقد تعددت المصادر وتعددت السبل ايضاً ، لقد كانت الترجمة عن طريق النساطرة الذين كانوا اول من خدم الطب ، واليعاقبه ، أو الزرادشتيين من علماء جندى سابور ، او عن طريق وثنيّ حران والعبرانيين (٦) ، وكاد أن يكون المترجمون الاول ، كلهم من السريان (٧) .

يرى أوليرى ، إن المصدر الاول والمهم للترجمة هو طريق مدرسة جندي سابور ، وإن هذا المصدر أثر في علوم العرب بطريق مباشر ، كما يرى في مدرسة نصيبين انها أثرت في العلوم الفارسية بشكل مباشر ، ولا مباشر في

(١) السامرائي ، عامر رشيد ، في العربية ٨٥ . (٢) طلس ، عصر الازدهار ١٦٤ .
(٣) الديوهجي ، بيت الحكمة ١٦ . (٤) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ١٣٦ .
(٥) الديوهجي ، بيت الحكمة ١٧ . (٦) مظهر ، اسماعيل ، تاريخ الفكر العربي ، ٣٥ وما بعدها . (٧) دي بور ، تاريخ الفلسفة ٢١ .

العربية (١) ، والى مثل ذلك ذهب الدكتور رفاعي (٢) ، وعلل اوليري هذا الرأى بأن علماء جند يسابور كانوا مدعمين بسلطة البرامكة (٣) .

وذهب أحمد أمين الى مثل ذلك ايضاً ، وزاد عليه ان مدرسة جند يسابور ظلت تؤدي عملها في ظل الحكم الاسلامي ، وان العلوم الهندية دُرست فيها الى جانب العلوم اليونانية، وان الهنود درسوها «باللغة الفلهوية »(٤) ، وان الفرس لم يأخذوا علومهم عن نصيبين بل عن مدرسة الاسكندريه (٥) .

إن المصدر الهندي قال به دى بور ايضاً ، وزعم ان المسلمين عرفوا المنطق وما وراء الطبيعة عن الهنود (٦) ، ولم يغفل كل من أحمد أمين ودى بور أثر مدرسة الرُّها في مدّ المترجين بالعلوم ، والرها هي نصيبين اليوم وأورفه و اوديسا وحران قديماً (٧) فحران ، وجندى سابور ، والاسكندريه ، مصادر لا يمكن اغفال اهميتها بالنسبة لقدامى المترجين ، خاصة من ترجم منهم الى السريانية اولاً ، اما المصدر الذى يفوق هذه المصادر اهمية فهو ، ولا شك ، المصدر اليوناني ، وكثيراً ماردد المؤرخون أسماء من إشتغلوا بجلب المصادر والكتب من بلاد الروم .

---

(١) علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب ٨٩ .

(٢) د . أحمد فريد، عصر المأمون ج١ ١٩٢٨ ١٦٠ . (٣) اوليرى ، ن . م ٢٠٧ .

(٤) ضحى الاسلام ١ / ٢٦٩ . (٥) أيضاً ـ ٢٧٤ .

(٦) دى بور ، ن . م . ص ١٣ ، ٢٠ .

(٧) *Ene . Brit . Vol . 12 . P . 834*

اشهر المترجمين ... إبن المقفع

قيل ان اسمه الفارسي ، روزبه « وهو عبد الله إبن المقفع ويكنى قبل اسلامه ابا عمرو فلما اسلم اكتنى بأبي محمد »(١) ، وانه تقفع لأن الحجاج ضربه بالبصرة بسبب مال احتجنه (٢) .

وقالوا عن الترجمة التي نسبت اليه ان « الفرس نقلت في القديم شيئاً من كتب المنطق والطب الى اللغة الفارسيه فنقل ذلك الى العربي عبد الله بن المقفع وغيره »(٣) ، وان « اول علم اعتنى به من علوم الفلسفة ،علم المنطق والنجوم ، فأما المنطق فاول من اشتهر به في هذه الدولة [العباسية] عبد الله بن المقفع . . . فأنه ترجم كتب ارسطا طاليس المنطقية الثلاثة»(٤) وتابع هذا القول بعض المحدثين فنسبوا الى ابن المقفع الاولوية في ترجمة كتب ارسطوا (٥) ، وحاولوا توضيح ذلك فقالوا « انه نقلها من الفارسية إذ لم يُعرف عنه انه يعرف اليونانية »(٦) ، مسخاً لعبارة دى بور أنه ترجمها في « عهد المنصور عن الفهلوية »(٧) .

ان قصر المدة الزمنية التي عاشها إبن المقفع في عهد المنصور ، ومقتله في اوائل حكمه مما يضعف هذا الرأي . لقد عدد بروكلمان كتباً نُسبت ترجمتها الى ابن المقفع منها كتاب « حكم ابن المقفع » ، فرجح انه

(١ ، ٢) إبن النديم ، الفهرست ، طبعت بيروت ١١٨ . (٣) ايضاً ٢٤٢ .

(٤) الاندلسي ، صاعد بن احمد ، طبقات الامم ،القاهرة لا . ت ص ٧٧ .

(٥) آل كاشف الغطاء، الشيخ علي هادي، نقد الآراء المنطقية، نجف ١٣٨٣هـ ص ٦ .

(٦) احمد امين، فجر الاسلام، ١٨٥/١ ، ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام ٣٤٠/٢ « قريب من معنى النص » . (٧) دى بور ، تاريخ الفلسفة ، ٢١ .

منحول كما وصف بعضها بالتفاهة (١) .

وقالوا ايضا في هذا الموضوع ، أن « المسألة على وجهها الصحيح ، ان إبن المقفع لم يقم بترجمة هذه الكتب ولكن قام بتلخيصها » (٢) ، وتقيد بالنص تقيداً تاماً ولم يحاول ان يفسر اصطلاحات النصوص التي ترجمها(٣).

لقد كتب احد المستشرقين بحثاً قيّماً حول الترجمة عن ارسطو والمنسوبة الى إبن المقفع (٤) ، وقال في ختام بحثه : « إن ما وصلنا اليه من نتائج في هذا البحث لعلى اعظم جانب من الخطر والاهمية بالنسبة لتاريخ العلوم في الاسلام ، فقد تقرر ان الكتب الارسطاليسية لم تترجم مطلقا من الفارسية الى العربية ، كما يقال كثيراً اعتماداً على ما روى عن إبن المقفع مما أخطأ القوم فهمه . . . وقد يكون . . . ان كتب ارسطو وافلاطون كما يُروى . . . قد ترجمت الى الفارسية لخسرو انوشروان . . . [و] من المؤكد قطعاً ان شيئاً من كتب الفلاسفة اليونانيين لم تترجم الى العربية عن الفارسية »(٥) ، ورد مستشرق آخر هذا الرأى ورجح ترجمة ابن المقفع للمنطق عن الفارسية (٦) .

لقد خص المستشرق بروكلمان ابن المقفع ، وما نسب اليه من كتب مترجمة ، بدراسة قيمة فذكر ما ترجمه وتثبت ترجمته من قبل مثل كليله ودمنه ، وسِيَر ملوك العجم ، وكتاب التاريخ ، وكتاب الآيين في نظم

(١) بروكلمان ، تاريخ الادب العربي ٣ / ٩٢ ـ ١٠٦ .

(٢) النشار،علي سامي،مناهج البحث عند مفكري الاسلام،القاهرة ١٩٤٧ ص٩.

(٣) بدوي،عبد الرحمن،التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية،دراسات للمستشرقين القاهرة ١٩٤٠ ص١٠١ـ١٢٠. (٤) ايضا ص١٣٨ـ١١٩ والرأي للمستشرق بول كروس

(٥) ايضا ، هامش ، ص ١١٩ والرأى للمستشرق نلينو .

(٦) تاريخ الاب العربي ٣ / ٩٢ ـ ١٠٦ .

الدولة ، وذكر من مصنفاته الأدب الكبير ، والأدب الصغير ، ورسالة في الاخلاق وفي الصحابة مثلها ، قال عنها بروكلمان انها مجموعة نصائح للمنصور، وذكر ايضا من كتبه كتاب اليتيمة الثانية ، وعلق عليها بأنها : « بحث تافه بين الراعي الطيّب والرعية السيئة » وقال عن ترجمة قاطيغورياس وانا ليطيقيا ، لارسطو ، أنها « من عمل أحمد بن المقفع »(١) .

وقد شك المستشرق بروكلمان في بعض ما وصلنا من ترجمات نسبت الى ابن المقفع ، منها رسائل البلغاء والادب الوجيز ، وتوزيع الدنيا ، ومرثيّة في يحيي بن زياد الحارثي ، وقصيدة في الشهور المسيحية (٢) .

ولو اعتمدنا هذا البحث لظهر لنا ان ما ترجمه ابن المقفع والآخرون الذين عاصروه زمنا كمحمد بن جهم البرمكي ، وزادويه بن شاهويه الاصفهاني (٣) ، في مجموعة ، لا يتعدى بعض المصنفات في نظم الدولة والسياسة ، والادب ، والاساطير ، والقصص الهادفة ، وهذه الكتب المترجمة ، لا تمت الى الفلسفة والمنطق الارسطي بصلة .

اما اصرار بعض المستشرقين وبعض تلامذتهم من الباحثين العرب على الادعاء بترجمة ابن المقفع للمنطق الارسطى الى العربية ، فلا يخلو من غرض افصح عنه دى بور بقوله : « وسبْق أهل البصرة الى الانتفاع بالمنطق لم يكن محض اتفاق لأن تأثير المذاهب الفلسفية ظهر في البصرة قبل ظهورها في غيرها ، وكان من نحاة البصرة كثير من الشيعة والمعتزلة الذين افسحوا السبيل للحكمة الاجنبية لكي تؤثر في مذاهبهم الكلامية »(٤) .

(١) تاريخ الادب العربى ٣ / ٩٢ ـ ١٠٦ .

(٢) ايضاً ، ٩٢/٣ ـ ١٠٦ .

(٣) ايضا ، ١٠٦/٣ .

(٤) تاريخ الفلسفة في الاسلام ص٣٦ .

حنين بن اسحاق العبادي

أشهر مترجمي العصر العباسي ، بنى على اسطورة علاقته بالخليل كثير من المزاعم طعنت النحو العربي في اصوله الاولى ، فردد كثير من الباحثين هـــذه العلاقة ، بلا تمحيص ، وافترضوا ، بلا روية ، تأثر الخليل بما ترجم حنين من فلسفة ومن منطق ،

فيما يلي ، محاولة لرصد هذه العلاقة ، ولا مندوحة لنا من بعض التفصيل فيما ذكره قدامى المؤرخين ومحدثيهم حول حنين .

كنوه بأبي زيد ، وهو حنين بن اسحاق العبادي من أهل الحيرة ، مسيحي الدين .

والعباديون هم « قوم من النصارى ، من قبائل شتى ، اجتمعوا وانفردوا عن الناس في قصور ابتنوها لأنفسهم بظاهر الحيرة وتديتوا بدين النصرانية »(١) ولد حنين في الحيرة ، وقال ابن أبي أصيبعه انه توفي عـام ٢٦٤ هـ وعاش سبعين سنة ، ومعنى هذا انه ولد عام ١٩٤ هـ بعد وفاة الرشيد بعام واحد ذلك ان الرشيد توفى عام ١٩٣ هـ (٢) .

اتفق أغلب المؤرخين على انه توفي عام ٢٦٠ هـ منهم إبن النديم (٣) ، وصاعد الاندلسي(٤) ، وابن الجوزي(٥) ، وابن خلكان(٦) ، والقفطي(٧)،

(١) القفطي ، جمال الدين علي بن يوسف ، اخبار العلماء ، باخبار الحكماء ، القاهرة ١٣٢٦ هـ ص١١٨ . (٢) المسعودي ، مروج الذهب ٣٩٦/٣ .
(٣)الفهرست ، طبعة القاهرة ٤٢٣ . (٤) طبقات الامم ص٥٥ .
(٥)المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، ج ٥ حيدر آباد ١٣٥٧ هـ ص٢٤ .
(٦)وفيات الاعيان ٤٥٥/١ـ٥٦ ترجمة رقم ١٩٨ .(٧) اخبار العماء ص١١٩ .

واليافعي(١) ، وقال ابو الفداء انه توفي في عهد المعتمد العباسي عام ٢٦٠هـ (٢) ، وهذا صحيح ، على حين ذهب ابن العبرى ، الى انه توفى في هذه السنة في عهد المتوكل العباسي (٣) ، وهذا خطأ ، لان المتوكل كان قد قتل عام ٢٤٧ للهجرة(٤) ، وذهب ابن أبي اصيبعة الى انه توفى عام ٢٦٤ للهجرة (٥) .

ترجمت له دائرة المعارف الاسلامية وذكرت انه ولد عام ١٩٤ هـ وتوفى في صفر عام ٢٦٠ هـ و ٨٧٣ للميلاد(٦) ، ورجحت دائرة معارف البستاني وفاته مابين ٢٦٠ : ٨٧٣ و ٢٦٤ : ٨٧٧ للميلاد(٧) ، والى مثل ذلك ذهب اوليرى(٨) ، على حين ذهب فيليب حتي،الى انه عاش مابين٨٠٩ ـ٨٧٣ للميلاد(٩) ويقابل ١٩٤ ـ ٢٦٠ أيضاً . فعمره لدى هؤلاء يتراوح بين ٦٤ ـ ٦٦ عـاماً وليس كما ذكر ابن ابى اصيبعة ، من ان عمره كان سبعين عاماً .

حنين عند القدماء

ان نشأته وكيفية اشتغاله بالطب والترجمة ، يشوبها كثير من الاضطراب الذي وضعه من ترجم له على مايبدو ، واولهم ابن ابى اصيبعة ، ومع ان ابن جلجل كان اقدم من ابن ابى اصيبعة ، زمناً ، وهو أول من زعم صلته بـالخليل ، ولكنه لم يذكر شيئاً عن نشأته وعلاقته بأستاذه يوحنا بن ماسويه(١٠) ، وما ذكره ابن ابى اصيبعة عن ذلك يتسم بالمفارقة والطرافة

(١) مراة الجنان وعبرة اليقظان ج٢ بيروت ١٩٧٠هـ ص١٧٢ .
(٢) المختصر في اخبار البشر ٥٠/٢ . (٣)مختصر الدول ص١٤٥ .
(٤) المسعودي ، مروج الذهب ٨٥/٤ . (٥) عيون الانباء ٢٦٣ .
(٦) مجلد ١٣٤/٨ ـ ١٣٥ . (٧) مجلد٧ ، بيرت ١٨٨٣م ص٢٥٢ ـ ٢٥٣ .
(٨) علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب ص٢٢٤ .
(٩) تاريخ العرب ، مطول ـ ٣٨٧/١ . (١٠) طبقات الاطباء ٦٨ ـ ٧٠ .

احياناً ، لقد تحدث عن احدى جواري الرشيد وقد تزوجت قريباً لها بغير إذن مولاها ، فعاقب قرينها بأخصائه ، وفي هذا السياق يروى عن راوية سماه يوسف بن ابراهيم ، قال انه عاد هذا الخصي في مرضه فوجد حنينا لدى هذا المريض بعد ان غاب سنتين ، وحاول حنين ان يتنكر كي لايتعرف ثم يعود ابن أبي أصيبعة فيذكر سبب هروب حنين وانه ألحّ على استاذه واحرجه بأسئلته الطبية فطرده ، وعنيره انه ابن صيرفي او صيدلي في مكان آخر ، وانه لا يليق لصناعة الطب ، فذهب حنين الى بلاد الروم حيث تعلم اليونانية والطب ، وتعرف عليه هذا العائد الراوية فرجاه حنين ان يعرض بعض ما ترجمه عن اليونانية على استاذه يوحنا بن ماسويه ، فاعجب بذلك استاذه والحّ على الراوية ان يعرفه بصاحب الترجمة ، فعرفه وهكذا ظهر حنين من جديد في البلاط العباسي (١) .

ان المفارقة التي نتجت عن خطأ ابن ابي اصيبعة ، انه يروى هذه الرواية في عهد الرشيد ، ويزعم ان حنينا كان شابا آنذاك ثم يذكر في مكان آخر من كتابه ان حنينا ولد عام ١٩٤ هـ(٢) ويتجاهل ان الرشيد كان قد توفى عام ١٩٣ هـ .

وقبل ابن ابي اصيبعة ، قال ابن جلجل عن حنين انه كان « عالماً بلسان العرب فصيحاً باللسان اليوناني جداً ، بارعاً في اللسانين بلاغة بلغ بها تمييز علل اللسانين »(٣) .

ويستوقفنا هذا النص لذكره عبارة «علل اللسانين» ، فابن جلجل ألف كتابه عام ٣٧٧ هـ وفي الاندلس ، وآنذاك كان النحو قد منطق وتفلسف

(١) عيون الانباء ، ٢٥٧ ـ ٢٥٩ . وبتغيير طفيف ذكرها القفطي ، اخبار العلماء ١٢٠ ـ ١٢١ . (٢) ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ٢٦٣ .
(٣) طبقات الاطباء ٦٨ـ٦٩ .

وصار همّ النحوي هو البحث عن العلل ، فصنفوها الى فقهية وكلامية وأنواع اخرى .

فهل كانت هذه العبارة أساساً لما زعمه ابن جلجل وابن ابي اصيبعة من علاقته بالخليل ؟ ، ربما .

اما ابن النديم فقد قال عن حنين ، انه كان « فصيحاً باللغة اليونانية والسريانية والعربية . . . [وانه] دار البلاد في جمع الكتب القديمة »(١) وقيل عن ترجمته لكتب المنطق والفلسفة اليونانية : « لولا ذلك التعريب لما انتفع احد بتلك العلوم »(٢) ، وان حنينا كان عالماً بما عترب (٣) ، وقال عنه إبن الجوزى انه « بلغ غاية في الطب »(٤) .

وبشأن اللغات التي اتقنها حنين ، ذكر ابن النديم في النص الاسبق انه كان يعرف ثلاث لغات ، على حين ذكر ابن ابي اصيبعة ، وهو متأخر كثيراً عن ابن النديم ، ذكر أنه اتقن أربع لغات هي اليونانية والسريانية والفارسية ، « مع ما دأب ايضاً في اتقان العربية والاشتغال بها حتى صار من جملة المتميزين فيها »(٥) ، واكتفى ابن خلكان بقوله انه « كان يعرف لغة اليونانيين معرفة تامة »(٦) . ولعل المسعودي كان اقدم المؤرخين عصراً ممن ذكروا او تحدثوا عن الترجمة التي اضطلع بها حنين ، فذكر أنه ترجم التوراة من اليونانية الى العربية(٧) ، وكذلك ترجم إيمان أبي قراط وشرحه(٨) ، ثم ذكر له ترجمة كتاب «فيما بعد الطبيعة» لارسطا طاليس(٩)

(١) الفهرست ، طبعة القاهرة ٤٢٣ . (٢) اليافعي ، مرآة الجنان ١٧٢/٢ .
(٣) ابو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ٤٩/٢ . (٤) المنتظم ، ٢٤/٥ .
(٥) عيون الانباء ٢٥٩ . (٦) وفيات الاعيان ٤٥٥/١ .
(٧) التنبيه والاشراف ، القاهرة ١٩٣٨م ص٩٨ . (٨) أيضاً ص١١٤ .
(٩) ايضا ص١٣٩ .

ومع عهد قرب عهد المسعودي بعهد حنين ، فقد أغفل ذكر نشأته وحياته ووفاته في كلا كتابيه ، التنبيه والاشراف ، ومروج الذهب .

ثم جاء بعد المسعودي ابن جلجل « عاش الى ما بعد ٣٧٧هـ » ، فتحدث عنه ما ذكرنا ، وذكر له كتباً منها كتاب في المنطق وصفه انه لم يسبقه الى مثله غيره ، فهو حسن التقسيم وبارع التنظيم (١) .

بعد ذلك بقرون كتب ابن ابى اصيبعة « ولد عام ٦٠٠ هـ » ما كتب ثم عدد لحنين كتباً كثيرة من تأليفه او تصنيفه ذكر منها كتاباً في المنطق وهو ما ذكره ابن جلجل ، وزاد عليه كتاباً في النحو(٢) ، وجعله شاعراً ايضاً (٣) .

ويبدو لي ، ان ذكر ابن ابى اصيبعة كتاب نحو لحنين ، ووصفه بالشاعرية ، محض مزاعم اختلقها لتعزيز زعمه الاول من صلته بالخليل .

حنين عند المحدثين

تختلف صورة حنين عند محدثي الباحثين عنها عند قدامامهم ، كثيراً ، بعضهم رسم له صورة أطرها على ما نسبه القدماء وذكروه عن حنين ، وآخرون أوغلوا في اوهامهم ، فأخرجوه عن طابعه الانسانى الى طابع اسطورى .

وسنحاول ان نرصد بعض ما وصلنا اليه من بحوث المحدثين ، عنه وندع هذه الصور تصف نفسها .

تحدث اوليرى عن حنين كثيرا ، قال ان الصلح تم بين ابن ماسويه

(١) طبقات الاطباء ٦٨ ـ ٦٩ . (٢) عيون الانباء ٢٧٢ ـ ٢٧٤ .
(٣) ايضا ٢٥٧ .

وتلميذه حنين « وصار يعاونه بحماسة »(١) ، ثم وصفه بأنه « أشهر نقله العلوم اليونانية الى العربية على الاطلاق . . . [و] إنا لنعرف الكثير عن سيرته ومؤلفاته مما كتبه عن نفسه في رسائله الى علي بن يحيى سنة ٨٧٥ م »(٢) وانه تعلم العربية بعد ان تقدمت به السن(٣) .

لقد كانت الرسائل التي كتبها حنين الى علي بن يحيى ، لا تعدو ذم الزمان والشكوى من الحساد وكيدهم(٤) ، وهذا الاسلوب الكتابي نما وترعرع فيما بعد ، واصطلح عليه لدى دارسي الادب ، « بالدهريات » ، فهو اسلوب خبرى كما يسميه البلاغيون ، يحتمل كل شيء ، والصدق نادر فيه . والطريف في الامر أن اوليرى زعم انه يعرف الكثير عن حنين ولكنه سمى الخليل بن أحمد الفراهيدى ، سماه خالد بن أحمد ، كما سنرى فيما بعد .

وذكر ان حنيناً توفي مابين ٨٧٣ ـ ٨٧٧م (٥) (٢٦٠هـ ـ ٢٦٤هـ)ولم يرجح أحد التاريخين لكنه ثبت زمن رسائل حنين الى علي بن يحيى . بانها كانت في عام ٨٧٥ م ، وهذا يوجب عليه طرح التاريخ الاول وترجيح الثانى ، ولم يفعل ، وزعم أيضاً ، ان حنينا تعلم العربية بعد ان تقدمت به السن ، واستند في هذا الزعم الى ان حنينا كان من طبقة الشعب المحكوم المستعبد ، متخرجا لقب العبادى ، الذي عرف به حنين ، من الاستعباد ! ! !

وقالوا أيضاً ، ان حنينا كان « من أقدم النقلة وأشهرهم »(٦) ، فكان « أوفر المترجمين انتاجا »(٧) ، وصارت ترجمته « بدء العرب لدرس

(١) علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب ٢٢٧ . (٢) ايضا ٢٢٤ .
(٣) ايضا ٢٢٥ . (٤) ابن ابى اصيبعة ، عيون الانباء ٢٦٤ـ٢٦٥ .
(٥) اوليرى ، ن . م ٢٢٤ . (٦) فروخ ، عمر ، تاريخ العلوم عند العرب ، بيروت ١٩٧٠ ص ١١٧ . (٧) دى بور ، تاريخ الفلسفة ٢٢ .

الفلسفة بلا منازع »(١) ، وكان مما ترجم « علم البيان لارسطو ، الى السريانية »(٢) ، فتأثر به ابن المعتز فى كتابه « البديع »(٣) ، وكان حنين يعتمد « الترجمة الحرفية الصادقة »(٤) ، بعد أن تعلم أربـــع لغات في الاسكندرية(٥) ، حين قضى فيها سنتين ، ودرس العلوم اليونانية هناك(٦).

ذكرنا أن ابن النديم اثبت لحنين المعرفة بثلاث لغات ، وزادها ابن ابى اصيبعة الى اربع ، وانه تعلمها في بلاد الروم فلم يخصصوا مكاناً بعينه وذكرنا ان المسعودى كان قد نص على ان حنينا ترجم التوراة ، فقـالوا انه ترجم الانجيل (٧) ، وعدوه أيضاً من الفلاسفة العرب فأطلقوا عليه اسما مدرسيا ـ وانفردوا بذلك ـ وهو جوهانتيوس « *Johannitius* »(٨) وروى القدماء ان احـــد الخلفاء طلب من حنين ان يعد له سماً لأحـد خصومه ، فرفض وبعد سجنه اعلمه انه كان يمتحنه(٩) ، فقال احد المحدثين ان حنينا نبغ (في علم المواد السامة »(١٠) .

وقالوا انه التقى بالخليل في البصرة او في فارس ، فقال احد المحدثين ان حنينا تمكن « بأن يأتى بأصدقائه الاطباء في مدرسة جند يسابور الى بغداد وعنوا بدارسة العربية »(١١) .

---

(١)سيديو ، تاريخ العرب العام٤٥٠ . (٢)الابراشى ، المفصل في قواعد السريانية ١٣ . (٣) مندور ، النقد المنهجي عند العرب ٥٧ ـ ٥٨ .

(٤) اليازجي ، كمال ورفيقه ، اعلام الفلسفة العربية ١٠٢ .

(٥)اليازجي،كمال ورفيقه،اعلام الفلسفة العربية١٠١ . (٦)زيدان ،تاريخ التمدن الاسلامى٣/١٦٤ . (٧)الموسوعة العربية الميسرة . مادة حنين ص٧٤٣ .

(٨) *Enc. Brit. Vol. 2. P. 188.*

(٩)ابن ابى اصيبعة،عيون الانباء٢٥٥ . (١٠)حسن،تاريخ الاسلام٢/٣٤٩ .

(١١)معروف ، الاستاذ ناجي ، اصالة الحضارة العربية ٤٣٤ .

حنين والجاحظ

اتسم القرن الثالث بسمة التفتح العلمي وانتشار العلوم وازدهارها ، سواء أكانت مترجمة ام موضوعة ، ولقت الترجمة عناية فائقة .

ولم يقتصر الاهتمام بالعلوم المترجمة على الخلفاء فحسب ، فقد شاركهم في الاهتمام بها بعض الاسر المتنفذة مالياً في الاغلب ، كالبرامكة(١) وابناء موسى بن شاكر المنجم الذين ذُكر عن اهتمامهم بالترجمة واغداقهم المال على المترجمين ، شيئاً كثيراً (٢) ، حتى انهم اختصوا بمترجمين عدد اسماءهم بعض المؤرخين(٣) .

لقد غلب في هذا العصر على المترجمين ان يكونوا أطباءً ، فكان اغلبهم من غير المسلمين مما جعل الاعتقاد السائد في المجتمع ، بعدم أهلية المسلمين لعلم الطب والترجمة . يذكر الجاحظ ان طبيباً مسلما « اكـد مرة فقد قال له قائل : السنة وبئة ، والامراض فاشية ، وانت عالم ولك صبر وخدمة ولك بيان ومعرفة فمن أين يؤتى في مثل هذا الكساد ؟ قال : اما واحدة فاني عندهم مسلم وقد اعتقد القوم قبل ان اتطبب ، لا بل قبل ان أخلق ، ان المسلمين لا يفلحون في الطب ، واسمى أسد ، وكان ينبغى ان يكون اسمي صليبا . . . وكنيتي : ابو الحارث وكان ينبغي ان تكون ابو عيسى وابو زكريا . . . وعليَّ رداء قطن ابيض وكان ينبغى ان يكون ردائي حريراً اسود ، ولفظي لفظ عربي وكان ينبغى ان تكون لغتي لغة أهل جند يسابور »(٤) .

---

(١)اوليرى ، علوم اليونان٢٠٧ . (٢)ابن ابى اصيبعة ،عيون الانباء٢٦٠ .

(٣)ابن النديم ، الفهرست ، ط القاهرة ٤٢٣ ، القفطي ، اخبار الحكماء٨١ .

(٤) الجاحظ ، البخلاء ، طبعه الحاجرى ، القاهرة لا . ت . ١٠٢ .

هناك نص آخر للجاحظ يستلفت الانتباه ، ففي معرض اعتراضه على الترجمة والمترجمين يقول : « ان الترجمان لايؤدى ابداً ما قاله الحكيم على خصائص معانيه وحقائق مذاهبه . . . مثل مؤلف الكتاب وواضعه ، فمتى كان رحمه الله تعالى ، ابن البطريق وابن ناعمة وابو قرة وابن فهر وابن هبيلي وابن المقفع مثل ارسطا طاليس ومتى كان خالد مثل افلاطون ؟ »(١)

لقدعدد الجاحظ أغلب مترجمي عصره ، ومنهم من سبقه زمنا ، وأغفل حنينا فلم يذكره في أي من كتبه التي وصلنا اليها ، مع انهما تعاصرا وعاشا في بيئة اجتماعية وسياسية واحدة ، فكلاهما كان من رجال بلاط المتوكل . فهل من المعقول ان لا تحدث بينهما ثمة علاقة شخصية او علمية ؟

المعروف عن الجاحظ ، ان علاقاته الشخصية واهواءه السياسية أو ميوله المذهبيه ، تترك آثارها في كتبه بوضوح ، وعلى سبيل المثال ، كان تشنيعه على ابى يوسف الكندى في كتاب البخلاء ، صدى واضحا لعلاقتهما الشخصية ، فلمَ لم يشنع على حنين ان كانت بينهما علاقات سيئة ؟ .

إن الجاحظ كان على علم تام كما يبدو ، بشرائط الترجمة ومقوماتها ، وما يجب ان يتحلى به المترجم ، ولا غرو في ذلك فقد عاصر ازدهار هذه الحركة ، ومن هنا لابد ان تأثرت بعض كتبه بما ترجم من علوم ، سواء نتيجة ترجمة حنين لها (٢) ، او ترجمة غيره ، وربما يصح اعتبار البيان والتبين معارض لخطابة ارسطو (٣) . ان الجاحظ يستصعب ترجمة الشعر العربي الى اية لغة اخرى فيقول « نقلت كتب الهند وترجمت حكم اليونانية وحولت آداب الفرس فبعضها ازداد حسناً وبعضها ما انتقص شيئاً ، ولو

(١) الجاحظ ، الحيوان ، ١/٧٥ ـ ٧٦ . (٢) سلامة ، د . ابراهيم ، بلاغة ارسطو بين العرب واليونان ، القاهرة ١٩٥٢ ص٧٢ .

(٣) نوفل ، د. سيدنوفل ، البلاغة العربية في دور نشأتها ، القاهرة ١٩٤٨ ص٤٩ .

حولت حكمة العرب لبطل ذلك المعجز الذي هو الوزن »(١) ، ثم يشترط في المترجم التضلع والفهم في عمله « وان يكون اعلم الناس باللغه المنقولة والمنقول اليها حتى يكون فيهما سواء وغاية » (٢) ، ويبدو انه لم يجد من يطبق شروطه عليه من مترجمي عصره فيقول : « ان الترجمان لا يؤدى ابداً ما قاله الحكيم »(٣) ، ويشكك في اخبار المترجمين قائلا : « كيف اسكن بعد هذا . . . الى ما في كتاب رجل لعله ان لو وجد هذا المترجم ان يقيمه على المصطبة ويبرأ الى الناس من كذبه عليه ومن افساده معانيه بسوء ترجمته »(٤) .

فعلام تدل هذه النصوص ان قرناها بتجاهل الجاحظ لحنين ؟

ان انكار وجود حنين اعتماداً على تجاهل الجاحظ له ، امر غير ممكن بطبيعة الحال ، ذلك ان بعض مؤلفات حنين وصلتنا بالاضافة الى ماتنص عليه لدى المؤرخين .

ولكني ، معتمدا على هذه النصوص التي يبدو صدق صدورها عن معاصر لحنين . ازعم أن حنينا لم يكن متضلعاً في العربية ، ولا في الترجمة أيضا ، لقد كان مترجما عاديا لم يبز اقرانه ، وكل ما ذكر عن شاعريته او كتابه النحوي ، او صلته بالخليل ، او اجادته العربية ، ماهي إلا مزاعم متهافته اتى بها طبيب ، اراد ان يكون مؤرخاً ، فكتب عن زميل له في مهنته ، وحاول اسباغ العلم ، بل العلوم عليه .

(١) الجاحظ ، ن . م ١/٧٥ .

(٢) ايضا ١/٧٦ .

(٣) ايضا ١/٧٥ .

(٤) الجاحظ ، الحيوان ، ٦/١٩ .

حنين والمأمون

زعموا أن المأمون قد « احضر حنين بن اسحاق اذ لم يجد من يضاهيه في نقله ، وسأله نقل كتب الحكماء اليونان الى اللغة العربية ، وبذل له من الاموال والعطايا شيئاً كثيراً »(١) ، فاستدل من هذا الزعم على ان المأمون حين عني ببيت الحكمة كان قد أسس أول مدرسة علمية للترجمة ورأس عليها حنين بن اسحاق (٢) .

ويبدو لي ان هذا الزعم وما استتبعه من الاستدلال ، لا يستند الى واقع تاريخي ، ذلك أن حنينا وُلد عام ١٩٤ هـ ، فيكون عمر حنين اذ ذاك لا يتجاوز السنوات العشر ، ومن المحتمل أن المأمون اصطنع حنينا في أخريات عهده ، فزاول الترجمة في سن السابعة عشر(٤) ، ومن المحتمل ان يكون حنين اذ ذاك ضمن تراجمة المأمون ، وليس بالمقدم عليهم .

المترجمون والمخايل بن احمد

١ ـ ابن المقفع والخليل

ذكروا ان الخليل اجتمع بابن المقفع ، ليلة ، وبعد افتراقهما « قيل للخليل : كيف رأيت ابن المقفع ؟ فقال : رأيت رجلا علمه أكثر من عقله،

(١) ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، ٢٥٧ـ٢٦١ .

(٢) يُنظر: مظهر ، تاريخ الفكر العربي ٣١ ، حتى ، تاريخ العرب ، مطول، ٣٨٧/١ . اوليرى،علوم اليونان ...ص٢٢٦ ،معروف .اصالة الحضارة العربية ٤٣٤ .

(٤) اليازجي ورفيقه ، أعلام الفلسفة ١٠٠ .

وقيل لابن المقفع : كيف رأيت الخليل ؟ قال : رأيت رجلا عقله أكثر من علمه »(١) .

إن النقد الداخلي لهذا النص ، يظهر مأساة العصور العباسية المتأخرة، ويكشف عن سماتها ، يوم كان هم الاديب او المؤرخ ، أن يتلاعب بالالفاظ ، ويبادل بالملكات .

لقد عاش ابن المقفع في بيئة البصرة،وفي زمن كان فيه العلماء حشودا، فعاصر أكثر من شيخ من شيوخ اللغة والنحو فيها ، ومع ذلك لا نجد له ثمة علاقات بهؤلاء الشيوخ ، اللهم إلا ما ذكر في هذا النص الذي ردده ونقله المؤرخون ، خلفاً عن سلف ، وما ذكر من ان ابن المقفع رثا أبا عمرو بن العلاء حين علم بموته(٢) . وهذا الخبر لا يحمل من دلائل الصحة شيئاً ، ذلك ان أبا عمرو توفي مابين ١٥٤ ـ ١٥٩ هـ وتوفي ابن المقفع قبله بكثير ، في عام ١٣٨ ـ ١٤٠ هـ كما يذكر اليعقوبي(٣) .

ان من المعقول والطبيعي ان تكون لابن المقفع اكثر من علاقة باكثر من شيخ من شيوخ البصرة ، وقد عاصرهم ، ولكن المصادر لم تسعفنا باكثر من هذين النصين ، وأحدهما يفتقر الى التوثيق . ان النص الاول يعني ، بالتأكيد ، ان لقاءهما كان الاول ، فهل حدثت بعده لقاءات أخرى ؟ولمَ اغفلها المؤرخون ؟

ان كثيراً من الباحثين ، اعتمدوا على ما ذكر عن ترجمة ابن المقفع للمنطق والفلسفة ، فاستدلو منها ما ارتأوا ، وغالى بعضهم في افتراضاته ،

(١) ينظر مثلا: ابن خلكان، الوفيات، ١٥/٢ ، البغدادي، خزانة الادب ٤٥٩/٢ ، بيدي ، طبقات النحويين ٤٣ ، القفطي ، انباه الرواة ٣٤٣/١ .

(٢) ابن خكان ن . م ١٣٩/٣ ، اليافعي ن . م ٣٢٧/١ .

(٣) اليعقوبي ، التاريخ ١٠٨/٢ ـ ١٠٩ .

فدى بور مثلا ، يقول : « ان ابن المقفع الذي كان في اول الامر صديقاً حميماً للخليل بن أحمد ، يتسر للعرب الاطلاع على كل ماكان في اللغة الفهلوية من ابحاث لغوية ومنطقية ، وعلى هـذا الحال ، حصرت الجمل في انواع خمسة حينا وثمانية او تسعة حينا أخر كما حصرت اقسام الكلمة ، الاسم والفعل والحروف »(١) ، ومقالاة دى بور واضحة وجلية ، فالجمل ان ان لم تنحصر في مثل هذه الاعداد ، باختلاف نظر العلماء الذين حصروها فمن المحتم انها ستكون في عدد او اعداد اخرى ، فتقع في المصيدة ايضا وأنذاك ، فلا مناص ان تكون متأثرة بترجمة ابن المقفع ايضا ، على اننا نتساءل : كيف استساغ دى بور ان يجعل الصداقة بينهما حميمة مع افتقار المصادر الى ما يؤيد ذلك ؟ .

وتابع احد الباحثين دى بور فحاول ان يثبت هذه العلاقة اوالصداقة بينهما ، فلم يجد شيئاً من النصوص التاريخية ، على مايبدو ، فجبر محاولته بما روى عن الخليل من انه كان « الغاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليله »(٢) وعدّ ذلك دليلا قاطعا لاثبات العلاقة والصداقة والتأثير بينهما .

وشوه أخرون نص دى بور ، فذكروا ان لابن المقفع التأثير الفعال في ثقافة المثقفين العرب لانه ترجم الكتب عن الفارسية والهندية ، وقرّب مصادر هاتين الثقافتين من المثقفين العرب ، وبالتالي فقد اطلعهم على مافيها من ادب وحكمة(٣) . ومع ذلك فنحن لانستبعد وجود علاقة بينهما ،ولكن ليس بالشكل الذي ذكروه ، ان المعاصرة والمعايشة في بيئة واحدة ، امر لا يمكن نكرانه .

(١) تاريخ الفلسفة ٣٩ . (٢) شلبي ، ابو علي الفارسي ، ٤٤٤ .
(٣) يوهان فك ، العربية . ٥٤ ـ ٥٦ .

حنين والخليل

لعل اول من زعم الصلة بينهما ـ على ما وصلنا ليه من مصادر ، هو ابن جلجل ، الطبيب الاندلسي الذي عاش في حدود عام٣٧٧هـ ، قال في معرض ترجمته لحنين انه « نهض من بغداد الى ارض فارس وكان الخليل بن أحمد النحوي رحمه الله بارض فارس ، فلزمه حنين حتى برع في لسان العرب ، وادخل كتاب العين بغداد» (١) ، ثم نقل عنه ـ بترتيب زمني ـ صاعد بن أحمد الاندلسي(٢) «ت : ٤٦٢هـ » ، ثم ابن ابي اصيبعة(٣) « ولد ٦٠٠هـ » ، والقفطي(٤) « ت٦٤٦ » ، وقد تعاصرا ، ثم ردد هـذا الزعم ابن العبرى(٥) « ولد ١٢٢٦م » . والطريف في الامر ان صاعد الاندلسي بعد ان نقل هذا النص ، حاول تصحيح ما وقع فيه ابن جلجل فوقع في خطأ آخر فقال « لم يكن الخليل بن أحمد في ارض فارس ، انما كان في البصرة وتوفي بها سنة سبع ومائتين [٢٠٧] وبين وفاته ووفاة حنين المذكور تسعون سنة فانظر »(٦) .

اما ابن ابى اصيبعة فقد نمق هذا النص وزاد عليه فقال « كان . . . [حنين] فصيحا لسنا بارعاً شاعرا ، واقام مدة في البصرة ، وكان شيخه في العربية الخليل بن احمد »(٧) و« كان يشتغل في العربية مع سيبويه وغيره ممن كانوا يشتغلون على الخليل بن احمد ، وهذا لايبعد فانهما كانا في وقت واحد على زمان المأمون ، واننا نجد في كلامه وفي نقله مايدل على فصاحته

(١) طبقات الاطباء ٦٨ـ٦٩ . (٢) طبقات الامم ٥٤ .
(٣) عيون الانباء ٢٦٢ . (٤) اخبار العلماء باخبار الحكماء ١١٧ ـ ١١٩ .
(٥) تاريخ مختصر الدول ١٤٤ . (٦) طبقات الامم ٥٤ .
(٧) عيون الانباء ٢٥٧ .

وفضله في العربية وعلمه حتى ان له تصانيف في ذلك »(١) .

ويعلمنا ان سيبويه لم يدرك عهد المأمون ، حتى على اضعف الروايات، عرفنا مبلغ علم ابن ابي اصيبعة في التاريخ ، وصدق ما ذهب اليه اوليرى حين نفى الثقة باخباره(٢) . لقد استمر المؤرخون ، قدامى ومحدثون ، في الاخذ بهذا الزعم ، وهو زعم متهافت مرفوض للاسباب الاتية :

اولاً ـ افتقاره الى الاساس التاريخي ، ذلك ان حنينا كان قد ولد في عام ١٩٤هـ وتوفي الخليل قبل ذلك مابين ١٧٠ ـ ١٧٥هـ على اغلب الروايات وارجحها .

ثانياً ـ ان ابن جلجل كان قد عاش في الاندلس ، وهو مكان بعيد عن المكان الذى عاش فيه حنين والخليل ، بغداد والبصرة ، واذا أخذنا بنظر الاعتبار وسائل النشر وتلقي العلم في ذلك الوقت وجدنا الصعوبة في توفير الدقة العلمية في نقل الاخبار والروايات .

ثالثاً ـ ان ابن جلجل نفسه ، ومن اعقبه من المؤرخين الذين رددوا هذا الزعم ، لم يطلعنا احد منهم ، على المصدر الذي استقى منه ذلك الزعم راوية مثلا اوكتاب ، مما يجعل مثل هذه الاخبار مفتقرة الى الدقة العلمية موجبة لوقوف الباحث منها في حذر .

رابعاً ـ قد تكون رغبة ابن جلجل ، ان يصنف لتاريخ مهنته، مع جهله بالتاريخ ، املت عليه ان يحاول اسباغ سمات العلم على مترجمه بزعم مثل هذه الصلة بينه وبين الخليل ، تلك الشخصية العلمية المرموقة ، وهذا قد يفسر لنا كون جميع من ردد هذا الزعم ، هم من الاطباء او ممن عني باخبار الاطباء والمترجمين ، وتجاهل المؤرخون الآخرون هذا الزعم ، ومنهم من كان اقرب عهداً ومكاناً الى حنين والخليل ، كالسيرافي والزبيدي والخطيب البغدادي وابن خلكان الذى عاصر ابن ابي اصيبعة ، والقفطي .

(٨) عيون الانباء ٢٦٢ . (٢) علوم اليونان ٢٢٧ .

صدى هذا الزعم عند المحدثين

لقد وجد بعض الباحثين في هذه الصلة المزعومة مادة دسمة لبحوثهم وللطعن في اصالة النحو العربى بصورة غير مباشرة . ومما يزيد الاسى والاسف ان العشوائية كانت طابعاً لبعض المؤلفات المترجمة ، وان الخلط التاريخي والعلمي كان مزدوجا احيانا فضاعت مسؤوليته بين المؤلف والمترجم. لقد الف المستشرق اوليرى ، مثلا ، كتابه : علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب ، بغير العربية ، ولست ادرى ان كان يجيد العربية ام لا، لنعرف الطريقة التي استقى بها معلوماته ، هل ترجمت له عن العربية ام استقاها بنفسه من مصادرها ، لقد ترجم كتابه الدكتور وهيب كامل وراجعه الأستاذ زكي علي ، ولم يشر احدهما الى ما وقع فيه اوليرى ، قال : « كان حنين من أهل الحيرة وكان ابوه مسيحياً (نسطوريا) يبيع العقاقير . . . وتعلم العربية بعد ان تقدمت به السن ، فهو اذن لاينتمى الى الطبقة الحاكمة في الحيرة وهي الطبقة التي كانت تتكلم العربية ، ومما يعزز هذا القول اسم العبادي الذي يدل على انه كان من طبقة الشعب المحكوم في الحيرة ، وقد حضر في شبابه دروس ابن ماسويه . . . في جند يسابور . . . وحظى باعجاب استاذه . . . ولكنه احنق ابن ماسويه فيما بعد . . . فلما طرد من المدرسة ذهب حنين الى بلاد اليونان وتمكن من اللغة اليونانية وعرف اصول نقد النصوص على الصورة التي بلغتها طريقة مدرسة الاسكندرية وعندئذ رجع واستقر ردحا من الزمن في البصرة حيث تعلم العربية على خالد بن احمد ثم توجه قبل عام ٨٢٦م « ٢١٣ ـ ٢١٤هـ »بقليل الى بغداد وحصل فيها على رعاية جبريل ووضع له ترجمات لبعض مؤلفات جالينوس»(١) .

(١) علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب ، ص٢٢٥ .

ان اوليرى ينص على ان حنينا كان قد تعلم العربية بعد ان تقدمت به السن ، وتقدم السن لا يصح إلا ان يكون في النصف الاخر من عمر الفرد ، وهذا يعني بالارقام : ان حنينا تعلم العربية فى مابعد عام ٨٤٠م = ٢٢٥هـ ، وهذا خلاف ما نص عليه ، حين ذكر انه تعلمها قبل عام ٨٢٦ م .

ثم يعلل عدم تعلم حنين العربية في مقتبل عمره ، بعدم انتماء حنين الى الطبقة الحاكمة التي تتكلم العربية ، إن الحيرة في عصر حنين كانت قد صارت اشبه بالقرية المهجورة ، لاستحواذ البصرة والكوفة ثم بغداد ، على مركزها القديم ، بالاضافة الى كونها بيئة عربية مذ كانت حاضرة مهمة ، ولم يتذكر عنها ازداجية في اللغات .

ثم استنتج من لقب حنين « العبادي » ان حنينا كان من طبقة الشعب المحكوم ، ومعنى هذا ان اوليرى فهم اشتقاق اللقب من الاستعباد ، وليس من التعبد ، وهو ما ذهب اليه واضعوا اللقب انفسهم .

اما اسم الخليل ، فقد تحول الى : خالد بن احمد . ان الكتاب يخلو من جدول للخطأ والصواب ، ولكنه يضم فهرساً للاعلام وفيه : خالد بن احمد ، وليس فيه أي علم مسمى باسم الخليل او خليل(١) .

ويزعم اوليرى ان حنينا كان قد أتم جولته في اليونان ، حيث انهى تعليمه ثم عاد الى البصرة وتعلم العربية ، وبعدها عاد الى بغدا قبل عام ٨٢٦ م بقليل ، فتكون هذه الجولة مع طفولة وصبا حنين ، قد استغرقت الخمسة عشر عاماً الاولى* من عمره ومع ذلك فقد عدها اوليرى سناً متأخرة من عمر حنين ، تعلم فيها العربية .

---

(١) علوم اليونان... فهرست الاعلام ص٢٧٩.

*ذكر اوليرى في ص٢٢٤ ان حنينا توفي عام ٨٧٣م وهذا يقابل ٢٦٠هـ .

كل ذلك لم يناقشه المترجمان ولم يشيرا اليه البتة .

لقد وقع احد المؤرخين المعاصرين في خطأ اكثر شناعة ، والمفروض في مثل هذا المؤرخ ان يعنى بتمحيص النصوص ونقدها ، وليس تصنيفها فحسب ، يقول الاستاذ حسن ابراهيم حسن* « لما جاءت الدولة العباسية التي التي قامت بمساعدة الفرس ونشأ من ذلك اختلاط العنصرين العربي والفارسي اتجهت ميول الخلفاء العباسيين الى معرفة علوم الفرس واليونان ، فعنى ابو جعفر المنصور بترجمة الكتب ونقل له حنين ابن اسحق بعض كتب ابقراط وجالينوس في الطب »(١) ، وان ابناء موسى بن شاكر بعثوا حنينا الى بلاد الروم لغرض جلب الكتب وترجمتها لهم(٢) ، وفي مكان آخر يذكر ان الواثق العباسي « ت٢٣٢هـ » « طلب من حنين بن اسحاق ان يؤلف له كتاباً يذكر فيه الفرق بين الغذاء والدواء »(٣) ، كذلك يقول ان حنينا نبغ في عهد الواثق في « علم المواد السامة »(٤) .

ونرى ان هذه النصوص لا تحتاج الى مناقشة ، خاصة النص الاول منها والذي جعل فيه حنينا معاصرا للمنصور العباسي ، ولم يقل بذلك احد قبله ** .

---

* توفي المرحوم الاستاذ حسن ابراهيم قبل سنوات .

(١) حسن، د. حسن ابراهيم، تاريخ الأسلام السياسي ٢/٣٤٠ . (٢) ايضا ٢/٣٤١.

(٣) ايضا ٢/٨٤ . (٤) ايضا ٢/٣٤٩ .

** هناك باحثون اخرون ذهبوا الى اثبات علاقة حنين بالخليل منهم :

* الاستاذ احمد امين في «فجر الاسلام ج ١/ ٢٩٨» مع انه نص في نفس الصفحة على ان حنينا ولد عام ١٩٤ هـ وقال في «ج ٢ / ٢٧٠» ان الخليل بن احمد عاش مابين ١٠٠ ـ ١٧٥ للهجرة .

الدراسات النحوية والفقه

سارت الدراسات النحوية واللغوية مع الدراسات والفقهية جنباً الى جنب

* والاستاذ ناجي معروف في كتابه «اصالة الحضارة العربية» فقد ذكر في صفحة ٤٣٤ ان حنينا « تعلم الاغريقية واستقر في البصرة وتعلم العربية على يد الخليل بن احمد . . » .

*ومنهم الدكتور عمر فروخ في كتابه«تاريخ العلوم عند العرب» فذكر في صفحة ١١٧ ان ولادة حنين كانت سنة ١٩٤ هـ «٨١٠م» وفي نفس الصفحة يقول ان حنين « درس الفلسفة والطب ثم عاد الى البصرة وتبحر في درس اللغة العربية على الخليل بن احمد ت ١٧٤ هـ » ! ! .

* ومنهم روفائيل بابو اسحاق ، ذكر في كتابه « تاريخ نصارى العراق » ص٨٥ ، ان حنينا ولد في الحيرة وتوفي عام ٨٧٦م بعد ان اتقن اليونانية « وتثقف في علم الطب ، فعاد الى بغداد ثم سافر الى ارض فارس فالبصرة ودرس اللغة العربية على الخليل بن أحمد الفراهيدي ، المتوفي ١٧٠هـ-٧٨٦م ، وتضلع فيها » .

وكرر مثل هذا النص في كتابه الآخر « أحوال نصارى بغداد في عهد الخلافه العباسيه »ص ٦٨ .

*ومنهم الاستاذ جرجي زيدان في كتابه«تاريخ التمدن الاسلامي»،لم ينص على ذلك بل اوحى به فقال ان حنينا ولد سنة ١٩٤هـ وانتقل الى البصرة فتلقى العربية»ج٣/١٦٣.

وهناك باحثون آخرون فندوا هذا الزعم منهم :

* الدكتور مهدي المخزومي في «كتابه الخليل بن احمد الفراهيدي» ص٦٢-٦٥ . وكتابه «عبقري من البصرة» ص٨٨ - ٩٢ .

*والاستاذ احمد عبد الغفور عطارفي «مقدمة الصحاح » ج١/٥٨ - ٥٩ .=

خاصة في المراحل الاولى من هذه الدراسات ، فكل منها كانت منبعثة عن منبع قرآني محض .

ومع ان كلا من والبصرة الكوفة أخذت جانباً معينا من هذه الدراسات، فعنيت به وعرفت بذلك ، بحيث غلب على الدراسات الاخرى ، فان ذلك لا يعني افتقاد التأثير المتبادل بين المصرين ، تأثير علماء في علماء ، وتأثير دراسات في دراسات اخرى ، وذلك بحكم المنبع الواحد لهذه الدراسات وبحكم اختلاطها في مراحلها الاولى ، فتأثير النحو في الفقه ، والفقه في النحو ، بيّن واضح ، وغالباً ما اعتمد النحاة على افكار الفقهاء فاستقرأوها لاحكامهم والعكس ايضا ، وهذا التأثير المتبادل كان واضحاً وجليا أحياناً، وكان خافيا تاركا أثراً له ، أحيانا اخرى .

الحاجة المتبادلة بين الفقه والنحو

رأينا ان الدراسات النحوية كانت قد انبثقت عن اتجاه قرآني في اول نشأتها، وهدفت الى ضبط معاني القرآن بضبط ألفاظه ، وبهذا صارت معرفة القواعد النحوية والالمام باصولها ضرورة لازمة ، للذين درسوا القرآن واستنبطوا الاحكام الشرعية منه، ثم عرفوا بالفقهاء ،قال ابن خلدون « لا بدّ من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة ... والذي يتحصل ان الأهم المقدم منها هو النحو »(١) .

* والدكتور ابراهيم السامرائي في كتابه ،«التطور اللغوى التاريخي» ص٤٩ وما بعدها وفي كتابه «دراسات في اللغة» ص٢٠٥ - ٢٠٦ .

*والاستاذ فؤاد سيد في مقدمة كتاب «طبقات الاطباء والحكماء» لابن جلجل المطبوع سنه ١٩٥٥ .

(١) المقدمة ، ٥٤٥ .

ويظهر ان بعض الفقهاء كان يعي هذه العلاقة بين العلمين ، فكان يأخذ مايكفي حاجته ويمكنه من اداء مهامه،وقد يتمكن ان يحسن التصرف حين يقع في أزمات أحيانا ، قيل أن الحجاج طلب من ابن أبي ليلى ،ان يلعن الكذابين ،وكان يعني الامام وابن الزبير والمختار الثقفي ، فقال ابن أبي ليلى « لعن الله الكذابين ، ثم ابتدأ فقال : عليٌّ بن أبي طالب وعبدُ الله بن الزبير والمختارُ بن أبي عبيد . . . فعلمت انه حين ابتدأ فرفعهم لم يعنهم »(١) ، وكان بعضهم يحسن تخريج مايوهم اللحن ، كما حدث للشعبي في كلام له في مجلس عبد الملك بن مروان ، قال : « رجلان جاؤني فقال عبد الملك : لحنت يا شعبي ، قال . . . لم ألحن مع قول الله عز وجل: هذان خصمان اختصموا في ربهم . . . »(٢) .

حاجة الفقه الى النحو

ولا ادل على حاجة الفقه الى النحو من ان النحو هو دراسة تركيب الجملة لبيان المعنى ، وقد يخفى هذا المعنى على بعض الفقهاء أحيانا ، روى ان الرشيد قال « لأبي يوسف يا يعقوب إيش تقول في رجل قال لأمرأته: انت طالق طالق طالق ؟ قال : واحدة ، قال : فأن قال لها انت طالق أو طالق أو طالق ؟ قال : واحدة قال : فأن قال لها : انت طالق ثم طالق ثم طالق ؟ قال : واحدة ، قال : فان قال لها : انت طالق وطالق وطالق ؟ قال : واحدة ، قال الكسائي يا أمير المؤمنين اخطأ يعقوب في اثنين واصاب في اثنين ، أما قوله انت طالق طالق طالق فواحدة لان الثنتين الباقيتين

(١) ابن سعد ، الطبقات ج٦ ، قسم اول /٧٦ ـ ٧٧ .

(٢) الثعالبي ، عبد الملك بن محمد ، فقه اللغة وسر العربية ، القاهرة طبعة المكتبة التجارية لا ت ص٤٩٣ .

تأكيد . . . واما قوله انت طالق او طالق او طالق فهذا شك فوقعت الاولى التي يتيقن بها ، واما قوله انت طالق ثم طالق ثم طالق فثلاث لانه نسق وكذلك قوله طالق وطالق وطالق »(١) * .

ولعل هذه الحادثة جعلت أبا يوسف القاضي يتحرز من اطلاق احكامه وفتاواه ، فيحس بحاجته الى النحو والنحاة ، فيطلبهم ويستفسر منهم عما يُسأل عنه ، رُوي ان الرشيد كتب اليه « يسأله عن قول القائل :

فأنت طلاق والطلاق عزيمة ثلاثٌ ومن يخرق أعق وأظلمُ

. . . ماذا يلزمه اذا رفع الثلاث واذا فتحها ؟ قال ابو يوسف : فقلت هذه مسألة نحوية فقهية ولا آمن الخطأ ان قلت فيها برأي فاتيت الكسائي . . . فسألته فقال : ان رفع ثلاثا فقد طلقت واحدة لأنه قال وانت طلاق ، ثم اخبر ان الطلاق التام ثلاثٌ ، وان نصبها طُلقت ثلاثا لان معناه : انت طالق ثلاثاً وما بينهما جملة معترضة . . . »(٢) .

وقيل ايضا ان محمد بن سيرين كان يبغض النحويين وابن ابي اسحاق، وكانت حلقتاهما متجاورتين فكان « يقول بغّض الينا هؤلاء المسجد »(٣)، فتمثل يوما بالأية الكريمة : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » ، برفع اسم الجلالة ونصب العلماء « فقال ابن ابي اسحاق : كفرت يا أبا بكر بعيبك على هؤلاء الذين يقيمون كتاب الله فقال ابن سيرين ان كنت اخطأت فاستغفر الله »(٤) .

(١) الانباري ، نزهة الالباء ، ط بغداد ص٤٦ ـ ٤٧ .

* روى الزجاجي رواية اخرى لنفس الغرض حول الفرق بين ان المكسورة الهمزة والمفتوحة الهمزة ، مجالس العلماء ، ص ٢٥٧ مجلس ١٢١ .

(٢)ابن هشام ، مغني اللبيب ٥٣/١ . (٣)القفطي ، انباه الرواة ١٠٦/٢ .

(٤) ايضا ٢ / ١٠٧ .

لم تكن العلاقة من جانب الفقهاء فحسب ، لقد كان النحاة بحاجة الى الفقهاء وفقههم ايضاً، روى عن يونس بن حبيب انه قال: « اختلفنا في ان الشعر ينقض الوضوء أم لا ، فرأينا محمد بن سيرين قد دخل المسجد فبعثت اليه رجلا فسأله فانشأ يقول :

لقد اصبحت عرسُ الفرزدق ناشزاً . . . . . .

ثم استقبل القبلة فقال : الله اكبر . . »(١) ، او «قام فأم الناس »(٢) .

القياس بين الفقهاء والنحاة

كان القياس منهجا لمفسري القرآن الاوائل ابتداءً من ابن عباس في سؤالات نافع بن الازرق له ، ويبدو ان الفقهاء اخذوا هذا المنهج لقرب التفسير من الفقه، ومن ثمَّ اخذه عنهم النحاة وتاثروا بهذا المنهج لملاءمته الهدف التعليمي الذي هدفوا اليه ، والقياس الذي وسَّعه ابو حنيفة وشيوخه(٣) ، تأثر به الخليل واجاد فيه في اللغة(٤) ، روى الليث انه سأل الخليل عن العشرة ، « فقلت اذا قلنا خمسة قلنا خمسين ، واذا قلنا سبعة قلنا سبعين ، واذا قلنا عشرة قلنا عشرين، لِمَ كسرت العين من عشرين ولم تكسر السين من سبعين والخاء من خمسين ؟ فقال : لأن العشرين مأخوذ من العِشر لا من العَشرة . . . قال أبو حنيفة : لذا قال الرجل لامرأته قد طلقك تطليقتين وثلاثا طُلقت ثلاثاً من هذا قلت ان العشرين هي من عِشر وعشر »(٥) .

(١) اليغموري ، نور القبس ، ٥٠ . (٢) ابن رشيق ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ج ١ القاهرة ١٩٣٤ ص١٧ .

(٣)الانصاري ، د . احمد مكي، ابو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة القاهرة ١٩٦٤ ص٣٦٢ . (٤) احمد امين ، ضحى الاسلام ، ٢٧٨/٢ .

(٥) الزجاجي ، مجالس العلماء ٢٤٩ ـ ٢٥٠ مجلس ١١٧ .

كذلك نجد بعض النحاة يفتون في مسائل فقهية مقايسينها على مسائل نحوية وصرفية ، كمسألة السهو في سجود السهو ، وقياسهم اياها على عدم تصغير المصغر أو عدم ترخيم المرخم ، واستنباطهم بأن لا شيء على هذا الساهي(١) * ، ويبلغ الامر بالجرمي ، ان يقول « انا مذ ثلاثون سنه أفتي الناس في الفقه من كتاب سيبويه »(٢) .

واحيانا اخرى نجد بعض النحاة يصححون قياس بعض الفقهاء ، خاصة في اللغة ، وما ذاك إلا لأن النحاة كانوا يعون الجمل وأساليب التعبير أكثر مما كان يفهمها الفقهاء ، لأخذهم بظاهر اللفظ ، غالباً ، « قال ابو حنيفة ليونس يا أبا عبدالرحمن علمتَ أن الرمّان ليس من الفاكهة؟ قال : لِمَ ؟ قال: لقوله عز وجل « فيها فاكهة ونخل ورمان » ** ، فقال يونس : فجبريل وميكائيل اذا ليسا من الملائكة لقوله تعالى « من كان عدوّاً لله وملائكته ورسله وجبريلَ وميكائيلَ »*** ، قال فكيف ذلك ؟ قال : ان الله عز وجل اذا خصَّ الشيء بالفضل ادخله في الجملة ، ثم أبانه بالاستثناء وافرد ذكره »(٣) .

(١) ايضا ٢٥٢ مجلس ١١٧ .

* رويت هذا المسألة بعدة وجوه ومع اكثر من نحوي فالزجاجي(٢٥٢) يرويها مع الفراء والقياس على التصغير ويرويها ايضا مع الجرمي والقياس على ترخيم المرخم، والانباري « نزهة٦٧ » يرويها مع الفراء وباب التصغير ، وياقوت الحموي ١/ ١٥ رواها مع الفراء وباب تصغير المصغر ايضا ، ومثله ابن خلكان ، وفيات ٢ / ٤٥٧ .

(٢) الزجاجي ، مجالس العلماء ٢٥١ .

** سورة الرحمن الآية ٦٨ *** سورة البقرة ، الآية ٩٨ .

(٣) اليغموري ، نور القبس ، ٥١ .

الاعتزال وعلم الكلام والدراسات البصرية

اختلف الباحثون المحدثون في نشوء هذا المذهب الفكرى ، فمنهم من قارنه بالحركات الاصلاحية في اوربا ، وزعم انهم اخذوا ادلتهم من قدامى الفلاسفة المسيحيين وسماهم « بروتستانت الاسلام »(١) ، وحاول ارجاع مذهبهم الى حقب تاريخية اقدم من العصر الذي عرف فيه المعتزلة فقال: انه « يمكن ارجاع اصل مذهبهم الى ثلاثة متكلمين القوا الشك بعد وفاة النبي في المبدأ القائل بالقضاء والقدر . . . وهم معبد الجهني وغيلان الدمشقي وابو علي الاسوارى ، وانتحل مذهبهم تلميذ الامام الحسن البصري ، أبو حذيفة واصل بن عطاء»(٢) ، ولعله استند في زعمه على ماقال به الشهرستاني في شرحه لقواعد المعتزلة الواصلية (٣) ، وهذا الزعم يرجع الافكار الاعتزالية الى مصادر مسيحية ومانوية ، وهي ليست عربية او اسلامية على اي حال .

ووهم آخر في ان واصل بن عطاء انشق على الامام جعفر الصادق(ع) ، فأخرجه من حلقته(٤) ، وذهب اوليرى الى مثل ماذهب اليه سيديو تقريبا فقال ان الامويين اصطنعوا رهبانا قدموهم في وظائف الدولة منهم سرجيوس ،وهؤلاء اصطنعوا آخرين قاموا بالجدل ووضعوا الكتب فيه ، فطعموا الفكر الاسلامي بالافكار اللاهوتيه المسيحية التي انتجت فكرة قدم الخالق والمخلوق التي انبعثت عنها فرقة المعتزلة(٥) ، ويبدو ان هذا الزعم بعيد عن

(١) سيديو ، تاريخ العرب العام ، ٤٥٣/١ . (٢) ايضا ١ / ٤٥٤ .
(٣) الملل والنحل ٦٠/١-٦٢ . (٤) رونلد سن ، عقيدة الشيعة ١٤١/١ .
(٥) علوم اليونان ... ١٩١ - ١٩٦ .

الواقع التاريخي باستثناء الفقرة الاولى منه ، ان مسألة قدم الخالق والمخلوق وخلق القران لم تكن من البذور الاولى لافكار المعتزلة .

ورأى بعضهم ان الاعتزال وعلم الكلام نشأ قبل أن يترجم ابن المقفع المنطق* ،فصارت البصرة نتيجة ذلك مباءة للجدل المنطقي(١) ، على حين يرى باحث اخر « ان المعتزله كوّنوا مذهبهم من مشاكل علم الكلام»(٢)، ومعنى هذا ان علم الكلام كان قد سبق الاعتزال زمنا،ويرى الدكتور طه حسين ان علم الكلام والاعتزال نتاج شعوبي(٣) . على حين يرى بروكلمان ان النضال ضد المانوية بالاضافة الى الجدل الذي اعقب معركة الجمل ، كان العامل الاهم في نشوء الاعتزال (٤) .

ان الاعتزال عرف اول الامر في البصرة ، وارجاعه الى عامل معين او عاملين امر لايخلو من تجنٍّ على الواقع ، فلا يمكن التغاضي عن مجموعة العوامل التي انتجتها البيئة البصرية المعقدة، ثقافياً وحضارياً ، تلك العوامل بمجموعها ادت الى نشوء التيارات الفكرية فيها ، ومنها الزهد والتصوف(٥)، ومنها الاعتزال ، ومنها القدر والجبر .

وتبدو أهمية الجدل الذي اعقب معركة الجمل، والذى استمر سنين طويله، في كونه النقطة الحاسمة التي افترقت عندها افكار واصل بن عطاء عن افكار شيخه الحسن البصري حين قال الخوارج « بتكفير أهل الكبائر وقال أهل السنة بفسقهم ،قال واصل بن عطاء : لا مؤمنون ولا كفار ، فطرده الحسن

*راجع راينا بشأن ترجمة إبن المقفع ، ص٩١ .
(١) الوردي ، اسطورة الادب الرفيع ، ٢١٥ .
(٢) موسى ، د . محمد يوسف ، القرآن والفلسفة القاهرة ١٩٦٦ ، ص٨٩
(٣) في الادب الجاهلي ١٦٥ . (٤) تاريخ الشعوب الاسلامية ٢٠٧ .
(٥) الشيبي ، الصلة بين التصوف والتشيع ٣٠٧/١ - ٣٣٢ .

من مجلسه»(١) ، ثم انضم اليه عمرو بن عبيد تلميذ الحسن ايضا(٢) ، فمن هنا كان ما اصطلح عليه ، فيما بعد ، بالمنزلة بين المنزلتين ، المبدأ الذي عُرف به المعتزلة على اختلاف فرقهم ، فنشوء الاعتزال اذن كان نتيجة طبيعية من نتائج التفاعل الحضارى والأمتزاج الثقافي في البيئة البصرية ، ولو لم ينشأ الاعتزال على يد واصل بن عطاء ، لنشأ على يد غيره وبافكار متشابهة ، في أغلب الاحتمالات ، ذلك ان واصل بن عطاء ، كما يظهر من سيرته ، كان شخصية مؤهلة لمثل هذا الدور ، فهو كما يُذكر عنه كان أول من صنف في علم الكلام(٣) ، وتحرك تحركا سياسياً يحمل أكثر من معنى بمبايعته محمد النفس الزكية(٤) ، مع انه لم يكن علوي الهوى والرأى ، ولعل مارواه المبرد من اجادته المغالطة والتحايل على الخوارج حين اسروه(٥) ، تلقي ضوءاً على هذا الموقف السياسي ، بالاضافة الى اجادته الخطابة وحسن تصرفه في الجدل(٦) ، كل تلك العوامل اهلته لأن يكون « مؤسس المدرسة الفكرية التي اعتمد اصحابها على العقل » (٧) ، والزعم بان علم الكلام والاعتزال عرفا عند المسلمين قبل هذا العصر(٨) ، امر يفتقر الى الدليل .

(١) الحنبلي ، ابن العماد ، شذرات الذهب ١٨٢/١ .
(٢) ايضا ١٠ /٢١٠-٢١١ .
(٣) السيوطي ، الوسائل ، ١٣٣ .
(٤) الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ٢١٥ .
(٥) المبرد ، الكامل ، ١٦٤/٣-١٦٥ .
(٦) نوفل ، البلاغة العربية في دور نشأتها ٦٧ .
(٧) حتي ورفيقه ، تاريخ العرب المطول ٣١٣/١ .
(٨) الديلمي ، ارشاد القلوب ٧٦/٢ .

أثر الاعتزال وعلم الكلام في علوم اللغة

كان المعتزلة في أول نشأتهم يحاولون التماس الدليل من القرآن بتأويل الآيات المحتملة للتأويل على وجوه تتفق ومذهبهم(١) الفكري ، فاتخذوا من الالفاظ ودلالاتها اللغوية وسيلة مؤثرة في هذا الميدان(٢) ، باعتمادهم « على فلسفة اللغة العربية وفقهها واشتقاقاتها الى أبعد الحدود »(٣) ، فشاركت هذه الوسائل في إنماء علوم اللغة وازدهارها : « اشتقوا ... من كلام العرب . . . الاسماء . . . واصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم »(٤) .

فمن الطبيعي اذن ان تتأثر علوم العربية بالاعتزال وربيبه علم الكلام ، طالما ان التخصص العلمي لم يحدث بعد ، وان العلماء كانوا يوزعون نشاطهم العلمي في اكثر من ميدان ، غالباً ، ولا ادلّ على ذلك من أن الخليل نفسه حاول التأليف في علم الكلام ، وان الجاحظ عاب عليه تلك الخطوة (٥) .

من هنا لا نستغرب ان يتأثر نحاة البصرة بارآء المعتزلة ومنهجهم الكلامي فيأخذوا عنهم الاعتداد بالعقل الى حدود بعيدة ، فيطرحوا ما يتعارض مع منهجيتهم ويهملوا ما يشذ من اللغة(٦) ، فيختصوا بهذه الميزة

(١) موسى ، القرآن والفلسفة ٤٠ .
(٢) نوفل ، البلاغة العربية في دور نشأتها ٢٥ .
(٣) معروف ، اصالة الحضارة العربية ٢٠٦ .
(٤) الجاحظ ، البيان والتبيين ١٣٩/١ .
(٥) الجاحظ ، الحيوان ١٥٠/١ .
(٦) المخزومى ، الخليل ٤٠ .

ويعمّموا احكامهم العقلية « حتى في المجال الادبي الفني »(١) .

إن هذا التأثر لم يكن في الميدان العلمي ومنهج البحث فحسب ،بل ترك آثاره واضحة حتى في سلوك شيوخ البصرة أنفسهم ، صاروا يتحرجون من الاسراع في اجابة السائلين خوفاً من تصيّد الاخطاء، وصاروا يحكّمون عقولهم فيما يتفوهون به فيقلّبون الامور على عدة اوجه قبل ان يصدروا حكما ، وقد لا يصدروه ، روى النضر بن شميل ان رجلا سأل شيخه الخليل بن احمد،فأطرق «يفكر،واطال حتى انصرف الرجل،فعاتبناه ،فقال:ماكنتم قائلين فيها ؟ ، قلنا : كذا وكذا قال : فأن قال كذا وكذا ؟ قلنا نقول كذا وكذا ، فلم يزل يغوص حتى انقطعنا ، وجلسنا نفكر ، فقال : ان المجيب يفكر قبل الجواب وقبيح ان يفكر فيه ، وقال : ما اجيب بجواب حتى اعرف ما عليّ فيه من الاعتراضات والمؤاخذات »(٢) .

(١) المخزومي ، مدرسة الكوفة ٤٨ .

(٢) الحنبلي ، شذرات الذهب ١/٢٧٥ ـ ٢٧٦ .

الفصل الثالث

الدارسون والدراسات النحوية

دارسو اللغة والنحو في البصرة

سنحاول في هذا الفصل دراسة ورصد آثار شيوخ البصرة وعلمائها في اللغة والنحو ، بالاضافة الى دراسة العوامل التي كان لها اثر بيّن في توجيه دراساتهم في منهج معين ، ولعل دراسة ما وصلنا اليه من مؤلفات وآراء نسبت اليهم ، يعيننا في ذلك .

ابو الاسود الدؤلي

لأبي الاسود صلة وعلاقة مشهورة بالنحو ، وصف بأنه « أول من وضع النحو واصّله او اخترعه او وضع اساس العربية »(١) ، و « الاكثر على انه اول من وضع العربية ونقط المصحف »(٢) ، ونص آخرون على انه أخذ النحو عن الامام علي ـع ـ ، وانه القى اليه « اصولاً احتذى عليها»(٣) . نسبوا اليه مصنفا باسم « المختصر في النحو »(٤) ولعله نفسه « صحيفه

(١)ابن سلام ، طبقات الشعراء ، ١٢ ، الزبيدى ،طبقات النحويين، ١٣ـ١٩.

(٢) ياقوت ، معجم الادباء ٤/٢٨٠ ـ ٢٨٢ .

(٣)الزبيدي، ن . م، ١٣ـ١٩ ، ابن الجزرى ، غاية النهاية،١/٣٤٥ـ٣٤٦ .

(٤)ياقوت ، ن . م ، ٧/٢١٠ .

الحديثة »(١) ، التي ذكرها ابن النديم ، وأبان فيها بحوثاً نحوية ، بشكل بدائي ، ولأبي الاسود رأي نحوي في « لولا » فجوز ان يليها ضمير من غير ضمائر الرفع ، مستنداً الى سماعه بعض العرب يقول : « لولاي لكان كذا وكذا »(٢) ، وذكر المؤرخون ان بعض دارسي اللغة والنحو كانوا قد تلمذوا له(٣) .

عبد الله بن ابي اسحاق الحضرمي

عده بعض الباحثين ، أول نحوي بصري يمكن ان نجد عنده طلائع علم النحو(٤) ، أو أنه واضع علم النحو بدليل عدم ذكر سيبويه أيه اراء نحوية لمن سبقه من النحاة (٥) .

قيل أنه املى كتاباً في الهمز (٦) ، وفي كتاب سيبويه ستة آراء نحوية لابن أبي اسحاق ، ومن آرائه التي تفرد بها ، أن الفاء في مثل : « خرجت فأذا الاسد [هي] للسببية المحضة كفاء الجواب »(٧) .

---

(١) ابن النديم ، الفهرست . ط . مصر ، ٤٠ ـ ٤١ .

(٢)ابن عبد ربه ، العقد الفريد . ٤٨٥/٢ .

(٣)يُنظر : الانباري ، النزهة، ط ، مصر،٦ـ١١ ، الزبيدي ، ن .م ، ٢٢ـ٢٥. ابن النديم ، ن م ، ٦٨ . السيرافي ، اخبار النحويين ، ١٧ .

(٤) شوقي ضيف ، المدارس النحوية ، ٢٢ .

(٥)مصطفى ، ابراهيم ، « اول من وضع النحو » بحث في مجلة كلية الآداب في جامعة فؤاد الاول ، ج٢ /مجلد ١٠ / ١٩٤٨م ، ص٧١ .

(٦) اليغموري ، نور القبس ، ٢٤ .

(٧) ابن هشام ، مغني اللبيب ، ١٦٧/١ .

اما بشأن تلمذته ، فقيل انه تلمذ لأبي الاسود(١) ، كذلك ذكروا له بعض الرواة والتلاميذ(٢) .

ابو عمرو بن العلاء المازني

ردّد المؤرخون خبراً يلفت النظر بشأن مؤلفاته ، قالو : أن « كتبه التي كتب عن العرب الفصحاء ، قد ملأت بيتاً له الى قريب من السقف ، ثم انه تقشّفَ ، فأحرقها ونفر للعبادة(٣) ، « فلما رجع الى علمه الاول ، لم يكن عنده إلا ما حفظه »(٤) ، وسأله الاصمعي عن ألف مسألة فأجاب بألف حجة(٤) .

ماهي العلاقة يا ترى بين احراق الكتب والتعبد؟ ، إن كتبه وصفت بانها مكتوبة عن الاعراب الفصحاء ، وهذا يعني أنها في أبواب الشعر واللغة، في الاعم الاغلب ، فلماذا احرقها ؟ ، هل كان النسك والتعبد يعني التصوف والانقطاع عن العالم ؟ ، مع ان التصوف كان في أولى مراحله آنذاك .

إن هذه الرواية قد تكون وضعت لتبرير عدم تأليف ابي عمرو في العربية مع سعة علمه ، وان كانت صحيحة ، فربما تكون علاقته بالشعر والشعراء تلقي بعض الضوء .

ذكروا أنه « اذا دخل شهر رمضان لم يحتج فيه بيت شعر »(٥) ، مع

---

(١)السيوطي ، المزهر ، ٣٩٨/٢ .

(٢)ينظر ابن الجزري،غاية النهاية،٣٨١/٢، السيرافي،اخبار النحويين،٢٠ ، ٢٥.

(٣)ياقوت ، معجم الادباء ، ٢١٧/٤ ،ابن الجزري ، غاية النهاية ،٢٨٨/١ .

(٤)اليافعي ، مرآة الجنان . ٣٢٥/١ .

(٥) ابن الجزري . غاية النهاية ، ٢٨٨/١ ، ابن خلكان ، الوفيات ١٣٨/٣.

ان اليغموزى روى كافة اخبار ابى عمرو في الشعر ونقده(١) .

نسبوا اليه انه اعترف ليونس بن حبيب بأنه لم يزد في شعر العرب إلا بيتاً واحداً هو :

وانكرتني وما كان الذى نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا

وقالوا : أن البيت من جملة ابيات للأعشى(٢) ، أو ألحق بشعر الاعشى(٣)، فهل كان هذا البيت مما لم يطاله الحرق ؟ ، وهل كانت كتبه التي احرق ، في الشعر المنحول ؟ .

ان معاصرة ابو عمرو ، لموجة الانتحال في الشعر ، تلك الموجة التي كان من رجالها خلف الأحمر ، مما يبادر الى الذهن هذا الرأي .

ذكروا من شيوخه وتلاميذه عدداً كبيراً في اكثر من باب من ابواب المعرفة(٤) وكان أبرز تلاميذه ، الخليل بن احمد ، وسيبويه ، والاصمعي(٥) .

عيسى بن عمر الثقفي

عـــدّه بروكلمان ، رأس المدرسة البصرية (٦) ، وعدّه الدكتور المخزومي : « أحد رجال المدرسة النحوية الاولى »(٧) .

تنسب اليه كتابة أكثر من سبعين مصنفاً(٨) ، لم يذكروا منها سوى

(١) نور القبس ٢٥ـ٣٨ . (٢) ابن خلكان ، الوفيات ، ١٣٨/٣ .
(٣) الحلبي ، مراتب النحويين ، ١٤ .
(٤) ينظر : معجم الادباء ، ٢١٦/٤ ـ ٢١٨ ، ابن الجزري ، غاية النهاية ٢٨٨/١ ، ٣٨١/٢ . بروكلمان ، تاريخ الادب ، ١٢٩/٢ ، الزبيدي ، طبقات النحويين ٢٥ . (٥) ياقوت ، ن . م ، ٢١٦/٤ ـ ٢١٨ ، السيوطي ، البغيه ، ٢٣١/٢ـ٢٣٢ ، ابن الانبارى ، النزهة ، ط . مصر ، ٢٤ـ٢٩ .
(٦) تاريخ الادب ١٢٨/١ . (٧) الخليل بن احمد ٣٤ .
(٨) القفطي ، انباه الرواة ، ٢٧٤/٢ .

كتابي الجامع والاكمال أوالمكمل(١)،وقدحفلت كتب النحو ببعض آرائه، التي خالف زملاءه في بعض منها ، كاجازته تصريف اسم امرأة سميت بـ «عمرو لانه على اخف الابنيه »(٢) ، ونصبه للمنكر في النداء اذا نوّن وطال فيقول : « سلام الله يا مطراً عليها »(٣) .

قيل أنه تلمذ لكثيرين ، كان ابرزهم ابن أبي اسحاق(٤) ، وكان من تلاميذه الخليل بن احمد وآخرون(٥) ،

الاخفش الاكبر ، ابو الخطاب

قالوا : انه « أول من فسّر الشعر تحت كل بيت ، وما كان الناس يعرفون ذلك قبله ، وانما كانوا اذا فرغوا من القصيدة ، فسّروها »(٦)، و « كانت له الفاظ لغوية انفرد بنقلها عن العرب »(٧) ، لانه جعل الاعراب مصدراً مهماً من مصادر دراسته (٨) ، فاعتمد عليهم في ارائه اللغوية والنحوية ، من مثل :

اتوعدني بقومك يابن جحلٍ اشابات يخالون العبادا
بما جمعت من حضنٍ وعمروٍ وما حضن وعمرو والجيادا

فحمل نصب الجياد على معنى الفعل،واخذه عن الاعراب الموثوق بعربيتهم»(٩).

(١) السيرافي ، اخبار النحويين ٢٥ . (٢) سيبويه ، الكتاب ، ٢٣/٢ .
(٣) ايضاً ، ٣١٣/١ . (٤) ينظر: ياقوت ، معجم الادباء ٦٢/١٠٠ـ١٠٢، ابن خلكان ، الوفيات ، ٢٣٧/٢ ـ ٢٣٨ و ١٥٤/٣ ـ ١٥٦ .
(٥)ينظر :ابن خلكان ، ن . م ، ١٥٤/٣ـ١٥٦ ، ابن النديم ، الفهرست . ط . م ، ٦٨ . (٦) السيوطي ، المزهر ، ٤٠٠/٢ .
(٧) القفطي ، انباه الرواة ، ١٥٧/٢ ـ ١٥٨ .
(٨)السيوطي ، البغية ، ٧٤/٢ . (٩)سيبويه الكتاب ، ١٥٣/١ .

من الشيوخ الذين يعتدون برأيهم العلمي ، ولا يجنحون الى التقليد ، وكثيراً ما قال عنه المؤرخون ، أنه كانت « له مذاهب واقيسة تفرّد بها »(١)، ومن هذه الاقيسة قوله : « ثنتيّ وينبغي ان يقول هنتي فى هنه ، لأنه اذا وصل فهى تاء كتاء التأنيث،زعمَ الخليل ان من قال بنتي قال هنتي ...وهذا لا يقوله احد »(٢) ، كذلك تفرّد بتجويزه الحاق الف الندبة في الصفة نحو : يا زيد الظريفاه ، حملاً على المضاف اليه(٣) ، وقد حفل كتاب التصريف للمازني ، بكثير من هذه الاقيسة ، كقوله : « في تحقير قبائل ، اسم شيء ، قُبيّل ، فلا يهمز والخليل يهمز »(٤) ، « وفي تصغير حطائط: حطيّط ، فيحذف الهمزة . . »(٥) .

كان يونس بن حبيب ، قد ضم الى دراساته في اللغة والنحو ، دراسة الشعر ونقده ، فحضى بمنزلة رفيعة في هـــذا الميدان ، لقد عُرف عنه حسٌ نقدي سليم متسم بسمات علمية في النقد الادبي ، قياساً الى عصره، وقد أهلته هذه المنزلة ان يصدر احكاماً نقدية سليمة ، وأكثر علمية عن سبقه او تأخر عنه ، كتلميذه ابن سلام ، مثلا ، كـان ابن سلام يقوّم الشاعر والنص الادبي ، متقيداً بالزمان والمكان وتعدد الاغراض ، وكان يونس ، يقوّم الشاعر من خلال قصائد او ابيات او ظروف معينة، احياناً .

(١)ياقوت ، معجم الادباء،٧/٣١٠-٣١٢ ، السيرافي ، اخبار النحويين،٢٧.

(٢)الكتاب ، ٨٢/٢ .

(٣)ابن الانباري ، أسرار العربية ، ٢٤٤ ـ ٢٤٥ .

(٤)ابن جني ، ابو الفتح عثمان ، المنصف ، شرح كتاب التصريف للمازني، ج٢ القاهرة ١٩٥٤ ص٨٥ . (٥) ايضاً ٨٣/٢ .

نقل ابن سلام انه سأل يونس « عن أشعر الناس فقال : لا أومىء الى رجل بعينه ، ولكني أقول : امرؤ القيس اذا غضب ، والنابغة اذا رهب ، وزهير اذا رغب ، والاعشى اذا طرب»(١) .

ان الحس النقدي الذى تمتع به يونس بن حبيب ، جعله يتعصب لرؤبة بن العجاج(٢) ، مع انه كان من الرّجاز الذين ما حضوا برضا النقاد ودارسي الشعر أنذاك .

لقد كانت اراء يونس في الشعر ، تخالف بعض معاصريه من الشيوخ احياناً ، خاصة في مايتعلق بالشعر الاسلامي ، لقد خالف ابا العلاء في نظرته الى شعر الفرزدق(٣) ، وفضل قصيدة مروان بن أبي حفصة ، وهو شاعر ناشيء أنذاك ، على قصيدة الشاعر الجاهلي ، الاعشى(٤) ، وكان تعريفه للشعر والشاعر ، منطلقاً لهذه الاراء النقدية ، إنه سمّى « الشاعر شاعراً ، لأنه يشعر من تأليف الكلام ونظمه ، مالا يشعر له غير »(٥) .

قيل انه صنف في معاني القرآن واللغة والنوادر (٦) ، ونسب اليه « كتاب القياس في النحو »(٧) ، وقيل أنه نصب نفسه للافادة والتدريس فلم يصنف في علوم العربية(٨) .

(١)ياقوت ، معجم الادباء ، ٧/٣١٠ ، اليغموري ، نور القبس ، ٢٧ . وقد اسند النص الى الفرزدق ، وتحدث الدكتور حسين نصار عن ميزات يونس في نقد الشعر ودراسته، حديثا وافيا ، في كتابه يونس بن حبيب٩٨-١١٨ .

(٢)اليغموري ، نور القبس ، ٥٣ ، الزبيدى ، طبقات النحويين ، ٤٨ .

(٣)الجاحظ ، البيان والتبين ،١/٣٢١ . (٤)الانصارى،الفراءو ذهبه،١٣٥ .

(٥)اليغموري ، ن . م ، ٤٩ . (٦)ياقوت ، معجم الادباء ، ٧/٣١٢ .

(٧)بركلمان،تاريخ الادب،٢/١٣٠ . (٨)زيدان،تاريخ اداب العربيه،٢/١٣١ .

الخليل بن احمد الفراهيدي

لعل اهم عمل عملي قام به الخليل ، او ابتدعه هـو تغييره لنقط أبي الاسود ، الى العلامات الاعرابية المعروفة ، والتي اخذها من اصوات المدّ في الحروف العربية ، ويظهر ان هذه الفكرة كانت قد استحوذت على تفكيره، ففرّع تلك العلامات الثلاث الى حركات اخرى ، اكثر دقة منها ، كالروم والاشمام ، والامـالة ، وغيرها(١) ، وعدّوا منها واحدا وعشرين نوعاً(٢) .

اما استنباطه لعلم العروض ، فقد كان جهداً فرديا بعيدا عن المؤثرات الحضارية الاجنبيه ، ولعل دراسته هذه ، جعلته يتجه الى دراسة الموسيقى ايضاً (٣) .

كان الخليل الرائد الاول في ميدان النشاط المعجمي ، فقد رتب مفردات اللغة في معجم العين بترتيب مبنى « على اساس صوتي فسيولوجي ، بحيث ان الاصوات التي يجهر بها من اعماق الحلق ، توضع في الاول ، الاصوات التي ينطق بها من الجزء الامامي من الفم ، اي الشفاه ، توضع في الآخر»(٤)، فمعجم العين ، اذن ، مستمد من الدراسة الصوتية للحروف ومخارجها(٥) ، ومن هنا يستحق الخليل ، عن جدارة ، ان يُعد « منظم اول قاموس

(١)السيوطي ، الوسائل ١١١ ، البكرى الاوني ، سمط اللالىء ، ٨١٥/٢ ، الحنبلي،شذرات الذهب، ٢٧٥/٧، دائرة معارف البستاني ، مجلد٨/٤٦١ـ٤٦٢ .

(٢)الخوارزمي ، محمد بن احمد ، مفاتيح العلوم ،طبع فان فلوتن ، بريل ، ١٨٩٥م ، ص٤٤ـ٦٤ . (٣)انس،ابراهيم،جهودعلماءالعربيةفي الدراسة الصوتية ، بحث في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ج١٥ سنة ١٩٦٢ ص٤٢ .

(٤)دائرة المعارف الاسلامية ، مجلد ١٩/١ ، مادة أبجد .

(٥)انيس ، ن . م ، ص٤٢ .

عربي »(١) * .

لقد كان الخليل ، ابرز علماء اللغة والنحو الذين وهبوا أعمارهم للعلم فشارك العلماء من سابقيه ومعاصريه في انماء الدراسات ، « وكان له فيها فضل تنظيمها وجمع ما تفرق من مسائلها ، وابتداع كثير من اصولها ، ورسم منهج لغوي لدراستها ، نمتاه الدارسون في البصرة ، فانمازوا به وانطبعت مناهجهم بطابعه »(٢) ، بعد ان استرفدوا « نحو الخليل في [الكتاب] ولغه الخليل في كتاب العين ، واختراع الخليل في العروض »(٣) .

صلة الخليل بالحضارة واللغة اليونانيتين

قال الزبيدي « يُروى ان ملك اليونانية كتب الى الخليل كتابا باليونانية ، فخلا بالكتاب شهراً حتى فهمه ، فقيل له في ذلك فقال : علمت أنه لابد من ان يفتح الكتاب ببسم الله او ما أشبهه ، فبنيت اول حروفه على ذلك ، فاقتاس لي ، فكان هـذا الاصل الذي عمل له الخليل كتـاب المعمّى »(٤) .

إن هذه الرواية كررها اكثر من مؤرخ اعقب الزبيدي زمنا ، ويفارق وحيد ، هو ان الزبيدي كان قـد رواها باسلوب التضعيف ، وهم رووها بـاسلوب التوكيد والتوثيق ، فالخوانساري ـ مثلا ـ يقول : « إن بعض اليونانية كتب الى الخليل . . . »(٥) ، مرددا نفس النص الـذي رواه

(1) *Enc . Brit . Vol . 13 . P . 324*

*لقد أبدى المستشرق « جب » شكه بان النظام الصوتي لمعجم العين قد قام بمؤثرات هنديه . المدخل في الادب العربي ، ص٥٣ .

(٢)المخزومي ، مدرسة الكوفة ، ٣٤ . (٣)ايضا ، عبقري من البصرة ، ٣٢

(٤)طبقات النحويين ، ١٤٧ . (٥)الروضات ، ٢٧١/٢ .

الشريشي قيله(١) ، ثم جاء بعض المتأخرين فقال : « يظهر مما ذكر بعضهم، أن الخليل كان له المام تام باليونانية » ! ! (٢) .

إن هذه الاخبار لاتحتمل النقد ، فان افترض ان اليونانين كانوا يفتتحون كتبهم بالبسملة او ما اشبهها ، فمن المحتم ان يكون بمعنى وأصوات تغاير المعنى والاصوات العربية ، ولا يمكن لاى عالم لغوي قراءة نص من لغة لا يعرفها معتمداً على نص صغير ووحيد ، كما ان صلة الخليل بملك اليونان منفية من اساسها ، لقد ترفع الخليل عن معاصريه من ملوك العرب والمسلمين ،

إن هذه الصلة مقصود بها طعن نحو الخليل في اصالته ، باعتماد هذه الرواية دليلا على اطلاع الخليل على الحضارة اليونانية ، وتأثره بها،والطريف في الامر ، ان زاعمي صلة الخليل بحنين بن اسحاق ، وصولا لافتراض تأثر الخليل بالمنطق اليوناني ، تجاهلوا هذه الرواية تجاهلا تاما ، ربما لانها تنفي تلك المزاعم فتجعل الخليل متمكنا من الترجمة بنفسه ! ! .

سيبويه ، عمرو بن عثمان بن قنبر

اغلب المؤرخين الذين تحدثوا عن سيبويه ، رددوا خبرا وحيداً جعلوه سبباً لدراساته النحوية ، ولزومه الخليل بن احمد ، هو خبر استملائه على حماد بن سلمة ، وقصة حديث « ليس أبا الدرداء »(٣) .

(١)شرح المقامات الحريرية ، ٢٧٤/٢ .

(٢)دائرة معارف البستاني ، مجلد ٤٦١/٧-٤٦٢ . لقد تجاهلت دائرة المعارف البريطانية هذه القولة ، فلم تذكر شيئا من ذلك .

Vol . 31 .b . 324 . 325 .

(٣)ياقوت ، معجم الادباء ، ١٣٥/٤ ، مثلا .

إن تكرار هذه الرواية لدى المؤرخين ، وعدّها علة وحيدة لاتجاه سيبويه الى الدراسات النحوية ، ومن ثم نبوغه فيها ، ان دلت على شيء فأنما تدل على ان الاضطراب والبلبلة ، قد احاطت بحياته ، اعتبارا من مولده وحتى وفاته (١) .

إن أغلب من تحدث عن سيبويه ، من قدامى المؤرخين ومحدثيهم ، كان في الحقيقة يتحدث عن « الكتاب » وليس عن سيبويه ، قالوا : إن كتابه كان « اول وضع شامل لقواعد العربية ، لم تغير الاجيال المتأخرة شيئاً من اسسه وقواعده » (٢) ، وأن أهل البصرة كانوا يفخرون بالكتاب (٣) ، فاطلقوا عليه قرآن النحو(٤) ، وسماه المبرد البحر(٥) ، واطنب في الاشادة به الاخفش سعيد (٦) ، وان الفراء ، وهو خصم سيبويه ، كان قد مات وتحت رأسه « الكتاب »(٧) .

إن كتاب سيبويه في حقيقته ، لم يكن « ثمرة لقريحة رجل لم يطل به العمر »(٨) ، بل كان عملية جمع لما « ابتكره الخليل الى محصول الباحثين السابقين »(٩) ، وكان سيبويه في هذا العمل ، امينا « كل الامانة في نقله وتأديته »(١٠) ، بالاضافة الى ما سجله فيه من علمه ونتاج دراساته .

(١)دائرة المعارف الاسلامية ، مجلد ١٢/ مادة سيبويه .

(٢)يوهان فك ، العربية ، ٥٠ . (٣)القفطي ، انباه الرواة ، ٣٤٦/٢-٣٦٠ .

(٤)الحلبي ، مراتب النحويين ، ٦٥ (٥)البغدادي ، خزانة الادب ، ١٣٦/١ .

(٦)الحصري ، زهر الاداب ، ٤٨٧/١ .

(٧)الحلبي ، ن . م ، ٨٧ .

(٨)دائرة المعارف الاسلامية ، مجلد ١٢/ مادة سيبويه .

(٩)بروكلمان ، تاريخ الادب ، ١٣٤/٢ .

(١٠)المخزومي ، د . مهدي ، سيبويه ، مجلد المعلم الجديد ، ٤٣ .

ابو عبيده ، معمر بن المثنى

لقد حرص أغلب المؤرخين على المفاضله بين أبي عبيدة والاصمعي وأبي زيد ، منهم من عدّ الاصمعي ، اعلم من أبي عبيدة في النحو ، واجهل منه بالانساب (١) ، ومنهم من ثبت عنده ان ابا عبيدة « أعلم الثلاثة بالنحو »(٢) ، ومنهم من قال : أن أبا عبيدة قليل الباع في النحو »(٣)، ولعل ما شاب علاقة ابي عبيدة بالاصمعي والاخرين ، كان عاملا مهما في هذه الموازنات .

إن المتتبع لسيرة هذا الشيخ ، يجده على علاقات تفتقر الى الودّ، بزملائه من شيوخ البصرة ، وطلابها ايضا ، وربما كانت هذه العلاقات السيئة ، قد جعلت المؤرخين يهتمون كثيرا بذكر سيئات ابي عبيدة ومثالبه .

كان ابو عبيدة ذا جرأة وصراحة قد تكون مرة احيانا (٤) ، منتقداً كل ما يحيط به ، متذمرا من بيئته ومحيطه ، ومن نفسه ايضا ، رُوي انه سُئل : « تقع في الناس فمن أبوك ؟ ، قال : اخبرني ابي عن ابيه انه كان يهوديا من أهل باجروان ، ، فمضى [السائل] وتركه . . »(٥) .

أغلب الظن انه لم يكن من اصل يهودي حقيقة ، وانه اراد ان يفحم السائل بهذا الجواب ، وربما كان قد اختار اسلوب الخطيئة ، فهناك جوانب متشابهة في شخصيتيهما ، والطريف في الامر ، ان احد الباحثين استدل من هذه الرواية ، في ما يبدو ، على تأثر ابي عبيدة بأكثر من مصدر

(١)السيرافي ، اخبار النحويين ، ٤٥ . (٢)الحلبي ، مراتب النحويين ، ٧٦ .
(٣)الانباري ، النزهة ، ط . مصر ، ١٠٤-١١١ .
(٤) ينظر قصة ، « إن مرقكم لايؤذي » ، شذرات الذهب ، ٢٥/٢ .
(٥)ابن النديم ، الفهرست ، ط . مصر ، ٨٥ ، السيرافي ، ن . م ، ٥٣ .

ثقافي ، فقال : « مكنته ظروفه من ثقافات واسعة ، ثقافه يهودية وفارسيه وعربية »(١) ! ! .

قيل ان ابا عبيدة صنف مائتي مصنف (٢) ، او ما يقارب ذلك(٣) ، ذكروا منها كتاب « فعل وأفعل » وكتاب « ما تلحن فيه العامة »(٤) ، وكتاب « الجمع والتثنية »(٥) ، وقد نسب اليه سيبويه عدة آراء في اللغة والنحو ، وله اراء في كتب اخرى ، وافق الكوفين في بعضها ، كرأيه في الجزم بأن ، نحو :

إذا ما غـدونا قـال ولدانُ اهلنـا
تعالو الى أنْ يأتنا الصيدُ نحطبُ(٦)

الاصمعي ، عبد الملك بن قريب

قالوا عنه انه كان « يحفظ ثلث اللغة ، وكان الخليل يحفظ نصف اللغة »(٧) ، ومع بناء هذا القول على الذوق الفردي وافتقاره الى الدقة العلمية ، إلا إنه يمكن ان يوضح لنا بعضا من سعة علم الاصمعي ، في اللغة وغريبها ، رُوي ان المازني سأل « ابا عبيدة والاصمعي عن قول الاعشى :

لعمري لئن امسى من الحي شاخصاً لقد نال خيصا من عفيرة خائصا

فقال : ما ندري ، قال الاصمعي : فلان يخوص فينا العطايا ، اذا كان يعطي شيئاً يسيرا »(٨) ، وكانت للاصمعي اراء في بعض الاحكام اللغوية

(١)احمدامين،ضحى الاسلام،٣٠٤/٢ . (٢)الحنبلي،شذرات،٢٥/٢ومابعدها .
(٣)ابن خلكان ، الوفيات،٣٢٤/٤ . (٤)السيوطي ، البغية ، ٢٩٤/٢-٢٩٦.
(٥)ابن خلكان ، ن . م ، ٣٢٤/٤ . (٦)ابن هشام ، المغني ، ٣٠/١ .
(٧)السيرافي ، اخبار النحويين ، ٤٠ .
(٨)العسكري ، شرح ما يقع فيه التصحيف ، ٣١٣/٢ .

فهو يقول في « الحضارة والبداوة بالفتح ، [ويقول] ابو زيد بالكسر »(١) .

لعل الصلة الوثيقة للاصمعي بالسلطة وقصور الامراء ، أملت عليه إتجاه الاتجاه اللغوي في نشاطه العلمي ، ذلك ان الطابع الترفيهي مما يغلب على مجالس القصور ومنتدياتها اكثر من غلبه الطابع العلمي ، ولا شك ان النوادر والملح وغريب الشعر واللغة ، اكثر ملائمة لها من الاراء النحوية والاجتهادية ، ومن هنا جاء وصفه بانه « صاحب النحو واللغة والغريب والاخبار والملح »(٢) ، إن صلته بالسلطة تحتم عليه ان لايكون وسخا(٣) ، وبخيلاً جشعاً(٤) .

كانت للاصمعي اراء نحويه عديدة ، حفلت بها كتب النحو ، منها : انه كان يرى وضعا لـ « إلا » لم يره معاصروه ، وهو ان تأتي زائدة ، وحمل عليه قول الشاعر :

حراجيجُ ما تنفكُّ إلا مناخةً على الخَسْفِ أو نرمي بها بلَداً قفْرا(٥)

أو يرى أن « أنْ » في البيت :

سقته الرواعدُ من صيّف وإنْ من خريفٍ فلن يعدما

شرطية ، فخالف في هذا الرأي ، أبا عبيدة الذى رآها زائدة ، وسيبويه اذ قال بانها بقية من « إمّا » المركبة من « إن وما » وحذفت « ما »(٦) .

قيل انه لم يصنف في النحو(٧) ، ونسبت اليه بعض الكتب التي تحمل

(١)العكبري ، ابو البقاء ، التبيان في شرح الديوان ، [منسوبا] ، جا القاهرة١٩٥٦ص١٦٨ . (٢)الانباري ، النزهة ،ط . مصر ، ١١٢-١١٤ .
(٣)المسعودى ، مروج الذهب ، ٣٧٩/٣ .
(٤)الجهشيارى ، الوزراء والكتاب ، ٧٣/١ .
(٥)ابن هشام ، المغني ، ٧٣/١ . (٦)ايضا ، ٥٩/١ .
(٧)السيوطي ، البغية ، ١١٢/٢ - ١١٣ .

اتجاها نحويا ، الى حدٍ ما ، رغم انها في اللغة والصرف . منها كتاب الهمز ، والمقصور والممدود ، وكتاب الاشتقاق(١) ، وهو مطبوع ، وكتاب فَعَلَ وافْعَلَ ، والاضداد ، واصول الكلام(٢) ، وكتاب النوادر ، وهو مطبوع ايضا .

الاخفش الاوسط ، سعيد بن مسعده

ارتبط الاخفش بكتاب سيبويه ، اكثر من معاصريه ، بسبب كونه اول من اقرأ الكتاب لتلامذته ، ولا يعرف عن سيبويه أنه اقرأه لاحد (٣)،ومع ذلك فقد خالفه في بعض الاراء(٤) ، مما يظفي على منزلته العلمية طابع الاصالة .

كان الاخفش مع براعته في النحو متمكنا من علم الكلام حاذقا للجدل(٥) ، الامر الذي جعل كثيراً من اراءه تسير في مسارب عقلية محضة ، ولم يكن نشاطه مقتصراً على ميدان النحو وعلم الكلام فحسب ، بل كان من شيوخ علم العروض(٦) ، وناقش الخليل في تسمية البحور(٧) .

قيل انه فارسي الاصل بجاشعي الولاء(٨) ، ولا نجد اثراً للغته القومية، سواء في مناظراته ام في ما نقل عنه ، ويبدو انه كان يجهلها .

اتهمه احد الباحثين بمحاولة سرقة كتاب سيبويه ، وادعائه لنفسه(٩) ، معتمدا على ماذكره ياقوت اذ قال : « كان الاخفش يستحسن كتاب سيبويه

(١)القفطي،انباه الرواة،١٩٧/٢-٢٠٦ . (٢)ابن خلكان،الوفيات،٣٤٨/٢ .
(٣)ابن النديم،الفهرست،ط.مصر،٨٣ . (٤ بركلمان،تاريخ الادب،١٥١/٢.
(٥)الحلبي ، مراتب النحويين، ٦٨ . (٦)بركلمان ، ن . م ، ١٥١/٢ .
(٧)اليغموري ، نور القبس ، ٧٢ . (٨)الحلبي ، ن . م ، ٦٨ .
(٩)العبيدي ، ابو عثمان المازني ، ٤٤ .

كل الاستحسان ، فتوهم الجرمي والمازني ان الاخفش قد همّ ان يدعي الكتاب لنفسه ، فتشاورا في منع الاخفش من ادعائه ، فقالا نقرأه عليه، فاذا قرأناه عليه اظهرناه واشعنا انه لسيبويه . . . وشرعا في القراءة . . . واظهراه للناس »(١) .

ومن ملاحظة النص ، نجد ان الاخفش لم يهم بسرقة الكتاب وادعائه ، وان الامر لايعدو وهما من الجرمي والمازني .

قيل انه صنف كثيراً في النحو(٢) ، وفي العروض والقوافي (٣) ، وقيل انه « وضع كتبا في النحو ومات قبل استتمامها ولو بقي وخرج علمه ما تقدمه احد »(٤) ، سمي من كتبه : المقاييس في النحو ، والاوسط في النحو(٥) ، وكتاب التصريف(٦) ، واضاف ابن النديم كتاب الاشتقاق(٧) .

حفلت كتب النحو بكثير من ارائه ، منها ، زيادته موضعا الى موضع « على » الاسمية ، وهو ان يكون « مجرورها وفاعل متعلقها ضميرين لمسمى واحد ، نحو :

هوّن عليك فأن الامور بكفّ الاله مقاديرها(٨)

(١) ياقوت ، معجم الادباء ، ٢٤٣/٤ .
(٢) ابن خلكان ، الوفيات ، ١٢٢/٢ .
(٣) الانباري ، النزهة ، ط . مصر ، ١٣٣ـ١٣٥ .
(٤) اليغموري ، ن . م ، ٩٧ .
(٥) السيوطي ، البغيه ، ٥٩/١ .
(٦) القفطي ، انباه الرواة ، ٣٦/٢ .
(٧) الفهرست ، ط . مصر ، ٨٣ ـ ٨٤ .
(٨) ابن هشام ، المغني ، ١٤٦/١ .

الجرمي ، ابو عمر صالح بن اسحاق

تلوح في نشاط الجرمي ، ظاهرة تلفت الانتباه ، هي ظاهرة التحرش بالشيوخ الآخرين ، وافتعال المناظرات معهم ، وتدل هذه الظاهرة على ان الدراسات في اللغة والنحو ، بدأت تسير في متاهات فلسفية تعتمد اساليب علماء الكلام في الجدل ، وسيلة لها ، ولا تهدف تلك المناظرات لغير الظهور على الخصم وافحامه ، اما الوصول الى الحقائق العلمية ، أو النتائج ، فأمر كان بعيداً عن اذهان المتناظرين . إن اشتهار بعض الشيوخ بالمناظرات وافتعالها وصيرورة التحرش لمناظرة المشهورين وسيلة للتعرف والشهرة ، امر يؤكد هذا الرأي(١) .

صنف الجرمي في النحو كتاباً سماه « كتاب الفرخ او فرخ كتاب سيبويه »(٢)، كما نسب اليه كتاب آخر باسم المختصر في النحو(٣) ، ولعلهما كتاب واحد ، كما نسب اليه كتاب باسم « كتاب غريب سيبويه »(٤) ، وكتاب الابنية (٥) ، وقيل انه صنف في العروض(٦) .

(١) إن اغلب من ترجم للجرمي من قدامى المؤرخين ، يعرّفه بانه «ناظر القراء»، وبالرجوع الى هذه المناظرة الوحيدة ، نجدها محض مناظرة عديمة الجدوى ، فارغة المحتوى ، تعتمد التلاعب بالالفاظ والتحايل في المعنى، وسيلة لاحراج الخصم المناظر ، ولا يهم بعد ذلك إن وصف المناظر بأنه «شيطان» أو «آية» ينظر : ياقوت ، معجم الادباء ، ٢٦٧/٤ ، ابن خلكان ، الوفيات ، ١٧٨/٢ .
(٢) القفطي ، انباه الرواة ، ٨٠/٢ـ٨٣ ، ابن خلكان ، الوفيات ، ١٧٨/٢ .
(٣) السيوطي ، البغيه ، ٨/٢ ، ياقوت ، ن . م ٢٦٤/٤ .
(٤) السيوطي ، ن . م ، ٨/٢ ، اليافعي ، مرآة الجنان ، ٩١/٢ .
(٥) اليافعي ، ن . م ، ٩١/٢ . (٦) ايضا ، ٩١/٢ .

انبثت بعض ارائه في كتب النحو ، وكان يوافق الكوفيين احيانا ، كرأيه في أنّ « أو » قد تأتي للجمع المطلق كالواو ، استدلالا بقول تويه بن الحُمير :

وقـــد زعمتْ ليلى بأني فاجرٌ لنفسي تقاها أو عليها فجورها(١)

المازني ، ابو بكر محمد بن بقيه

اختلف المؤرخون في نسبه وعصبيته(٢) ، وعُلل هذا الاختلاف بسبب فقره ، وبأن العصر الذي عاشه كان « مدعاة للشك في انساب الناس »(٣) .

وصفوه بأنه « أعظم النحاة بعد سيبويه »(٤) ، وأنه « سيد اهل العلم بالنحو والغريب واللغة »(٥)،وشبهوه بالفقهاء في تصرفاته وسيرته وحركاته(٦)، وقالوا انه من علماء الامامية(٧) ، متواضعاً متدينا ورعاً (٨) ، وكان مع سعة علمه وعلو منزلته ، متسعاً في الرواية(٩) .

يبدو من سيرة هذا الشيخ ، أنه كان قد اشتغل ، في فترة من حياته ، معلماً للجواري ، إن اغلب المؤرخين يعرّفوه ويقرنون ذكره بقصة البيت الذي غنته جارية المتوكل او الواثق :

أظلوم إنّ مصابكم رجلاً اهـدى السلامَ تحيةً ، ظلمُ

والاعتراض على الجارية بوجوب رفع «رجلا» ثم اصرارها على النصب

(١)ابن هشام ، المغنى ، ٦٢/١ . (٢)ياقوت ، معجم الادباء ، ٣٨٠/٢ ـ ٣٨٩ النجاشي ، احمد بن علي ، كتاب الرجال ، طهران « لا . ت » ، ص٨٥ .
(٣)العبيدي،ابو عثمان المازني ، ١٩ . (٤)بروكلمان،تاريخ الادب،١٦٢/٢ .
(٥)النجاشي،الرجال ، ٨٥ . (٦)الخوانساري ، الروضات ، ١٣٤/١ـ١٣٥ .
(٧)النجاشي ، الرجال ، ٨٥ . (٨)الحنبلي ، الشذرات ، ١١٣/٢ .
(٩)السيرافي،اخبار النحويين ، ٦٠ .

لأن شيخها المازني لقنها ذلك ، ثم بيان المازني بان « رجلا » هي معمول المصدر وحقه النصب(١) ، وليس خبراً لـ « إن » .

تحدث المؤرخون كثيراً عن مناظراته وعدم تحرجه عن افتعالها ، حتى مع شيوخه كالاخفش سعيد(٢) ، لقد عدّ احد الباحثين هذه الظاهرة ، أبرز مافي حياة المازني ، العلمية(٣) .

إن مراجعة مؤلفات المازني وارائه ، تؤكد انه كان « اول من افرد التصريف من النحو وميزه »(٤) ، فكتاب التصريف الذي شرحه ابن جني ، وهو مطبوع متداول ، يظهر مدى الجهد الذى بذله المازني في تأليفه .

من الكتب التي نسبت اليه ، كتاب ما يلحن فيه العامة ، وكتاب التعليق(٥) ، ولا يُعرف عن الكتاب الثاني سوى ما ذكر انه من كتب الادب(٦) .

وللمازني اراء نحوية كثيرة ، من العبث حصرها ، وقد لا يخلو كتاب نحوى او لغوي من بعض ارائه ، وقد خالف زملاءه البصريين في بعضها ، كتجويزه تقديم التمييز ، ان كان العامل فعلا متصرفا ، واحتج بقول الشاعر :

أتهجر سلمي بالفراق حبيبها
وما كان نفساً بالفراق تطيبُ(٧)

(١)ينظر: الحنبلي،الشذرات ، ١١٣/٢ ، اليافعي ، مرآة الجنان ، ١٠٩/٢ .
(٢)ياقوت ، معجم الادباء ، ٣٨٠/٢ـ٣٨٩ . (٣)العبيدي ، ن . م ، ٤٨ .
(٤)السيوطي ، الوسائل ، ١٢٢ . (٥) الخوانساري ، الروضات ، ١٣٤/١ـ١٣٥ ، النجاشي ، الرجال ، ٨٥ . (٦)النجاشي ، ن . م ، ٨٥ .
(٧)العكبري ، التبيان في شرح الديوان ، ٣٤١/١ .

المبرد ، ابو العباس محمد بن يزيد

وصفوه بـ « شيخ اهل النحو وحافظ علم العربية »(١) ، و « إمام أهل النحو في زمانه »(٢) ، فانتهى اليه هـذا العلم (٢) ، لأنه « كان في نحو البصريين آية »(٣) ، وقيل عنه ، ايضا ، انه كان موثقا في روايته « ولعظم حفظه اللغة واتساعه فيها ، يتهم بالكذب »(٤) .

وذكروا عن حياته العامة ، أنه كان بخيلا متحايلا ، تحايل فجمع حوله حلقة ، في مسجد من مساجد بغداد ، بعد مقتل المتوكل(٥) ، ولم ينسوا ان يذكروا أنه كان وسيماً مليح الصورة(٦) ! ! .

لعل من الطرافة أن يتمـاز المبرد ، عن شيوخه ومعاصريه بأكثر من ميزة ، منها غرامه بلقاء المجانين والحديث معهم ، ومناظرتهم احيانا ، إن قصته مع مجنون بغداد ، التي صوّر فيها ذلك المجنون في صورة عالم نحرير في الانساب ، وفي النحو ، وفي الادب ، وفي طباع النفوس ايضا ، لقد روى هذه القصة عن المبرد ، أغلب من ترجم له من المؤرخين ، وانفرد احدهم برواية قصة اخرى مع مجنون آخر ، في دير قرب الرقة(٧) .

وانماز المبرد ايضا ، بلقبه ، قيل ان المازني لقبه بذلك ، لانه إختبأ في « المبرّد [حب الماء] حينما طُلب وكان عنـده »(٨) ، وقيل انه لقّبـه

(١) البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٣/٣٨٠ ـ ٣٨٧ ، زيدان ، تاريخ اداب العربية ، ٢/٢٨٦ . (٢) الحنبلي ، الشذرات ، ٢/١٩٠ .

(٣) السيرافي ، اخبار النحويين ، ٧٢ـ٧٣ . (٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٦/٩ .

(٥) البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٣/٣٨٠ ـ ٣٨٧ . (٦) القفطي ، انباه الرواة ، ٣/٢٤١ وما بعدها . (٧) اليافعي ، مرآة الجنان ، ٢/٢١٠ .

(٨) ابن الجوزى ، ن . م ، ٦/٩ . (٩) ايضا ، ٦/٩ .

« بكسر الراء ... أي المثبِت للحق فحرّفه » (١) الكوفيون وفتحوا الراء خصومة (٢) ، ثم كثرت في « رائه » الاقاويل (٣) ، فذكروا منها عدداً كبيراً(٤) ، وكأنها مسألة نحوية جديرة بالدرس . ! !

لقد عاش المبرد في عصر احتدم فيه الجدل وكثر الاخذ بالمنطق والفلسفة في كافة الميادين العلمية ، وتأثر النحو بذلك ، فتفلسف ومنطق ، وكان تأثر المبرد بالمنطق والفلسفة ، ظاهراً بيّنا ، في كافة مسائله وبحوثه ، ولكون المبرد يمثل « رأس نحاة البصرة ... كما كان ثعلب [يمثل] رأس نحاة الكوفة »(٥) ، في عصرهما ، فقـد شبّ اوار المناظرات بينهما ، بسبب من تمرس المبرد بالفلسفة والجدل والمنطق .

وصلنا من مؤلفات المبرد ، كتاب المقتضب في النحو ، والكامل في اللغة والادب ، والفاضل ، والفاخر ، وهي مطبوعة ومن مصادر هـذا البحث ، ونُسبت اليه مؤلفات اخرى ، منها كتاب المدخل في كتاب سيبويه ، والمدخل في النحو(٦) ، ولعلهما كتاب واحد ، وكتاب شرح شواهد كتاب سيبويه ، وكتاب الرد على سيبويه(٧) ، ولعله الكتاب الذي قال عنه السيوطي ، ان المبرد « افرد كتاباً في القدح في »(٨) ، كتاب سيبويه .

اما آراؤه ، فمن نافله القول التطرق اليها ، كان كثير منها لا يتقولب في اتجاه معين واحد ، فهو يوافق الكوفيين احيانا ، كرأيه بان «واو ربّ تعمل في النكرة الخفض بنفسها »(٩) ، او يرد بعض اراء شيوخه ، كردّه لرأي

(١) ياقوت ، معجم الادباء ، ٧/١٣٧ـ١٤٤ . (٢) السيوطي ، البغية ، ١/٢٦٩ـ٢٧١ .

(٣) البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٣/٣٨٠ـ٣٨٧ . (٤) ابن خلكان ، الوفيات ، ٣/٤٤٥ .

(٥) بروكلمان ، تاريخ الادب ، ٢/١٦٤ (٦) ياقوت ، معجم الادباء ، ٧/١٤٣ .

(٧) ايضا ، ٧/١٤٣ . (٨) المزهر ، ١/١١٧ .

(٩) الانباري ، الانصاف ، ١/٢٠٨ .

سيبويه والاخفش في « لولا »(١) .

لم يقتصر نشاط المبرد على النحو فحسب ، فقد كان له نشاط ظاهر في الشعر والادب ، من ذلك استدراكه على ابي نؤاس بعض الاخطاء في شعره(٢).

علاقات الدارسين وأثرها في الدراسات

كان شيوخ البصرة يمثلون الطبقة المثقفة المستنيرة من المجتمع بحكم مراكزهم العلمية وممارستهم التعليم ، وبالتالي قيامهم ببعض مهام التربية باسلوب غير مقصود لذاته ، فهل كانت علاقاتهم تنسجم مع مركزهم العلمي والاجتماعي والتربوي ؟ .

ان كثيرا مما ذكر عن علاقات الدارسين يحمل في تضاعيفه طابع الانفعال والوضع أحياناً ، ومع ذلك ، نجد ان هذه العلاقات وما اكتنفها من محاورات ومناظرات ، قد أنمت المناهج العلمية التي انتهجها الشيوخ ، وبلورت كثيرا من الاهداف والغايات العلمية التي هدفوا إليها ، كذلك أغنت التراث الادبي والنحوي احياناً .

كان الدارسون ، غالبا ، غير متزمتين في علاقاتهم ، سواءاً العامة منها او العلمية ، وغالباً ما ساد هذه العلاقات طابع رفع الكلفة والتبسط فيما بينهم . وكثيرا ما نجدها في اطوار مختلفة ، فهم يحبون ، ويبغضون ، ويكيدون ، ويغضب بعضهم من بعض ولبعض . فعلاقاتهم كانت تستتبع البيئة والنوازع الشخصية غالباً ، وأحياناً تتسربل بسربال من العلم وهي بعيدة عنه .

ان علاقة ابي زيد الانصاري ، مثلا ، كانت تحمل طابع التبسط بينه وبين زملائه وطلابه ، فيلقب سعيد بن مسعدة بالاخفش ، والمازني

(١) المبرد ، الكامل ، ٣/٣٤٥ .

(٢) ابن عبد ربه ، احمد ، العقد الفريد ، جـ٥ القاهرة ١٩٤٤ ص٣٩١ .

بتدْرج(١) ، وأحيانا ينادي طلابه بقوله : « اقتربوا قِرفَ القِمَعْ .. اي اقتربوا يا اوساخ »(٢) ، وهذا الاسلوب من العلاقات لم يكن يعني احتقاره لطلابه ، بالتأكيد ، بل يعني وضعه لهذه العلاقة في اطار من الدعابة والمزاح السوقي .

وكان المازني ، مع ما عُرف عنه من ولع بالمناظرات والجدل ، يداهن أبا عبيدة ويتحاشاه كباقي زملائه ، ناظره حول الف « علقى » هل هي للتأنيث ام لا ، واعياه اقناع ابي عبيدة ، فبرر ذلك بانه « لم [يفسر] له لانه كان أغلظ من ان يفهم »(٣) .

لم تكن علاقة ابي عبيدة سيئة بالمازني فقط ، فقد كانت مع الاصمعي على أشد ما تكون من السوء ، وغالباً ما كان يكتنفها الكيد والتحاسد ، وقد « كانا يتقارصان كثيرا ويقع كل واحد منهما في صاحبه »(٤) .

نُسب الى ابي عبيدة كتاب في الخيل ، وللاصمعي مثله ، ولعل الدافع في تأليف أحدهما هو ما جرى بينهما في احد قصور بغداد ، في قصر الرشيد على رواية او مجلس الفضل بن الربيع على رواية اخرى ، وتنافسَ هذان الشيخان على الحضوة لدى سلطات بغداد ، فصار الصراع بينهما محتدما ، شوّب علاقاتهما بشوائب ليست نزيهة على اى حال ، وغالبا ما كانت صبيانية .

ذكروا ان الرشيد سأل ابا عبيدة عن كتابه في الخيل فانبرى الاصمعي ينتقص هذا الكتاب ويدّعي استطاعته ان يقول في كل عضو من الفَرس شعراً قالته العرب ، ويفعل بعد ان يُؤتى بفرس الى المجلس ، فيهديه

(١) القفطي ، انباه الرواة ٢/٣٣ (٢) السيرافي ، أخبار النحويين ٤٣-٤٤ .

(٣) الزجاجي ، مجالس العلماء ٥١-٥٣ ، القفطي ، ن . م ١/٢٥٣ .

(٤) السيرافي ، اخبار النحويين ٥٣ .

الرشيد ذلك الفرس، الامر الذي يجعل الاصمعي يتخذ هذه الفرس وسيلة لاغاظة ابي عبيدة فيقول: « كنت اذا اردت ان اغيظ ابا عبيدة ركبته اليه »(١).

وهـذه الحادثة نفسها تلقي بعض الضوء على علاقة هذين الشيخين ، فالبغدادي رواها بشكل كاد يكون موضوعيا ، ورواها ابن خلكان على لسان ابي عبيدة باسلوب يوحي بان الاصمعي كان متجنياً عليه(٢) ، ثم يرويها عن الاصمعي باسلوب يظهر ابا عبيدة بمظهر العاجز عن مطاولته(٣) .

أحيـاناً كانت علاقات الشـيوخ تتسربل بسربـال علمي ، وهي في حقيقتها محض مغالطة وتحايل ، ومع ذلك تكون لها ثمرة علمية تضم الى تراث الدارسين ونشاطهم العلمي ، سأل المازني شيخه الاخفش عن :

أمـن زينب ذي النـارُ قبيـل الصبح مـا تخبو

ولم يعرب « ذى النار » ، فأجابه ان المقصود صاحبة النـار ، ولكن المازني يجيب متبجحا بأن ذلك خطأ ، فالمقصود هذه النار(٤) .

ومن ذلك ايضا ما روى من ان ابا عمر الجرمي شخص الى بغـداد فثقل موضعه على الاصمعي فخافه ان يصرف وجوه اهلها عنه « فاعمل الفكر فيما يغض منه فلم ير إلا ان يرهقه فيما يسأله عنه ، فأتاه في حلقته وقال له كيف تنشد قول الشاعر :

قد كُنَّ يخبأن الوجوهَ تستراً فاليومَ حين بـدأن للنظـار

او حين بدين ؟ فقال له : بدأن ، قال : اخطأت،فقال بدين ،قال غلطت، انما هو حين بدون اي ظهرن ، فاسرّها ابو عمر في نفسه وفطن لما قصد به واستأنى به الى ان تصدّر في حلقته واحتف الجمع به ، فوقف عليه

(١) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ١٠/٤١٠ـ٤٢٠ .

(٢) الوفيات ، ٢/٣٢٣ ـ ٣٣١ . (٣) ايضا ٢/٣٤٤ .

(٤) الحلبي،مراتب النحويين،٧٧ ، العسكري،شرح مايقع فيه التصحيف ١/٨٩.

وقال : كيف تقول في تصغير مختار ؟ فقال : مخيتير . فقال أنفت لك من هذا القول ، اما تعلم ان اشتقاقه من الخير ؟ ، وان الياء فيه زائدة ؟ ، ولم يزل يندد بغلطه ويشنع به الى ان انفض الناس من حوله »(١) .

كان الاصمعي قد اكتسب اخلاق القصور بكل مساوئها ، فاسبغ منها كثيرا على علاقاته بالشيوخ ، روى ياقوت ان الاصمعي فسّر ابياتا خلاف ما فسرها سيبويه في كتابه ، فخطأه فيها وأصرّ سيبويه على ان يناظره في الجامع ، وعن المناظرة يقول الاصمعي « رفعت صوتى فسمع العامة فصاحتي ونظروا الى لكنته فقالوا لو غلب الاصمعي سيبويه ، فسرني ذلك فقال لي، اذا علمت انت ياأصمعي ما نزا بك مني لم التفت الى هؤلاء...ومضى»(٢) .

ومـع تحفظنا بشأن هذه الرواية . لأن كتاب سيبويه لم يقرا في حياته ، كما لم يقرؤه لاحد ، كما ذكر اغلب المؤرخين ، فانها ان صحت تساوق مـع اخلاق وعلاقات الاصمعي ، التي لم يكتو الشيوخ وحدهم بمكائده ومغالطاته ، فقد امتد ذلك الى الشعراء ايضـا ، فساهمت هـذه العلاقة في اغناء التراث الشعري ، قيل ان العباس بن الاحنف دخل على الرشيد وعنده الاصمعي ، فقال :

انشدنا من ملحك الغريبة ، فانشده :

اذا مـا شئت ان تصنـع شيئا يعجب الناسـا

(١) الحريري ، القاسم بن علي ، درة الغواص في اوهـام الخواص ، لايبزك١٨٧١م ص١٠١ . الزجاجي ، مجالس العلماء ٣٠٥ـ٣٠٦ مجلس١٤٠ وينقل قول المبرد فيها « مثل هذا لايخفى على الجرمي انما غولط »ورواها ابن خلكان في الوفيات ٣ / ١٥٥ عن الاصمعي وانها كانت بين ابي عمرو وعيسى بن عمر ويظهر خطأ هـذا القول من ملاحظة طابع العصور المتأخرة البيّن عليها . (٢) معجم الادباء ٦/٨٧ .

فصوّر هنا فوزا ... وصور ثمّ عباسا
ودع بينهما شبرا ... وان زدت فلا باسا
فان لم يدنوا حتى ... ترى راسيهما راسا
فكذبها وكذبه ... بما قاست وما قاسا

فلما خرج قال الاصمعي : مسترق من العرب والعجم ، فقال [له] ، ما كان من العرب ؟ [فقال] ، رجل يقال له عمرو هوى جارية يقال لها قمر ، فقال :

اذا ما شئت ان تصنع شيئا يعجب البشرا
فصوّر هنا قمرا ... وصور هنا عمرا
فان لم يدنوا حتى ... ترى بشريهما بشرا
فكذبها بما ذكرت ... وكذبه بما ذكرا

قال : فما كان من العجم ؟ [قال] رجل يقال له فلتق هوى جارية يقال لها روّق ، فقال :

اذا ما شئت ان تصنع شيئا يعجب الخلقا
فصوّر هنا روقا ... وصور هنا فلقا
فان لم يدنوا حتى ... ترى خلقيهما خلقا
فكذبها بما لاقت ... وكذبه بما يلقى

قال : فبينا نحن كذلك ، اذ دخل الحاجب فقال : عباس بالباب ، فقال : ايذن له ، فدخل فقال : يا عباس : تسرق معاني الشعر وتدّعيه ؟ فقال ما سبقني الى اليه أحد ، فقال : هذا الاصمعي يحكيه عن العرب والعجم ، ثم قال يا غلام ، ادفع الجائزة الى الاصمعي فلما خرجنا قال العباس : كذبتني وأبطلت جائزتي . فقلت : أتذكر يوم كذا ؟ ثم أنشأت

أقول :

إذا وترتَ امرءاً فاحذَرْ عدوّاته
مَنْ يزرعُ الشوكَ لا يحصدْ به عنباً»(١) .

لم تكن العلاقات دائما منبثقة عن الدافع الشخصي ، فقد كانت تنبعث احيانا عن دافع اقليمي يتسم بالتعصب الاعمى ، وتخرج عن واقعها البشري الى واقع غيبي ، قيل ان ابن كيسان رأى في منامه جماعة من الجن يميلون الى مذهب سيبويه في النحو ، فعلق احدهم ، عن يكرهون سيبويه ، قائلا « مالوا اليه لان سيبويه من الجن » (٢) ، او « انما سيبويه دجال شيطان فلذلك تميل اليه الجن »(٣) ، ومناظرة الاخفش مع الكسائي تمثل جانبا آخر من جوانب العلاقات التي انبعثت عن التعصب الاقليمي ، فهو يقول انه سأل الكسائي « عن مائة مسألة فاجاب بجوابات خطأته في جميعها»(٤)، وليس من المعقول ان يخطأ الكسائي في كل هذا العدد من المسائل ، انما المقصود ان الاخفش اعمل فكره وشحذ عقله ليأتي بما يخالف الكسائي في اجوبته ، ومن المحتمل ان بعض آراء الاخفش المنبثة في كتب النحو ما هي إلا بعض اقواله في هذه المناظرة ، وهي بطبيعة الحال ، ليست علمية محضة .

قلنا ان الجوانب السلبية غلبت على علاقات الدارسين في البصرة ، لم يسلم منها احد ، تقريبا ، سوى الخليل بن احمد ، كان يبجل سواه فيحترم

(١) اليغموري ، نور القبس ١٦٦ ـ ١٦٧ وطابع الوضع ظاهر على هذه الرواية ، وقدفات واضعها ان العجم لا ينظمون شعرهم بالعربية : كما انه من المؤكد ان الرشيد لم يكن على مثل هذا الغباء بحيث يفوته ادراك ذلك .
(٢) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ١٢/ ١٩٩ .
(٣) الحلبي ، مراتب النحويين ٨٧ . (٤) ياقوت ، معجم الادباء ٢٤٣/٤ .

نفسه ومركزه من خلال ذلك التبجيل ، ولا يهون عليه ان ينقطع شيخ من شيوخه او زملائه في مناظرة حتى لو كان هو الغالب فيها ، بله التحايل عليه ومغالطته ، قيل انه « عزم على مناظرة ابي عمرو بن العلاء فجلس في حلقته ثم انصرف ولم ينطق فقيل له : ما حملك على السكوت عن مناظرته ؟ قال : نظرت فاذا هو رئيس منذ خمسين سنة فهنت ان ينقطع فيفتضح في البلد فلم اكلمه »(١) .

علاقاتهم بالسلطة

فطن ابن خلدون الى وجوب ابتعاد العلماء عن السياسة ، لانها تسيّرهم حسبما تشاء ويهوى السلطان وليس حسبما يشاؤن ، فالعلماء يفترض فيهم ان يكون تفكيرهم علميا متحرراً من المؤثرات الخارجية ، فان حدث واثّر في ذلك التفكير بسبب نفوذ السلطة ورغبات المتنفذين ، فقدَ فكرُ العالم حريته واصالته العلمية ، فالعلماء « لاجل ماتعودوه من تعميم الاحكام وقياس الامور بعضها على بعض ، اذا نظروا في السياسة افرغوا ذلك في قالب انظارهم ونوع استدلالاتهم فيقعون في الغلط كثيرا ، [ولذا يجب ان يكون] العلماء . . . ابعد الناس عن السياسة »(٢) .

فهل كان شيوخ البصرة هكذا؟ . . . بالطبع لا ، لاتنانجد منهم من كان يبالغ في تملقه للسلطة مبتغيا غايات شتى ، اغلبها على حساب العلم ، ونجد منهم على النقيض من ذلك من يبتعد عن القصور ، وعن مغرياتها اعتزازا بنفسه وارباءا بعلمه ، فيحفظ كرامته ويصون علمه ، وعلى رأس هؤلاء كان الخليل بن احمد .

ذكروا ان سليمان بن المهلب ، والي الاهواز ، طلبه ليؤدب ولده او

(١) اليغموري ، ن . م ، ٦٧ . (٢) المقدمة ٥٤٢ .

ليستزيره . على روايات ، فأبى ، وظن سليمان ان الخليل كباقي الناس ممن يلين لاغراء المال ، او تملي عليه الحاجة تلبية ما يُراد منه ، فقطع عنه ما كان يبعثه اليه على شكل جرايه او جائزه او ما اشبه ، وكان جواب الخليل ابيات هي الى التبكيت اقرب ، منها :

حرمتَني خيراً كثيرا فما ... زادَك في مالِكَ حرماني

وكان ان وجد هذا السلطان نفسه امام نفس أبيّة مترفعة ، اضطرته الى مضاعفة ما كان يجريه(١) * عليه ، ولا غرابة في سلوك الخليل هذا السلوك وهو القائل « اني لأغلق علي بابي فما تجاوزه همتي »(٢) .

لم يكن الخليل وحده في موقف الاباء والترفع عن مباذل القصور ، بل شاركه بعض شيوخ البصرة بدرجات متفاوته ، منهم ابو عمرو بن العلاء ، فمع علاقاته المتينة ببعض الولاة كأبي سليمان والي الكوفة ، وزياراتهم المتبادلة (٣) ، ومثلها بوالي البصرة ، ومع هذا فكان يصارحهم بالحق ان سألوه حتى لو ادى به ذلك الى اغضابهم ، قيل « دخل يوما على سليمان بن علي عم السفاح فسأله عن شيء فصدّقه فلم يعجبه فخرج ابوعمرو يقول :

أنفتُ من الذّل عند الملوك ... وإنْ أكرموني وإنْ قرّبوا

اذا ما صدقتهمُ خفتُهم ... ويرضون مني بأنْ أكذبُ(٤)

(١) القفطي ، انباه الرواة ٣٤١/١ .

* جعلها جرجي زيدان « تاريخ اداب اللغة ١٤١/١ » مع سليمان بن علي العباسي .

(٢) القفطي ، انباه الرواة ٣٤٣/١ . (٣) الزبيدي طبقات اللغويين ٣١ .

(٤) ابن العماد ، شذرات الذهب ٢٣٧/١-٢٣٨ . اليغموري ، نور القبس ٣٠ « بان يكذبوا » . اليافعي ، مرآة الجنان ٣٢٥/١-٣٢٦ . وقد خرّج كل من ابن العماد واليافعي رفع ابي عمرو للفعل مع سبقه اداة النصب ، بجواز الاقواء . ويرى الدكتور المخزومي ان ابا عمرو اراد الزمن الحاضر فرفع ولو أراد المستقبل لنصب .

ونجد ثمة مواقف اخرى لشيوخ آخرين يتمثل فيها الاباء ، كوقوف الرياشي وابائه على المتوكل في قبول منصب والي البصرة(١) ، أو الاضطهاد الذى لاقاه عيسى بن عمر بسبب وديعة عنده طمع فيها الوالي(٢) ، أو في موقف يحيى بن يعمر العدواني ـ اذ كان مع محاولته التقرب من الحجاج ـ فانه أبى أن يداجيه فلحنه ، مما دفع بالحجاج الى نفيه(٣) ، تخلصا منه كعالم يتقصى سقطات الحاكم اللغوية .

هناك شيوخ آخرون بالغوا في تملقهم للسلطة وذوى النفوذ واوغلوا في ذلك كثيرا ، ولعل الاصمعي كان نموذجا صارخا لهذا النوع ، وربما كان قد بزّ الكسائي الذي اتقن النحو ودرسه فاتخذه « وسيلة للتقرب من السلاطين »(٤) .

ولكن الكسائي لم يسفّ يوما بعلمه فيتخذه وسيلة لاختبار واختيار الجواري ، وفعلها الاصمعي ، قال « ثم سألتها عن الأخبار والاشعار والنحو والعروض فما قصرّت . . . فقلت يا أمير المؤمنين ما رأيت امرأة في مسك رجل مثلها . . . فأمر ان تصنّع تلك الجارية لتحمل اليه في تلك الليلة . . . »(٥) .

ولعل ما يمثل ولوغ الاصمعي في حياة القصور وتورطه في مؤامراتها ، ما روى عنه انه قال « كنت اجالس أمير المؤمنين وأسامره فوجه إليّ ليلة في ساعة يرتاب فيها البريء ، فتناولت اهبة الدخول ، فمنعت من ذلك ، فدخلني من ذلك رعب شديد وخوف ، فجعلت اتذكر ذنبا فلا

(١) القفطي،انباه الرواة،٣٦٧/٢ . (٢) السيرافي،أخبار النحويين٢٥ـ٢٦ .
(٣) الجهشياري ،الوزراء والكتاب٤٢،وفي النزهة وابن سلام،باختلاف يسير .
(٤) الوردي ، اسطورة الادب الرفيع ٢١٣ .
(٥) الشريشي ، شرح المقامات الحريرية ٢٨٨/١ .

أجده وجعلت نفسي تظن الظنون ، فلما دخلت عليه سلمت ومثلت بين يديه قائما ، وهو مطرق ، فرفع رأسه إليّ فأمرني بالجلوس فجلست فقال : يا عبد الملك ، قلت : لبيك يا أمير المؤمنين ، قال :

لوْ أنّ جعفرَ خافَ أسباب الردى
لنجا بمهجتهِ طِمِرٌ ملجمُ
ولكان من حذرِ المنون بحيث لا
يرجو اللحاقَ به العقابُ القشعمُ
لكنّهُ لما تقارب يومُهُ
لم يدفع الحدثان عنهُ منجمُ

قال : وكان بين يديه طست مغطى بمنديل فأمر بكشفه فكشف ، فاذا هو راس جعفر بن يحيى ثم قال : ألحق باهلك يابن قريب ، فنهضت ولم احر جوابا للرعب فلما [ذهب] . . روعي فكرت في ذلك فوجدته احبّ يعلمني فكره ونكره ودهاءه ليتحدث به . . فخرجت وأنا اقول :

ايها المغرور هل لك عبرة في آل برمك
غرّهم عن قدر الله حساب الهشمرك*

[وآخرها] :

عبرة لم ترضها انت ولا قبل اب لك(١)

لقد امتد تسلط الاصمعي على قصور بغداد فترة طويلة من عمره ، وبذلك التسلط ساهم في اغناء تراث اللغة والنحو والادب، بقصصه ونوادره ومجالسه مع المتنفذين تلبية لرغباتهم أو اظهارا لعلمه .

قالوا ان الرشيد اختار الاصمعي لمجالسه لانه « احسن منشأ . . .

(١) السيرافي ، اخبار النحويين ٥٠ـ٥١ ، الجهشيارى ، الوزراء والكتاب ٢٣٧ . باختلاف يسير . * الهشمرك : آلة كانت تستعمل في الحساب .

واصلح لمجالسه الملوك »(١) ، مع ان ما ذُكر عن بخله وسوء تصرفه شيء كثير(٢) ، وعلل وجود الاصمعي بمثل هذا المركز بسبب من حافظته الجيدة والقائه وانشاده الحسن بالاضافة الى استعداده لمثل هذا الدور(٣) ، والذي يبدو ان مجموع تلك العوامل قد أهل الاصمعي لأن يكون بذلك المركز ولو لم يكنه لكانه غيره .

كان الاصمعي واعيا لما يقوم به ، فاتخذ طريقا مختلفا في اواخر عمره ، وابتعد عن السلطة وعن مطالبها ، فكانت هذه الفترة فترة ظمور في انتاجه العلمي ، قيل ان الاصمعي ركب « حمارا دميما فقيل له : أبعدَ براذين الخلفاء تركب هذا ؟ فقال متمثلا :

ولما أبت الا انصراما لودها ... وتكديرها الشرب الذي كان صافيا
شربنا برفق من هواها مكدر ... وليس يعاف الرفق من كان صاديا

هذا وأملك ديني أحبّ اليّ من ذاك مع فقده »(٤) .

كان كثير من الشيوخ ، غير الاصمعي ، لهم صلات وعلاقات بالسلطة ساهمت في انماء التراث اللغوي ، فمسألة السَداد والسِداد ، ثمرة لصلة النضر بالمامون(٥) ، والمسألة الزنبورية وما كتب عنها وقيل فيها ليست بعيدة عن السلطة وعلاقاتها بالعلماء ، وكثير غير ذلك مما كان له الاثر الايجابي يوم كان الخلفاء على جانب كبير من الثقافة والعلم ، إلا ان ذلك الاثر انعكس يوم اتصف الخلفاء بضحالة الفكر والأمية احيانا .

يذكر المازني ، انه أنشد الواثق كثيرا من غرر الشعر فلم يعجبه شيء منه ، وحين أنشده شيئا تافها من الشعر ، أعجب به الواثق فأجازه ،

(١) السيرافي ، ن . م ، ٥٣ . (٢) الجهشياري ، ن . م ، ١٠٦ .
(٣) ابن خلكان ، الوفيات ٢/٣٤٦-٣٤٧ . (٤) ايضا ، ٢ / ٣٤٦ .
(٥) ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ٢/٢٧ .

فصار المازني يستحلب جوائز الواثق بمثل :

يا قاضيـــة البصرة ... قومي فارقصي قطرة(١)

مظاهر تربوية في نشاط الدارسين

تستلفت نظر الباحث في تاريخ شيوخ البصرة ومعاهدها ، ظواهر جديرة بالدرس والتسجيل ، وهذه الظواهر تلقي كثيرا من الضوء على سلوكية الشيوخ في منتدياتهم وحلقاتهم العلمية ، وبوحي من هذه السلوكية كان توجيه الدارسين توجيها علميا تسلسل في طبقاتهم الزمنية ، فاضاف المتأخرون الى ما رسخه المتقدمون من الاسس والقواعد التربوية ، اسسا وقواعد اخرى .

كان الشيوخ قد أدركوا عدم امكانية فصل التربية عن التعليم ، وادركوا انهما هدفان متلازمان متكاملان ، فأولوا عنايتهم هذين الهدفين ، فتنامت هذه الظواهر بشكل تواكب مع نمو البحوث والدراسات ونضوجها ، وحين نصل عصر الخليل ، نجد في اقواله ونصائحه ، أقوالاً ومناهج تكاد تكوّن صرحاً تربويا سبق به الباحثين المعاصرين ، في هذا الميدان .

حثّ الخليل الدارسين على طلب العلم والتماس السبل الى الاستزادة منه فقال « من أظهر حياءاً في التماس العلم وقعد عنه ، لبس الجهل وتقنع قناع السفه ، ومن امتدت له ايامه في غلواء جهله حُشر يوم القيامة أعمى »(٢) ، ولعل رأيه بان العلماء أولياء الله (٣) ، مرتبط ومنبعث من هذا القول .

كان التعليم عند الخليل مهنة مشرفة ينبغي على الفرد القيام بها ان وجد

(١) ياقوت ، ن . م ، ٢/٣٨٧ . (٢) الزبيدي ، طبقات اللغويين ٤٤ .
(٣) السيرافي ، أخبار النحويين ٣٠ .

الى ذلك سبيلاً ، يقول « ان لم تعلمَ الناس ثواباً فعلّمهم لتدرس ما عندك، ولا تجزع ممن يقرع السؤال ، فانه ينبهك على علم ما لم تعلم ، وقال : العلوم أقفال والسؤالات مفاتيحها »(١) .

ان توجيهات الخليل في هذا الميدان تتناول التعليم بكل مراحله، فطريق الاختصاص واضح وبيّن في قوله : « اذا اردت ان تعلم العلم لنفسك فاجمع من كل شي ءشيئا،واذا أردت ان تكون راسا في العلم فعليك بطريق واحد »(٢)، ولم ينس ان يضع مقياسا للمتعلم يعرف به قدرَ استاذه ومنزلته العلمية بالتلمذة على أكثر من شيخ واستاذ(٣) ، لقد قسم الخليل المتعلمين والعلوم تقسيما عقليا محضا ، فكل منهما اربعة اقسام ، يقول : « أخرج من منزلي فألقى رجلا اعلم مني فهو يوم فائدتي ، او رجلا مثلي فهو يوم مذاكرتي ، او رجلا متعلما فهو يوم ثوابي ،واجرى ، او رجلا دونى في الحقيقة وهو يرى انه فوقي ، وهو يحاول ان يتعلم مني وكأنه يعلمني ، فذاك الذي لاأكلمه ولا انظر اليه »(٤) ، وعنده ان العلوم اربعة اصناف هى « علم له أصل وفرع وعلم له اصل ولا فرع له وعلم له فرع ولا اصل له ، وعلم لااصل له ولا فرع ، فاما الذي له اصل وفرع فالحساب ، ليس [لاحد] . . من المخلوقين فيه خلاف ، واما الذي له اصل ولا فرع له ، فالنجوم ليس لها حقيقة يبلغ تاثيرها في العالم . . . وأما الذي له فرع ولا اصل له فالطب اهله منه على التجارب الى يوم القيامة ، والعلم الذي لا اصل له ولافرع،

(١) اليغموري ، نور القبس ٦٠ .

(٢) ياقوت ، معجم الادباء ١ / ١٧ ـ ١٨ .

(٣) اليغموري ، ن . م ، ٥٦ . الحلبي ، مراتب النحويين ٦١ .

(٤) اليغموري ، ن . م ، ٦٠ . ، الخوانساري ، الروضات ٢ / ٢٧٣ بتغير طفيف .

فالجدل »(١) .

كان الخليل معلما ، ومعلما كبيرا في نفسه وفي علمه ، اما الزعم بانه جعل « كلمة المعلم مضغة في أفواه العجائز . . . [لانه] ربأ بنفسه ان يكون معلما »(٢) ، فزعم لا يستند الى اساس علمي ، ولا يمكن أن يكون رفض الخليل لطلب سليمان بن المهلب ، استهانة بالتعليم والمعلم ، بل كان رفضا لان يقصر العلم على أبناء القصور وان يعيش المعلم على فتاتها .

لعل ظاهرة الرجوع عن الخطأ ، ظاهرة طبعت بطابعها سلوكية بعض الشيوخ والدارسين ، « كتب رجل من أهل رامهرمز الى الخليل يسأله كيف يقال : ما اوقفك هنا ومن أقفك ؟ فكتب اليه هما واحد ، قال ابو زيد : ثم لقيني الخليل فقال لي في ذلك ، فقلت له انما يقال : من وقفك وما أوقفك ؟ قال : فرجع الى قولي »(٣) ، وكذلك ذُكر انه وقع في اوهام رجع عنها حين ظهر له خطؤه(٤) ، ومثله كان ابو عمرو بن العلاء(٥) ، ونقل عن المبرد انه كان يعد « من يصر على خطائه ولا يرجع عنه . . . كذابا ملعونا »(٦) . ثمة ظاهرة اخرى اتسمت بها سلوكية بعض شيوخ البصرة ، هي الامانة العلمية في النقل وذكر الاراء ، فاغلب كتبهم مليئة بمثل ، زعم فلان ، وقال فلان ، والرأي عند فلان ، واحيانا ينقلون رأيا ويصرّحون بعدم فهمه « قال ابن دريد ، املى علينا ابو حاتم ، قال : قال : مابني عليه الكلام ثلاثة أحرف ، فما زاد ردوه الى ثلاثة وما نقص رفعوه

(١) القفطي ، انباه الرواة ١ / ٣٤٦ .

(٢) العلوجي ، عطر وحبر ، مقالة بعنوان « المعلم في مجرى التاريخ » ص ١٤٠ .

(٣) السيوطي ، المزهر ٢ / ٤٠٢ .

(٤) العسكري ، شرح مايقع فيه التصحيف ١/٥٧ـ٧١ . (٥) ايضا ١/٧٣ـ٨٩ .

(٦) السيوطي ، المزهر ، ٢ / ٣٢٠ .

الى ثلاثة ، اب واخ . . . وقال ابن دريد : لا أدرى ما معنى قوله : فما زاد ردوه الى ثلاثة وهكذا املى علينا ابو حاتم عن ابي زيد ولا اغيّر »(١)، وسُئل الخليل عن معنى قوله تعالى « ربِّ ارجعون ، ففكر قليلا ثم قال: سئلتمونى عن شيء لا احسنه ولا أعرف معناه »(٢) .

اما ظاهرة الحرص على التعلم وتسجيل ما يتعلموه فبيّنه في سلوك الدارسين بسبب من مهامهم التعليميه والتعلميّة ، فابو عمرو بن العلاء يُسأل « متى يحسن بالمرء ان يتعلم ؟ قال : ما دامت الحياة تحسن به »(٣)، وحين هرب من الحجاج تلف من فم اعرابي لفظة « كَرجه » وسُر بذلك أكثر من سروره بموت الحجاج (٤) ، واستلفت نظر الخليل تنوين أبي الدقيش « لهل » وهي حرف(٥) ، ومثله فعل يونس بن حبيب حين سمع بدويا يقول « كذبَ عليكَ البزرَ والنوى » (٦) ، على حين كان يرى شيوخه وزملاءه يرفعون بها فيقولون « كذبَ ، عليك الحجّ »(٦) .

لم يقتصر حرص الدارسين على التعلم من البادية أو الفصحاء أو من شيوخ اللغة والنحو فحسب ، بل كانوا يدونون ويتعلمون ما وجدوا الى ذلك سبيلا ، ومن اي مصدر كان ، شرط توفر الثقة والعِلم ، قال عيسى بن عمر « كنا نمشي مع الحسن [البصري] ومعنا عبد الله بن ابي اسحاق ، قال ، فقال الحسن : حادثوا هذه النفوس فانها طَلَعَة ولا تدعوها فتنزع

(١) السيوطي ، المزهر ٣١٧/٢ . (٢) الخوانساري ، الروضات ٢ / ٢٧٣ .
(٣) ابن خلكان ، الوفيات ، ٣ / ١٣٦ .
(٤) ايضا ١٣٦/٢ . . . . . ، الزبيدي ، طبقات النحويين ٢٨ . . .
(٥) ابن دريد ، محمد بن الحسن ، الاشتقاق ، القاهرة ١٩٥٨ص٦٠ .
(٦) ابو مسحل الاعرابى ، عبد الوهاب بن جريش ، كتاب النوادر جا دمشق ١٩٦١ ، ١١٤ ـ ١١٥ .

بكم الى شر غاية قال : فاخرج عبد الله بن ابي اسحاق الواحةَ فكتبها فقال : إستفدنا منك يا أبا سعيد ، طَلَعَه »(١) .

وأحيانا ، نجد الشيوخ يتصدون لتقويم سلوك تلاميذهم او الانتصار لهم ، او لمن جالسهم ، حينما يشعرون ببوادر مضايقة او اهانة ، ردّ يونس بن حبيب على من حاول احراج الكسائي في مجلسه حول مسألة « أيٌّ »قائلاً : « تؤذون جليسنا . . . »(٢) ، وحين يسيء التلميذ التصرف في مجلس شيخه ، يلقى من التأديب ما يقوّمه ، كما حدث للمازني حين سُئل ابو عبيدة عن مسألة ، فأشار المازنى الى السائل بخطأ الجواب، تصدى له أبو عبيدة قائلا : « أدب نفسك اولا ، ثم تعلم الادب»(٣) .

كان الدارسون يزاولون مهامهم التعليمية ، حتى في فراش المرض، روى المازني فقال :« دخلت على ابي زيد في مرضه الذي مات فيه فقال : أشتكي صدري، فقلت : إمرِخْهُ بشمع ودهن : فقال : ليس كذا إنما هو امرُخهُ فتعجبت منه ، في تلك الحال يعلمني »(٤) .

لم يخل سلوك الدارسين من ظواهر سلبية غلب وجودها في سلوك الاخفش سعيد، سأل الجاحظ الاخفش « انت أعلم الناس بالنحو فلم لاتجعل كتبك مفهومة كلها ؟ وما بالنا نفهم بعضها ولا نفهم أكثرها ؟ ، وما بالك تقدم بعض العويص وتؤخر بعض المفهوم ؟ ، قال : أنا رجل لم اضع كتبي هذه لله ، وليست هي من كتب الدين ، ولو وضعتها هذا الموضع الذي تدعونى اليه قلّت حاجتهم اليّ فيها ، وإنما غايتي المنالة ، فانا أضع بعضها هذا الوضع المفهوم لتدعوهم حلاوة ما فهموا الى اتمام فهم مالم يفهموا ، وانما قد كسبت في هذا التدبير اذ كنت الى التكسب قد ذهبت »(٥) .

(١) السيرافي ، اخبار النحويين ٦١ . (٢) ايضا ٢٨ .
(٣) ياقوت ، معجم الادباء ٣٨١/١ . (٤) اليغموري ، نور القبس، ١٠٨ .
(٥) الجاحظ ، الحيوان ١ / ٩١ ـ ٩٢ .

الفصل الرابع

منهجية الدراسات البصرية ومنحاها التعليمي

مصادر الدراسات البصرية

في اللغة والنحو

كانت مصادر الدارسين سخية في مدهم بما يحتاجون اليه من اصول وشواهد ، وأمثله ، فقعّدوا قواعد النحو وقننوا قوانين اللغة ، اعتماداً على تلك المصادر ، وكان اهمها واولاها هو :

١ ـ القرآن الكريم

فهو أصحّ وادقّ مصدر « لا نعرف كتابا احيط بالعناية والرعاية... مثل القرآن الكريم »(١) ، وكان « وحده النص العربي القديم الذي يستطيع [الدارس] ان يطمئن الى صحته ويعتبره مشختصا للعصر الذي تلي فيه » (٢) ، نتيجة العناية والرعاية التي لقيها ، ولم يلقها كتاب أو نص آخر ، فكان المصدر الرئيس لكافة الدراسات في كافة الاتجاهات ومن هنا أحدث الاثر الفعال في تطور اللغة والادب(٣) .

لم يصلنا عن الدارسين الأول ، انهم استنبطوا قواعدهم من القران أو

(١) المخزومي ، مدرسة الكوفة ١٧ . (٢) طه حسين ، في الادب الجاهلي ١٧٦ .
(٣) ضيف ، الفن ومذاهبه في النثر العربي ، ٤٦ .

جيروها به ، اللهم إلا استشهاد ابي الاسود بالآية الكريمة « وإنا أو إياكم لعلى هدىً او في ضلالٍ مبين »(١) ، حين احتج على بني قشير بشأن شعر قاله ، ثم استنبط متأخرو النحاة من هـذه الآية معنى من معاني « أو » اصطلحوا عليه بـ « الابهام »(٢) ، وكان افتقاد المؤلفات الاولى عاملا مهما في عدم وصول اراء الدارسين الاولين ، وعدم وصولها الينا لا يعني انها لم توجد كما لا يعني أن الدارسين لم يتلقوا هذه الآراء شفاهاً ، ولكنها قليلة على كل حال . ان افتقاد اراء النحاة الاول ، المستنبطة من القرآن لا يعني بالضرورة أنهم كانوا « قليلي الاخذ بلغة التنزيل »(٣) ، فدراساتهم الاولى كانت تفسيرية في منطلقها ، واختلافهم في تفسيرها أوصلهم الى محاولة ضبط اعرابه لضبط معناه ، فكانوا يستشهدون بالشعر وبكلام العرب لبيان معاني الآيات(٤) ، ويتجلى ذلك في سؤالات نافع بن الازرق لابن عباس . ان هذا الواقع نجده مستمراً الى عصر الخليل ، قال « العنوُ والعناء مصدر للعاني ، يقال عانٍ اقرّ بالعنو وهو الأسر والعاني الخاضع المتذلل ، قال الله تعالى : وعَنَتِ الوجوهُ للحيّ القيوم »(٥) ، * فالخليل فسّر معنى هاتين الكلمتين مستشهداً بمعناهما في القرآن كما فسّر معنى الآية من معنى الكلمتين فهي عملية تفسير مزدوجة ، ولم يكن يستنبط قاعدة من الآية أو يجبر قاعدة بالآية الكريمة ، وهذا لايعني ان معاصري الخليل لم يجعلوا القرآن مصدراً لدراساتهم النحوية ، فكتاب المجاز لأبي عبيدة يوحي بانه كتاب تفسير ، من عنوانه ، ولكنه في واقعه كتاب نحو

(١) سورة سبأ الآية ٢٤ . (٢) ابن هشام ، المغني ، ١ / ٦١ .
(٣) السامرائي ، د . ابراهيم ، التطور اللغوي التاريخي ، ٣٩ .
(٤) عطار ، أحمد عبد الغفور ، مقدمة الصحاح ١ / ٤٣ .
(٥) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ١٤٧/٤ . * سورة طه ، الآية ١١١ .

قرآني يقول في « مالك يوم الدين . . نصب على النداء ، مجازه : يا مالك يوم الدين لانه يخاطب شاهداً ، ألا تراه يقول : إياك نعبد ، فهذه حجة لمن نصب »(١) ، ويقول أيضا « من مجاز ما يحوّل فعل الفاعل الى المفعول أو الى غير المفعول ، قال ما إنّ مفاتحه لتنوء بالعصبة ، . والعصبة هي التي تنوء بالمفاتيح »(٢) ، ومثله كتاب معاني القرآن للفراء ، من العلماء الكوفيين ، حشد فيه الآراء النحوية ، والاحكام الاعرابية مثلاً او مستشهدا بالآيات(٣) .

وحين نصل الى كتاب سيبوية نجـــده ، حافلا «بعدد لا يحصى من الشواهد المستقاة من القرآن »(٤) ، وكثير من هـذه الشواهد هو تفسير مزدوج أيضا ، وبعضها جبر لقواعد قُررت وُوضعت ، واستشهادٌ عليها ايضا .

بعد طبقة سيبويه صار القرآن مصدراً اكثر اهمية لاستنباط الآراء النحوية ، وصار الاختلاف شديدا في كثير من احكام آياته الاعرابية ، وعلى سبيل المثال،نجد كلمة « لعل » ، في رأى بعضهم انها تعليلية وحملوا عليه قوله تعالى « فقولا لهُ قولاً لينا لعلّه يتذكرُ أو يخشى »(٥) ،وقال غيرهم انها تأتى للاستفهام وعلقوا بها الفعل واعتمدوا قوله تعالى « لا تدري لعلّ اللهَ يحدثُ بعدَ ذلك امراً »(٦) .

اما الحديث فلم يأخـــذ به الدارسون مصدرا لدارساتهم فرفضوا

(١) ابو عبيدة ، معمر بن المثنى ، مجاز القرآن ، القاهرة ١٩٥٤ ص٢٣ .
(٢) ايضا ، ص ١٢ .
(٣) الفراء ، يحيى بن زكريا ، معاني القرآن ج١ القاهرة ١٩٥٥ .
(٤) دائرة المعارف الاسلامية ، مجلد ١٢ ، مادة سيبويه .
(٥) ابن هشام، المغني١/٢٨٨،سورة طه٤٤ . (٦)ايضا ١/٢٨٨ ، الطلاق ١.

الاستشهاد به والاحتجاج بنصوصه .

يقول السيوطي في هذا الموضوع ، ان ماثبت ان النبي ـ ص ـ « قاله على اللفظ المروى . . . نادرٌ جداً ، انما يوجد في الاحاديث القصار على قلة أيضا ، فأن غالب الاحاديث مرويٌ بالمعنى وقـــد تداولتها الاعاجم والمولدون قبل تدوينها . فرووها بما أدت اليـه عبارتهم فزادوا ونقصوا وقدموا وأخروا وأبدلوا ألفاظا بالفاظ »(١) .

ان رواية الحديث بـالمعنى ، كانت السبب الرئيس عند بعض البـاحثين في عدم الاستشهاد به(٢) ، لأن الحديث لم يصل بلفظه الذي تلفظ به الرسول ـص ـ (٣) ، ويبدو انهذا الامر كان بسبب اهتمام رجال الحديث بالسند قبل اهتمامهم بالمتن (٤) ، ونشأة الرواة في بيئات غير فصيحة ، ومن ثمّ تعرضهم للحن في رواية الحديث(٥) كان عاملا لا يقل عن سابقه اهمية ، وهذا لا يعني نكران اهمية عامل الوضع في الحديث وشيوع هذا الوضع ، بحيث اعترف بعض الوضاع بوضعهم الحديث حسبة(٦) ، اما رفض بعض الباحثين لهذه الحجة والتقليل من اهميتها لأن النحاة أخذوا بشواذ كلام العرب وغريبه (٧) ، فمردود لأن شـاذ كلام العرب وغريبه كان يمثـل ـ في الاعم الاغلب ـ لغات ولهجات قبائل معينة ،وان الشذوذ كان شذوذا

(٢) السيوطي ، عبد الرحمن ، الاقتراح في علم اصول النحو ، حيدر آباد ١٣٥٩هـ ص١٦ . (٢) البغدادى ، خزانة الادب ، ١ / ٤ ـ ٥ .
(٣) شلبي،ابوعلي الفارسي،ص١٠ . (٤) المخزومي،مدرسة الكوفة٤٩ـ٥٠ .
(٥) حسين ، محمد الخضر ، دراسات في العربية وتاريخها ، دمشق ١٩٦٠ ص ١٦٩ ، المخزومى ، ن . م ٥٠
(٦) السيوطي ، الاتقان في علوم القرآن ٢ / ١٥٤ ـ ١٥٥ .
(٧) السامرائي ، عامر رشيد ، آراء في العربية ٨٧ .

عن القواعد وليس عن اللغة ، اما الوضع فلم يكن قـــد تم على ألسنة العرب الفصحاء .

والظاهر ان هجران الدارسين للغة الحديث الشريف « هجرانا يكاد يكون تاما »(١) ، كان منبعثا من منطلق عقلي محض بسبب من مجموع هذه العوامل التي تضعف قيمة النص واصالته اللغوية .

٢ ـ الشعر الجاهلي والاسلامي

اعتمد الدارسون البصريون الشعر ولغته اعتمادا كبيراً ، فكان الشعر هو النص الجدير بالاعتماد في المحاولات التفسيريه ، ومن هنا لم يكن « اهتمام النحاة واللغويين الاولين بالشعر الجاهلي بطريق الصدفة »(٢) ، كما زعم بعضهم .

لقد صنف الدارسون الشعر والشعراء مراتب ومنازل اصطلحوا عليها في أربع فئات هي :

١ ـ الشعراء الجاهليون ، وهم شعراء ما قبل الاسلام .

٢ ـ المخضرمون ، وهم الذين عاصروا الاسلام والجاهلية .

٣ ـ المتقدمون او الاسلاميون ، وهم الذين عاشوا في العصر الاسلامي الأول والعصر الاموي ممن غلبت على شعرهم الفصاحة والاصالة كجرير والفرزدق .

٤ ـ المولدون او المحدثون ، وهم شعراء المدن المخالطين اقواما غير فصيحة كبشار وابي نؤاس ومن عاصرهما او تلاهما عصراً .

(١) السامرائي ، د . ابراهيم ، التطور اللغوي التاريخي ، ٦٩ .

(٢) بلاشير ، تاريخ الادب العربي ١ / ١٢٠ .

كانت نظرة الدارسين الى شعر الطائفة الاولى والثانية ايجابية، فاستشهدوا « بشعرهما اجماعاً »(١) ، واختلفوا في شعر الطائفة الثالثة ، وعدوا الطائفة الرابعة ممن « لا يستشهد بكلامها مطلقا »(١) ، فيونس بن حبيب كان ممن يأخذون بعين الاعتبار شعر جرير والفرزق ورؤبه ، وعرف عنه الاختصاص برؤبة وتفضيله، حتى لو قال له رؤبة : « حتام تسألني عن هذه البواطيل وازخرفها لك.. »(٢) .

أما ابو عمرو بن العلاء فقيل انه لم يحتجّ ببيت اسلامي قط(٣)، مع انه همّ ان يأمر طلابه برواية ودراسة شعر الفرزدق لجودته (٤) . ، ولم يحتجّ أحد من العلماء بشعر المولودين من شعراء العصر العباسي .

ومـــع النظرة التي نظر بها الدارسون الى الشعر الجاهلي ، لم يسلم هذا الشعر من مطاعن وجهت اليه من الدارسين ، قدامى ومحدثين ، خاصة ما صُيّر منه شواهد في اللغة والنحو ، فابو عمرو بن العلاء ، مثلا ، كان يعترف ضمنا بصحة واصالة الشعر الذي رُوي ودُرس ، يقول : « ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا أقلة ، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير »(٥) ، على حين فطن غيره من الدارسين الى عوامل وضع الشعر ونحله ، فقسمها الى عوامل قبلية(٦) ، او عقلية ونقلية (٧) ، فعدّ هذا الشعر مما « لا خير فيه ولا حجة في عربيته »(٨) .

(١) البغدادي ، خزانة الادب ١ / ٤ .

(٢) السيرافي ، اخبار النحويين ٢٨ ، السيوطي ، المزهر ٢/٣٦٣ باختلاف .

(٣) الجاحظ ، البيان والتبيين ١ / ٣٢١ .

(٤) ايضا ١ / ٣٢١ ، البغدادي ، خزانة الادب ١ / ٣ ـ ٤ .

(٥) ابن جني، الخصائص، ١/٣٩٢، ابن سلام، طبقات فحول الشعراء ٢٣، نص شبيه.

(٦) ابن سلام ، ن . م ، ١٦ . (٧) ايضا ، ٢٢ ـ ٢٣ .

(٨) ايضا ٢٣ ، السيوطي ، المزهر ، ٢ / ١٧١ .

واختلف المحدثون ، ايضا ، في اصالة الشعر الجاهلي بوجه عام ، والشواهد النحوية واللغوية بوجه خاص ، منهم من رأى ان الشعر الجاهلي كان اصيلا والشواهد كانت صادقة وبكرا والاحتجاج بها « خلق مشاكل لم يستطع حلها الا باللجوء الى شواهد شعرية اخرى »(١)، ومنهم من رأى ان الدارسين إحتجوا بما ثبت لهم انه مصنوع موضوع على شعراء الجاهلية(٢). ولعل الدكتور طه حسين أكثر الباحثين غلوا في نفي اصالة الشعر الجاهلي، فهو يرى ان هذا الشعر كان قد فصّل على قدر القرآن والحديث ، لغرض تفسيري تعليمي(٣) ، وذهب اكثر من ذلك فطعن في شواهد « الكتاب » يزعم ان الشعراء عبثوا بسيبويه فوضعوا له شعرا احتج به(٤) * .

٣ - الامثال والحكم

قد يلي هذا المصدر الشعر في اهميته ، ذلك انهما منبعثان من منبع واحد ، وإن اختلف الاسلوب ، وقد أولى الدارسون عنايتهم للامثال جمعا وروايه ودراسة .

يقول الميداني « طالعت من كتب الائمة الاعلام ما امتد في تقصيه نفس الايام مثل كتاب أبي عبيدة وأبي عبيد والاصمعي وأبي زيد وأبي عمرو

(١) بلاشير ، تاريخ الادب العربي ١ / ١٢١ .

(٢) السامرائي ، د . ابراهيم التطور اللغوي ٨١ .

(٣) في الشعر الجاهلي ١٠٨ - ١١٠ . (٤) ايضا ، ٢٥٢ .

* وقد استدل على ذلك « كما ذكر » بما رواه ابن خلكان ،وفيات ١٣٤/٣،بشأن المسألة الزنبورية،ولم يذكر ابن خلكان شيئاً عن هذا الموضوع،وكل ما ذكره ان الكسائي تواطأ مع اعراب ايدوا مزاعمه ، ولعل الدكتور يقصد ما نقل عن « بيت » إبان اللاحقي في إعمال « فعِل » .

وأبي فيد . . . حتى تصفحت أكثر من خمسين كتاباً »(١) ، ان كون اغلب رواة هذه الامثال ودارسيها من رجال القرن الثاني ، لايعني انها لم تكن اقدم منهم عصرا ، أو أنها لم تكن متداولة وشائعة، فليس من المعقول ان « يتصدى جماعة لجمع الامثال او لروايتها إلا بعد ان تكون قد جرت على ألسن الجمهور زمنا طويلا حتى اصبحت شائعة معروفة . . » (٢) ، ولكونها عرفت قبل عصر الدارسين بكثير* يمكن عدها من بقايا النثر العربي القديم ، فقد كان بعضها « سائرا مشهورا في الجاهلية »(٣) ، ولكن التفريق بين ماهو جاهلي وما هو اسلامي يواجه كثيرا من الصعوبات(٤).

تداول الدارسون هذه الامثال ، فدرسوها ولاحظوا ما تحمله من احكام نحوية ومعان لغوية ، فاحتجوا بكثير منها ، ومثلوا باكثر ، مثل سيبوية بمثل نقال « ان الشاعر قال :

فلسنا بالجبالِ ولا الحديدا

اجراه على الموضع ، ومثل ذلك ايضا قول العرب : لامالَ له قليلٌ أو كثيرٌ ، رفعوه على الموضع »(٥) ، ولعل المسألة الزنبورية اوضح مثال على الاحتجاج بالامثال .

كانت منهجيتهم في دراسة الامثال هي :

أولا - هدف تعليمي محض يهدف اليه الدارس من جمعه للامثال ،

(١) الميداني ، احمد بن محمد ، مجمع الامثال ، القاهرة ج١ ١٣٥٢هـ ص ٧ .

(٢) المقدسي،انيس،تطور الاساليب النثرية في الادب العربي،بيروت١٩٦٥ص٩١.

* رسالة الاسلام ، العدد ٧ - ٨ السنة الثانية شباط ١٩٦٨ ، بحث الاستاذ عبد الهادي الفضلي بعنوان « الامثال في نهج البلاغة » .

(٣) بروكلمان،تاريخ الادب١/١٢٩ . (٤) أحمدامين،فجر الاسلام٦٠-٦٦ .

(٥) الكتاب ١ / ٣٥٢ .

وروايتها وضبط الفاظها ، يقول المفضل بن سلمة بن عاصم في مقدمة كتابه « هذا كتاب معاني ما يجري على ألسن العامة في امثالهم ومحاوراتهم من كلام العرب ، وهم لا يدرون معنى ما يتكلمون به من ذلك ، فبيّنّاه من وجوهه على اختلاف العلماء في تفسيره »(١) .

ثانيا ـ بيان وتوضيح معاني المفردات اللغوية بوساطة الامثال ، او استنباطها منها ، كقول أبي زيد « من امثال العرب : لأنا أحذرُ من ضبٍ حَرَشْتُه . . . وحرشت الصيد اذا صدته » (٢) ، او قولهم في « قطع اللهُ دابرَهُ » ان الدابر هو الاصل(٣) ، وفي « هذا أطمُّ » ، بأنَّ الأطمَّ هو البَلية (٤) .

او يشيرون الى اللغات القبلية من خلال دراستهم المثل ، كقول الاصمعي « من امثال العرب : نَعَمٌ كلبٍ في بؤسٍ اهلهِ ، ويقال بئيس اهله ويقال بئس اهله لغتان »(٥) ، او اشارتهم الى اللغات في : أفٌ و تفٌ و أُفة وتفة(٦) .

ثالثا ـ دراسة الاحكام النحوية من خلال المثل ، احتجاجا وتمثيلا، وكتاب سيبويه مشحون بالكثير ، كقوله « وقد حملهم قرب الجوار على ان جروا هذا جحرَ ضبٍ خربٍ ونحوه »(٧) ، او قولهم في المثل : « هو ابن عمته لحاً . . ونصبه عند حذاق النحويين على الحال »(٨) ، او قولهم في المثل « فلان نسيجُ وحدِهِ . . . وحده منصوب ابدا إلا في ثلاثة

(١) الفاخر ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ١ .
(٢) القالي ، اسماعيل بن القاسم ، الامالي ، القاهرة ١٩٢٦م ج٢ /١١ـ١٢ .
(٣) ابن سلمة ، الفاخر ١٥٧ . (٤) ايضا ١٥٧ .
(٥) القالي ، ن . م ٢/٢٩ . (٦) ابن سلمه ، ن . م ٤٨ .
(٧) سيبويه ، الكتاب ١/٣٣ـ٣٤ . (٨) ابن سلمة ، الفاخر ، ٣٢ .

مواضع هي : نسيج وحدِهِ وعَيْر وحدهِ وجَحيْش وحدِهِ »(١) .

رابعا ـ دراسة مناسبة قول المثل ، فيخرجون بهذه الدراسة عن مباحث اللغة الى مباحث التاريخ والتراث ، كدراسة يونس في المثل « الصيدُ كل الصيدِ في جوفِ الفرى »، و « كمجيرِ امِّ عامرٍ »(٢) ، وقول غيره في « احمقُ من دَعْفَه » (٣) ، و « عند جهينةَ الخبرُ اليقين »(٤) ، و « وافق شنٌّ طبقة »(٥) .

٤ ـ الوافدون من البدو ، والفصحاء

كانت البصرة موئلا لكثير من الوافدين عليها ، وكان بعض الوافدين من فصحاء البدو وممن اقرَّ الدارسون فصاحتهم ، فدرجوا على الاتصال بهم والاخذ عنهم اساليب اللغة ومفرداتها ، ومن هنا نشأ ماعرف بفصحاء العرب(٦) .

كان بعض الدارسين يختص ببعض الوافدين أحيانا ، فالاصمعي وأبو عبيدة اخذا عن المنتجع الاعرابي وابي مهدية وابي مالك بن كركرة(٧) ، والخليل والنضر بن شميل اخذا عن ابي ربيعة(٨) ، والمبرد اكثر من الرواية عن ابي العالية(٩) . وقد ذكر ابن النديم والسيوطي اسماء كثير من هؤلاء الفصحاء الذين اخذ عنهم العلماء في البصرة(١٠) .

(١) ابن سلمة ، الفاخر ، ٤١ . (٢) اليافعي ، مرآة الجنان ، ١/٣٨٨.
(٣) ابن سلمة ، الفاخر ٢٩ . (٤) ايضا ١٢٦ .
(٥) ايضا ٤٧ . (٦) بلاشير ، تاريخ الادب ١ / ١٣٠ .
(٧) الزبيدي ، طبقات اللغويين ، ١٧٥ ـ ١٧٦ .
(٨) اليغموري ، نور القبس ١٠٢ . (٩) الكامل باجزائه الاربعة .
(١٠) الفهرست ، ط . مصر ٧٢ـ٧٣ ، المزهر ٢/ ٤٠١ ـ ٤٠٢ .

كان علماء البصرة ينهجون في اخذهم عن الاعراب سبيل السؤال المباشر عما يريدون ، او ملاحظة اساليبهم في الكلام والمفردات التي يتفوهون بها ، ومن ثمّ دراسة تلك الاساليب ، فيونس بن حبيب كتب عن بدوي من غني كثيراً(١) ، وابو عمرو بن العلاء كان لا يتحرج ان يسأل أيّ اعرابي يراه حتى لو كان سائلا محترفا كفرعون الساسي(٢) ، او بدويا مستطرقا ، كما فعل حين سُئل « عن اشتقاق الخيل فلم يعرف فمرّ اعرابي مجرم فأراد السائل سؤال الاعرابي ، فقال له أبو عمرو ، دعني فأنا ألطف بسؤاله وأعرف ، فسأله ، فقال الاعرابي : اشتقاق الاسم من فعل المسمى ، فلم يعرف من حضر ما أراد الاعرابي فسألوا أبا عمرو عن ذلك فقال : ذهب الى الخيلاء التي في الخيل والعجب ، ألا تراها تمشي العِرِضنة خيلاء وتكبرا »(٣) .

كانوا يسمعون البدو فيلاحظون اساليبهم ، في الامور العارضة ، فيدرسون تلك الاساليب ان وجدوا فيها تغيرا عما ألفوه ، سأل الليث بن المظفر أبا الدقيش : « هل لك في زبد ورطب ؟ فقال : أشدّ البلّ وأوحاه ، فشدد اللام حين جعله اسما »(٤) .

كان الوافدون قد رأوا حاجة الدارسين اليهم تتزايد ، فكثروا ، وسلكوا سبيل الانتحال في اقوالهم والكذب في اجاباتهم ، ولكن الدارسين فطنوا

(١) ابو مسحل الاعرابي ، النوادر ، ١ / ١١٤ ـ ١١٥ .

(٢) اليغموري ، ن . م ١٥٨ . (٣) الزبيدي ، ن . م ٢٩ .

(٤) الفراهيدي ، الخليل بن أحمد ، العين ١٩٦٧ ص ٥٥ ـ ٥٦ وقد رويت هذه الرواية بشكل آخر مضمونه ان الخليل سمعها من أبي الدقيش والشاهد فيها تنوين هل ، إبن دريد ، الاشتقاق ، ٦٠ .

الى هذا وصار من مهامهم كشف هذه الحيل(١) ، فأخذوا يمتحنونهم كما فعل ابو عمرو بن العلاء مع ابي خيرة ، في مسألة « إستأصل الله عرقاتهم »(٢) ، فوضح له قياسا خاطئا كشف به تماصحه(٣) .

لقد حفل كتاب سيبويه بمرويات عن هؤلاء العرب الفصحاء ، وقد حرص دائما على وصفهم بالوثاقة ، يقول مثلا ، « سمعنا من يوثق به من العرب يقول : اجتمعت اهل اليمامة . . . »(٤) ، او يقول : « زعم ابو الخطاب أنه سمع بعض العرب الموثوق بعربيتهم ينشد . . »(٥) .

كان الدارسون يأخذون ، عن غير العرب عن شهد له بالفصاحة كعمرو بن قائد الاسواري ، « كان يقص في فنون من القصص ويجعل للقرآن نصيبا من ذلك ، وكان يونس بن حبيب يسمع منه كلام العرب ويحتج به » (٦) ، واخذ ابن ابي اسحاق لفظة « طلعه » عن الحسن البصري(٧) ، الذي شهد بفصاحته ابو عمرو بن العلاء (٨) .

٥ ـ القياس

وهذا المصدر عقلي محض يمكّن « الانسان من النطق بالآف من الكلم والجمل دون ان تقرع سمعه من قبل »(٩) ، فيستطيع ان يشتق صيغة

(١) بلاشير ، تاريخ الادب ١٣١/١ .

(٢) الزجاجي ، مجالس العلماء ص ٥ مجلس ٢ ، الانباري ، النزهة ، ط. مصر ، ٢٦ .

(٣) الرافعي ، تاريخ آداب العرب ١ / ٢٥٤ . (٤) الكتاب ١ / ٢٦ .

(٥) ايضا ١ / ١٥٣ . (٦) الجاحظ ، البيان والتبيين ١ / ٣٦٩ .

(٧) السيرافي ، اخبار النحويين ٦١ .

(٨) الجاحظ ، البيان والتبيين ١ / ١٦٣ ، ٢ / ٢١٩ .

(٩) حسين ، محمد الخضر ، القياس في اللغة ص ٢٤ .

على نسق معروف متداول ، ولا يخرج عن « مقارنة كلمات بكلمات او صيغ بصيغ او استعمال باستعمال » (١) ، لأن « ما يحتمله القياس ولم يرد به السماع كثير »(٢) ، ان هذا المصدر لا يمكن ان يُعدّ مصدرا مستقلا بنفسه فهو مكمل ومتمم للمصادر الاخرى .

كان قياس الدارسين البصريين متميزا عن قياس الكوفيين ، فهم يقيسونه « على لسانه العرب الأول »(٣) ، وليس « على لغة اشياخ قطرُبل »(٣) ، وهذا يعني انهم ما كانوا يجيزون القياس على كل ما يُسمع من لغات العرب كما يفعله الكوفيون ، بل كان قياسهم على لغات قبائل معينة خصّوها بالفصاحة ، وتساهل متأخروهم فقالوا ان « الناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطيء وان كان غير ماجاء به خيرا منه»(٤)، لأن « ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب »(٥) .

كان كثير من قياس البصريين مقتاس على لغة القرآن ايضا ،كما نرى في تعليل الخليل لكسر عين (رِعشرين) حين سأله الليث ، بانها مأخوذة من « العِشر لا من العشر [ومع ان] العِشر تسعة ايام والعِشر الثاني تسعة ايام فذلك ثمانية عشر يوما »(٦) ، علل ذلك بان الله سبحانه وتعالى قال : « الحج أشهر معلومات » * ، وهي شهران وعشرة أيام (٧) .

ان المنحى التعليمي الذى طبع الدراسات البصرية بطابعه ، وما يحتاجه

(١) أنيس ، ابراهيم ، من اسرار اللغة ص ٨ .
(٢) ابن جني ، الخصائص ١ / ٤٠٣ .
(٣) الزبيدي ، طبقات اللغويين ٥٣ ، من ابيات شعرية منسوبة لليزيدي .
(٤) ابن جنى ، ن . م ، ١ / ٤١٢ . (٥) ايضا ١ / ٣٦٢ .
(٦،٧) الزجاجي ، مجالس العلماء ٢٤٩ ـ ٢٥٠ مجلس رقم ١١٧ .
* سورة البقرة الآية ١٩٧ .

هذا المنحى من تفكير عقلي ومنهج ينبثق عنه ، هو الذي أملى ان يكون القياس مصدرا معتمدا من مصادر البصريين ، يقول المازني : « كتبت لك في صدر هذا الكتاب هذه الامثلة لتعلم كيف مذاهب العرب فيما بنت من الاسماء والافعال ، فأذا سئلت عن مسألة فانظر : هل بنت العرب مثالها ؟ ، فان كانت بنت فابن مثل ما بنت ، وان الذى سُئلت عنه ليس من ابنية العرب فلا تبنه لانك انما تريد امثلتهم وعليها تقيس »(١) ، وبهذا المنهج وضعوا قواعد عمموها فقالوا « ان كان الماضي كذا وجب ان يكون مضارعة كذا واسم فاعله كذا واسم مفعوله كذا واسم زمانه كذا »(٢)، ومع ان هذه القواعد العامة كانت تخطيء احيانا لوجود اصول لا تخضع للقياس المطرد ، كبعض المصادر التي لا تشتق من لفظ الفعل فيقال « أتيتهُ : أتيةً وأتوةً ولا نعلم احداً يوثق بعربيته يقول اتوّتهُ الا النحويين لما سمعوا أتوةً قاسوه فقالوه : أتوّتهُ »(٣) .

وبوحى من هذا المنحى ، كانوا يأتون بافتراضات قياسية موضوعه ويُجاب عنها عقليا ، وليس لها من الواقع شيء ، وما ذلك الا وصولا لقواعد قياسية توضع فيتعلم بها ، قالوا : « لو سميت رجلا بـ (على) او (الى) او (لدَى) او (ألا) لقلت في التثنية (علَوان) و(إلوَان) و (لدَوان) و (ألَوان) . . . »(٤) .

(١) ابن جني ، ابو الفتح ، المنصف ، شرح أبي الفتح لكتاب التصريف للمازني ، القاهرة ٩٥٤ جـ١ / ٩٥ ـ ٩٦ والكتاب باجزائه الثلاثة تعليمي محض ينهج منهج كتاب سيبويه .
(٢) ابن جني ، الخصائص ١ / ٤٤١ ، ، سيبويه ، الكتاب ١ / ٣٩٩ .
(٣) العسكرى ، شرح ما يقع فيه التصحيف ٢ / ٣١٣ والنص للمازني .
(٤) ابن جني ، الخصائص ١ /٢٨٣ .

وقالوا : « إن سميت المؤنث بعمرو أو بزيد لم يجز الصرف . . .(١)، مع ان عيسى بن عمر كان « يصرّف أمرأة اسمها عمرو . . »(٢) .

وكانوا يلجأون الى التخريج العقلي حينلا يتضح لهم وجه الشبه ،وكان لجوؤهم هـــذا مقبولا ، احيانا ، كقولهم « ان قلت رأيتُ فأردت رؤية العين او وجدت فاردتُ وجدان الضالة فهو بمنزلة ضربت ولكنك إنما تريد بوجدت علمت وبرأيت ذلك ايضا ، الا ترى انه يجوز للاعمى ان يقول رأيت العبد الصالح » (٣) . ورأى الخليل في نصب « أخاها » في قول ذى الرمة :

لقد حملت قيسُ بن عيلان حربَها
عـــلى مستقلٍ للنوائبِ والحـــربِ
أخـاها اذا كانت غضابا سمـا لها
على كل حالٍ من ذَلول ومن صعبِ

« على انك لم ترد ان تحدّث الناس ،ولا من تخاطب بامر جهلوه ، ولكنهم قد علموا من ذلك ما قد علمت فجعلته ثناءاً وتعظيما ونصبه على الفعل »(٤) .

وكانوا احيانا يوغلون في التخريج العقلي بغية ان يظهروا وجه الشبه بين المقيس والمقيس عليه ، فقالوا في قول الشاعر :

« ألا يـا بيتُ بالعلياء بيتُ ولولا حبُّ اهلِكَ ما أتيتُ

فانه لم يجعل بالعلياء وصفا ، ولكنه قال بالعلياء لي بيت ، وانما تركته لك أيها البيت لحب اهله . وأما قول الاحوص :

(١) سيبويه ، الكتاب ٢ / ٢٢ . (٢) ايضا ، ٢ / ٢٣ .
(٣) ايضا ١/ ١٨
(٤) ايضا ٢ / ٢٥١ ـ ٢٥٢ .

سلام الله يـا مطرٌ عليهـا وليس عليك يا مطرُ السلام

فانما لحقه التنوين ، كما لحق ما لا ينصرف ، لانه بنزلة اسم لا ينصرف وليس مثل النكرة لأن التنوين لازم للنكرة على كل حال ، والنصب وهذا بمنزلة مرفوع لا ينصرف يلحقه التنوين اضطرارا لأنك اردت في حال التنوين في مطر ما اردت حين كان غير منون ،ولو نصبته في حال التنوين ، لنصبته في غير حال التنوين ، ولكنه اسم اطرد الرفع في امثاله في النداء ، فصار كأنه يرفع بما يرفع من الافعال والابتداء فلحقه التنوين اضطراراً ، لم يغيّر رفعه كما لا يغيّر رفع ما لا ينصرف اذا كان في موضع رفع ، لأن مطرا واشباهه في النداء بمنزلة ما هو في موضع رفع فكما لا ينتصب ما هو في موضع رفع ، لا ينتصب هذا . . »(١) .

والاكثر من ذلك ايغالا في التخريج العقلي ما قاله ابن جني في باب الحمل على الظاهر « ان قلت حملت الحيوان على ظاهره ،وان لم يكن له نظير ، كما حملت سيدا على ظاهره وان لم يعرف تركيب « س ى د » ، قيل ماعينه ياء كثر ، وما عينه ياء ولامه واو مفقودٌ اصلا من الكلام ، فلهذا اثبتنا سيدا ونفينا ظاهرا من الحيوان ، وكذلك في نون عنتر وعنبر ينبغي ان تكون اصلاً »(٢) .

معاهد الدراسات البصرية

كانت البيئة الدراسية في البصرة نشطة وفاعلة ، ومن البديهي ان يكون الدارسون بحاجة الى اماكن معدة ليتلقوا العلم فيها ، فكان الكتّاب، وكان المسجد ، والمجالس الخاصة ، والبادية ، اماكن ينهل منها الدارسون العلم . انالتقسيم الذي اتبعناه في هذا البحث لا يعني بحال ان كل معهد

(١) سيبويه ، الكتاب ١/٣١٢ـ٣١٣ . (٢) ابن جني ، الخصائص ١/٢٦٥ .

كان متميزاً وبحدود فاصلة من غيره من انواع المعاهد ، فغالباً ما كان مكان الكتّاب هو المسجد ، وكثيراً ما عقدت مناظرات تعليمية فيه او في غيره من الاماكن ، والذي نعنيه بتقسيمنا هذا هو تيسير دراسة كل نوع على حده ، فحسب .

١ ـ الكتاب

هو المعهد الاول الذى يلجه المتعلم فيتعلم فيه مبادىء القراءة والخط وقد يتعلم فيه ايضا ، بعض مبادىء الحساب والعلوم الاخرى . اما منهج التعليم فيه ، فكان القرآن الكريم ، قراءةً ، واستمر ذلك الى عصور متأخرة أدرك بعضنا بعضاً منها .

اشتق الكتّاب من لفظة فهو موضع تعليم الكتّاب ويجمع على كتاتيب ، ويرى المبرد ان الكتّاب هو الصبيان « ومن جعل الموضع الكتّاب فقد أخطأ »(١) .

عرفت البصرة هذا النوع من معاهد العلم منذ عصورها الاولى ، ولعل مسجدها لم يكن يخلو من كتاتيب قامت بدورها قبل ما عُرف عن كتاب سعد الرابية المعاصر لابي الاسود (٢) . ويبدو ان الكتاتيب كثرت في البصرة بعد ذلك وتضخمت ايضا ، ذكروا كتاب الضحاك بن مزاحم « ت ١٠٢ هـ ـ ١٠٥ » وبالغوا ، قالوا أنه « كان يؤدب الاطفال [و] .. كان في مكتبه ثلاثة آلاف صبي ، وكان يطوف عليهم على حمار . »(٣) .

(١) ابن منظور ، لسان العرب ١ / ٦٩٩ باب كتب .
(٢) اليغمورى ، نور القبس ٢٣ ، السيوطي ، البغية ١ / ٥٧٩ .
(٣) ياقوت ، معجم البلدان ٤ / ٢٧٢ ـ ٢٧٣ .

« اذا أعيى »(١) ، وأنه كان يعلم حسبة أى بلا أجر(٢) ، ومع ما تحمله هذه الروايات من مبالغة ، الا انها يمكن ان تشير الى ان هناك بعض الكتاتيب في البصرة ، كانت ضخمة نوعما .

لقد حفلت كتب التاريخ ، بأخبار كثيرة عن معلمين أقاموا في البصرة وانشأوا الكتاتيب ، وبعضهم كان من الوافدين الاعراب ، مثل أبى البيداء الرياحي فقد « نزل البصرة وكان يعلم الصبيان بأجرة ، أقام بها عمره يؤخذ عنه »(٣) ، ومن الطبيعي أن يبدأ تعليم الدارسين في الكتاب ثم يصبحوا ـ فيما بعد ـ شيوخا من علماء اللغة والنحو ، فالنضر بن شميل وأبو زيد الانصاري ويحيى بن المبارك اليزيدي ، تعلموا في كتاب واحد(٤) ، ومن الطبيعي ان لا يصير كل صبيان الكتاب علماءاً ، فيختار بعضهم مهنة أخرى قد تكون مهنة التعليم نفسها ، فعبد الرحمن بن المبارك اليزيدي ، « كان معلماً قبالة دار أبي عمرو بن العلاء دهراً »(٥) ، وأخوه يحيى بن المبارك اليزيدي ، كان مؤدباً للمأمون ، وفي شعره آثار واضحة من مهنته ، قال في علماء الكوفة :

فهم من النحوِ ، ولو عمّروا ... أعمارَ عادٍ ، في أبي جادِ(٦)

وعرّض به خلف الاحمر فقال :

وإذا انتشيتُ فانّني ... ربُّ الحريّةِ والرّميحِ
وإذ صحوتُ فانّني ... ربُّ الدّويّةِ واللويحِ(٧)

(١) اليافعى ، مرآة الجنان ١ ٢١٣ ـ ٢١٤ . (٢) ابن قتيبة ، المعارف ٢٣٨.
(٣) ابن النديم ، الفهرست ط . مصر ٧٢ .
(٤) ابن خلكان ، الوفيات ٢ / ١٢٠ ـ ١٢٢ . (٥) ابن قتيبة ، ن . م ٢٣٧ .
(٦) السيرافي ، أخبار النحويين ٣٢ . أبي جاد ، المقصود بها : أبجد ، هوز...
(٧) اليغمورى ، نور القبس ٧٣ .

٢ - المسجد

كان المسجد مركزا رئيسا للمسلمين ، وكان ملتقاهم ومنتداهم منذ انبثاق نور الاسلام ، وتصاعدت اهمية المسجد التعليمية تبعا للتقدم الفكرى عند المسلمين ، فلم يقتصر دوره على أداء الفرائض والعبادات ، بل صار معهدا دراسياً انبثقت فيه وتبلورت الدراسات القرآنية منذ صدر الاسلام وعهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

روى أن الرسول (ص) خرج « فاذا في المسجد مجلسان ، مجلس يتفقهون ومجلس يدعون الله تعالى ويسألونه فقال : كلا المجلسين الى خير ، أما هؤلاء فيدعون الله تعالى ، وأما هؤلاء فيتعلمون ويفقهون الجاهل ، هؤلاء أفضل ، للتعليم ارسلت ثم قعد معهم » (١) ، وما رواه البخاري عن النفر الثلاثة الذين قدموا على الرسول (ص) وبقى اثنان منهم ، « فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها وأما الاخر فجلس خلفهم »(٢) ، لقد حظى المسجد بمكانة تعليمية منذ صدر الاسلام ، فيه تبلورت الدراسات القرآنية غالباً ، ونشأت عنها اتجاهات دراسية أخرى ، وكانت حلقات التفسير والفقه والحديث وعلوم العربية في المساجد ، جنباً الى جنب الكتاتيب أحياناً .

كان مسجد البصرة - على ما يبدو - أهم وأكبر مسجد في عصره ، فكان أكبر معهد دراسي في ذلك العهد(٣) ، ولم تقتصر الدراسات فيه على العلوم التعليمية فحسب ، بل كان أيضا ، منتدى القصاص والوعاظ ، كعمرو بن قائد الاسوارى الذى قضى ثلاثين عاما « يقص في فنون من القصص ويجعل

(١) الكاشانى ، محمد بن المرتضى ، المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء ، طهران ١٣٣٩هـ ص ٢٣ . (٢) البخارى ، صحيح البخاري ، ٤٤/١ ، كتاب العلم.
(٣) حسن ، د . حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام السياسي ٥١٠/١-٥١١ .

للقرآن نصيباً »(١) ، والحسن البصرى الذي كان يلقي مواعظه فيه .

قيل أن « جعفر بن الحسن أول من اتخذ في مسجد البصرة حلقة واقرأ القرآن .. »(٢) ، وندع هذا النص لغموضه * فليس يعيننا من كان أول متخذي الحلقات العلمية بقدر ما يهمنا ازدياد أهمية المسجد العلمية على مر الايام ، وبتفرع هذه الدراسات وجد ما يشبه الاختصاص فيها ، ثم

(١) الجاحظ ، البيان والتبيين ٣٦٨/١ . (٢) ايضا ١ / ٣٦٧ .

* استوقفنا هذا النص ولم نستطع الاهتداء الى شخصية جعفر بن الحسن المذكور في هذا النص ، وجدنا أن محقق كتاب البيان والتبيين الاستاذ عبد السلام هارون قد نص على ان جعفراً هذا هو ابن الحسن البصري ٤ / ٢٨٤ ، ويبدو ان الامر اختلط عليه فأخطأ ، فالمحقق ذكر في الفهارس انه ترجم لجعفر بن الحسن في ١ / ٣٦٧ ، وفي الواقع لم يترجم له بل ترجم للحسن بن سيار البصرى وسعيد بن سيار البصري .

ولو كان جعفر بن الحسن هو من اولاد الحسن البصري فعلاً لكان الجاحظ هو المخطيء ذلك ان الجاحظ نص على وجود حلقة للحسن البصري في مسجد البصرة « ياقوت - معجم البلدان ١٣٥/٤ ، نص اعلاه ،) وليس من المعقول ان يسبق الابن أباه خاصة اذا كان الاب هو الاشهر والاعرف في هذا الميدان .

ومما يزيد الامر غموضاً حول شخصية جعفر بن الحسن ، هذا ، ان امهات كتب التراجم اغفلت ذكره ، مثلا ، (غاية النهاية ١ / ١٩١ - ٢٠١ ترجمة من اسمه جعفر » لم تذكره بينهم ، كذلك اغفله ابن خلكان في الوفيات وخلا من ذكره مروج الذهب ، والشذرات وطبقات ابن سعد ايضا لم تترجم لمن يحمل مثل هذا الاسم ، وبهذا نستطيع ان نزعم ان هناك تصحيفاً في نص الجاحظ وندع تحقيق هذا النص لخروجه عن مهمتنا .

صيرورة هـذا الاتجاه اختصاصاً ، فوجدت حلقات اختصت بعلوم معينة فصار بعض الدراسين يختار ما يميل اليه من دراسات ، كحماد بن سلمة كان « يمر بالحسن البصرى في الجامع ، ويدعه فيـذهب الى اصحاب العربية يتعلم منهم »(١) .

كان المسجد ملتقى الدارسين ومتحلقهم في الاعم الاغلب ، فيونس بن بن حبيب كانت له حلقة «ينتابها اهل العلم وطلاب الادب وفصحاء الاعراب والبادية »(٢) . وهذا يعني ان مثل هذه الحلقة كانت تمارس التعليم بصورة مزدوجة ، وان التعليم لم يكن على عاتق شيخ الحلقة وحده ، فربما اشترك معه بعض الوافدين بان يُسئلوا فيجيبوا ، وبعض هذه الحلقات كانت تعمر طويلا احيانا ، بقدر ما يعمر شيخها ، يقول ابو عبيدة « جلست الى يونس اربعين سنة املأ كل يوم الواحي من حفظه »(٣) . وهذا يعنى ايضا ، ان الشيوخ كانوا يملون على تلامذتهم ، وان العلوم كانت تدون ، عما يجعل بعض الحاضرين يفاضل بين خطوط الطلاب ، قال الاصمعي : « كان شيخ من الكتاب يجالسنا عند ابي عمرو بن العلاء ، فنظر الى رجل قد جاد خطه فقال : قد ضاع خطك وارتفع : أى ظهر وجاد »(٤) .

ويبـدو ان بعض التلاميذ كانوا يختصون بحلقات معينة وشيخ معين يلازمونه ولا يفارقون مجلسه ، رُوى عن ابي عمرو انه قال «مرة : لقد كثر هـــذا المحدث وحسن حتى لقد هممت أن آمر فتياننا بروايته »(٥) ،

(١) ياقوت ، معجم الادباء ٤ / ١٣٥ . (٢) السيرافي ، اخبار النحويين ٢٧ ، ابن النديم ، الفهرست ط . مصر ٤٩ . (٣) ابن خلكان ، الوفيات ٦/٢٤٢-٤٤٦ . نصار ، د . حسين ، يونس بن حبيب ١٤٨ ، وقد رجح هذه الرواية معللا اياها بان يونس كان من المعمرين . (٤) اليغموري ، نور القبس ١٥٧ .

(٥) الجاحظ ، البيان والتبين ١/ ٣٢١ ، البغدادي ، خزانة الادب / ١٣ .

ويقصد شعر الفرزدق وجرير .

هناك نص رواه الزبيدى ، ويستلفت الانتباه ، اذ نقل عن الاصمعى انه قال : « كان ابو عمرو بن العلاء يوسع لي وربما حلف الا يخيرني بحرف حتى آكل وكانت ابنته تجيء وتجلس عندنا في مجلسه . . »(١) ، وبطبيعة الحال لا يمكن ان يكون هذا المجلس في المسجد ، فمن المستبعد ان يتناول الشيخ طعامه في المسجد ، اوان تحضر فتاة هناك ، فكانت هذه الحلقة في بيت او مكان خاص ، ومن هذا النص يمكن ان نستدل على بدء استقلال الدراسات عن المسجد ، وبدء تكوّن المدارس الخاصة التي لم تشع الا في القرن الرابع على عهد البويهين .

٣ ـ الاسواق

بدأت الاسواق تقام عند العرب لاغراض تجارية محضة ، وتحولت بمرور الزمن الى ميادين للتفاخر وحل المنازعات ، بل وخلق مشاكل جديدة ، وهذه المهام ، كانت غالباً ماتستدعى انشاد الشعر ونقده ، فاصبحت الاسواق تؤدي مهام تعليمية غير مقصودة ، وكان اشهرها سوق عكاظ .

جـاء الاسلام فانقرضت اسواق ونشأت اخرى في امصار جديـــدة "مصرّت ، كان منها البصرة ، وكان مربدها اهم واشهر سوق في عصره ، ولعله كان الاوحد في مصره .

كان الدارسون من علماء البصرة ، يقصدون المربد . بهدف التعلم من اعرابه ورواده ، وهؤلاء الرواد من فصحاء البدو وشعرائهم ، لم يكونوا يهدفون الى التعليم بطبيعتة الحال ، فكان همهم الحصول على حوائجهم ، او انشاد ما نظموا مفاخرين او مادحين اوهاجين ، فيجتمع الناس يسمعون وقد يكون

(١) طبقات اللغويين ٣٢ .

بينهم بعض العلماء والشعراء البارزين .

« وقف ذو الرمة ينشد قصيدته التي يقول فيها :

إذا ارفضَّ اطرافُ السياطِ وهلتلت

جرومُ المطايا عذبتهنَّ صيدحُ

قال : فاجتمع الناس يسمعون ذلك بالمربد ، فوقف الفرزدق وذو الرمة ينظر اليه حتى فرغ »(١) .

وكان الناس احياناً يعملون على اثارة النزاع ، بين شاعرين متهاجيين كما فعلوا بالفرزدق وجرير ، « وقف جرير بالمربد وقد لبس درعاً وسلاحاً تاماً . . . فبلغ ذلك الفرزدق فلبس ثياب وشي ، وقام في مقبرة بني حصن ، ينشد بجرير والناس يسعون بينهما »(٢) .

لقد التفت شيوخ البصرة الى أهمية دور المربد في المجال العلمي وما يمكن أن يؤديه من فائدة في هذا الميدان ، فكانوا يحضرونه ويحثون طلابهم على حضوره لانه مجمع القبائل العربية ، وفيه يمكنهم دراسة لهجاتها ولغاتها واساليبها ، قال الاصمعي : « كنت واقفاً بالمربد ، واذا أنا بأبي عمرو بن العلاء فلما بصر بي قال اليَّ فقال : ما وقوفك هنا يا أصمعي ؟ قلت اني احب المربد واكثر الجلوس فيه فقال : الزمه فانه يشدّ النظر ويجلو البصر ويجمع بين ربيعة ومضر »(٣) .

لم يكن موقف الشيوخ في المربد سلبياً ، ينتظرون ما ينشد او يتفوه به الاعراب ، بل كانوا يسألون عما يواجههم من مشاكل لغوية، ونحوية ، أو يسألون الشعراء عن آخر ما نظموه متصيدين اللفظة والجملة والاسلوب ،

(١) المرزباني ، محمدبن عمران بن موسى ، الموشح ،القاهرة ١٩٦٥ص٢٧٤ .

(٢) ابوعبيدة، معمر بن المثنى،نقائض جرير والفرزدق، ليدن١٩٠٥ ٢/٦٥٠ .

(٣) الشريشي ، شرح المقامات الحريرية ٢ / ٢٥٥ .

وقديكون أحد الشعراء قد انتحل قصيدة اعجبته فيترصده الدارس ليعلمه انها ليست له ، وهنا تبرز اصالة الشيخ العلمية ، فابو عمرو بن العلاء ، مع ما عرف عنه من علاقة وطيدة بالفرزدق ، لا تحرجه هذه العلاقة من ان يصارح صديقه الفرزدق بانه قد انتحل ابياتا للمتلمس ، قال ابو عمرو : « لقيت الفرزدق في المربد فقلت : يا أبا فراس ، احدثت شيئاً ؟ فقال خذ ثم انشدني :

كم دون مَيَّةَ من مستعملٍ قذفٍ

ومن فلاةٍ بها تستودع العيسُ » (١)

فاخبره انها للمتلمس وليست له ثم رجاه الفرزدق أن يكتمها * .

ويبدو ان العناية التي اولاها الدارسون للمربد ، جعلت الاهتمام بالشعر ونقده غير مقصور على الدارسين وحدهم ، فشاركهم في ذلك بعض المشهورين من الاعراب ، وأخذوا ينقدون الشعر ويقوّمونه ، وصار الناس يهتمون بحضور مثل هؤلاء الاعراب ، حضر محمد بن مناذر المربد ، وهو بدوي مشهور ، وسأل يموت العبدي عن شاعر العراق يومذاك ، فاجابه انه الحسن بن هانيء ، وتأفف ابن مناذر من أهل العراق لانهم صيّروا شاعرهم أبا نواس الذي يقول :

شربنا ابدا صرفاً على وجهكِ بالكوزِ (٢)

(١) المرزباني ، الموشح ١٧٦ .

* يغلب طابع الوضع على هذه الرواية ، فشعر المتلمس مشهور لقلته ولعناية الدارسين به لانه جاهلي ، وليس من المعقول ان ينتحله مثل الفرزدق ويعلن مثل هذا العمل في مثل بيئته المربد ، وامام مثل أبي عمرو، وما استشهادنا بها الا لانها رواية تاريخية ! ! !

(٢) المرزباني ، الموشح ٤٤١ .

٤ ـ المجالس الخاصة :

لم يكن حديث مجالس المتنفذين وذوي السلطة مقتصراً على الشؤون العامة فحسب ، فغالبا ما كانت تدور فيها أحاديث ومناقشات تتناول المسائل العلمية ، فيدلي فيها ، كل برأيه عالما كان أو متعلما ، وكانت لموم العربية من مواد أحاديث المجالس .

لم يختص بمثل هذه المجالس عصر معين ، فقد وجدت في مختلف العصور ، وكان كثير من أولي الامر يرحبون بالعلماء ويشجعونهم على المناظرات والمناقشات في موضوعات شتى ، كما كان خالد بن يحيى البرمكي (١) يفعل ، فقد كان الدارسون يحضرون مجلسه ، وكان هو وغيره يعرضون مسألة ويطلبون إلى الدارسين الاجابة عنها ، فيدلون بآرائهم وقد يحتدم الجدل بينهم ، ويطول النقاش ، وينتهي بغلبة بعضهم ، فيكون ذلك حافزاً للمغلوب ان يكمل ما ينقصه ، قيل ان بلال بن أبي بردة حاكم البصرة ، ايام هشام بن عبد الملك ، جمع بين أبي عمرو بن العلاء وابن أبي اسحاق ، وكان ابن أبي اسحاق شيخا وأبو عمرو دونه سنا ومنزلة ، فغلب ابن أبي اسحاق في موضوع الهمزة ، فانكب أبو عمرو على هذا الموضوع حتى نبغ فيه وصار حجة ، يقول أبو عمرو « . . فجعلت اقبالي على الهمز حتى ما كنت دونه . . . » (٢) .

واحياناً ، يلحن أو يخطيء أحد الحضور فيتصدى أحد العلماء لتصحيح الخطأ ، أو تقويم اللحن ، كما فعل النضر بن شميل مع المأمون في مسألة

(١) المسعودي ، مروج الذهب ٣ / ٣٧٩ .

(٢) الزجاجي ، مجالس العلماء ، ٢٤٣ مجلس ١١٣ . السيرافي ، اخبار النحويين ٢٠ .

السَّداد والسِّداد (١) . واحيانا كانت تدور في مثل هذه المجالس مناقشات يشترك فيها اكثر من عالم حول موضوع يطرح آنيا ، من قبل أحد الحاضرين ، فيدلي كل برأيه ، ومثل هذه المناقشات هي الى المناظرات أقرب ، الا ان المناظرات غالبا ما تحمل طابع التخطيط والتصميم ، « قال اليزيدي اجتمعت مع الكسائي عند المهدي ، فقال : كيف نسبوا إلى البحرين ؟ فقالوا بحراني ، ونسبوا إلى الحَصَنَيْن فقالوا حصني ولم يقولوا حصناني ؟ قلت : اصلح الله الامير ، انهم لو نسبوا إلى البحرين فقالوا بحرىّ لم يُعرف أإلى البحرين نسبوه أم الى البحر ، ولما جاؤا إلى الحَصَنين ، لم يكن موضع آخر يقال له الحصن ينسب اليه غير الحصنين فقالوا حصني . . . [و] قال الكسائي : لما نسبوا إلى الحصنين كانت فيه نونان فقالوا : حصني اجتزاء باحدى النونين من الاخرى ، ولم يكن في البحرين الا نون واحده فقالوا بحراني . . . [فقلت] كيف ينسب رجلاً من جنان ؟ يلزمه ان يقول جنيّ لان في جنان نونين . فان قال كان ذلك فقد سوى بينه وبين المنسوب إلى الجن . . » (٢) .

والمناقشة كما نرى ـ اعتمدت التخريج العقلي المحض لتعليل النسبة .

٥ ـ المناظرات :

وهي مناقشات كانت تدور بين الدارسين بتصميم وتخطيط سابق ، وبدوافع كثيرة منها ما كان علميا محضا ، ذا وجهات نظر يقتنع بها أصحابها ويرجعون عنها حين يتبين لهم الخطأ ، ومنها ما كان مبنياً على دوافع ونوازع شخصية أو اقليمية أو سياسية .

(١) الحريري ، درة الغواص ١٠٦ .

(٢) اليغموري ، نور القبس ، ٨١ .

فالمناظرات كانت صورة من صور المنهج العقلي المحض ، انتهجه المتناظرون فدافعوا عن آرائهم بكل ما أوتوا من علم ومن قدرة على الكلام والتخريج والتعليل وسوق الشواهد ، بل وحتى تحويرها أو وضعها .

أما متى بدأت المناظرات * فامر يحمل من الصعوبة شيئاً كثيراً ،

* قال الدكتور عبد الفتاح شلبي : « كان من مظاهر النشاط النحوي هذه المناظرات التي دارت بين النحاة في وقت مبكر ، حتى ان يزيد بن الحكم الذي عاش زمن عبد الملك بن مروان يهجو النحويين فيقول :

اذا اجتمعوا على ألف وواو ... وياء هاج بينهم جدال »

قال هذا النص في كتابه : أبو علي الفارسي ص ٤٥٩ .

لقد وقع الدكتور في وهم ، نقضه في كتابه في اكثر من موضع ، وهو استدلاله بان النشاط النحوي أيام عبد الملك (٦٥ ـ ٨٦ هـ) لم يتعد النشاط البدائي ، وبالتالي فلم تكن هناك مناظرات نحوية ولا نحاة اختصوا بالنحو ، لسبب بسيط هو ان النحو لم يكن قد استقل بعد ، عن علوم العربية ، أولاً ، وثانيا : لعدم وجود عالم تنسبت إليه مناظرات لا في النحو ، ولا في اللغة ، عاش في تلك الحقبة من الزمن .

على ان نسبه البيت إلى يزيد بن الحكم ، والذى اقتبسه الدكتور من خزانة الادب ، تبدو ، بل تظهر نسبة منحولة ، والبيت لعبت به وحورته أهواء الرواة .

لقد عنّ لنا ان نتتبع هذا البيت ونسبته في المضان الادبية بغية ان نتأكد من ذلك ، ومن امكانية وجود مناظرات نحوية آنذاك لكي يصحّ استدلال الدكتور فنقتنع به .

وجدنا ان أقدم من ذكر بيتا شبيها بهذا البيت هو المرزباني (ت٣٨٤هـ) فذكران ابن أبي اسحاق « كان يقول : قدآذاني الفترخانيون : والفترخة=

نظراً لبدايتها الفطرية المختلطة بالسؤال والجواب ، أو طرح رأى وانتظار

=المبالغة في الشيء والتعمق فيه وانشد اعرابي :

يصـــد الفترخانيون عني ... كما صدت عن الشرط الجوالي

إذا اجتمعوا على ألف وبـاء ... فبالك من قتال أو جدال »

لقد ذكر هذا النص ، الحافظ اليغموري في نور القبس ص ٢٤ نقلا عن مختصر كتاب المرزباني المفقود ، فالنص يصرح بنسبة البيتين إلى اعرابي وليس إلى يزيد ، كما ان سياق الرواية يوحي بان ابن أبي اسحاق لم يتمثل بهما ، ولم يستشهد ، وان المرزباني هو الذي استشهد بهما تفسيراً لكلمة « الفترخانيون » الواردة في قول ابن أبي اسحاق ، كذلك نجد ان البيت الثاني قد يحمل معنى بعيداً عن ميدان النحو والنحاة فروايته كانت على « ألف وباء » وقد يراد بها الاجتماع على سلسلة الحروف كناية عن الجدل أو عن العلم والتعلم أو غيرها .

جاء الحريري بعد ذلك ، (ت ٥١٦) فنقل حكاية عن الاصمعي انه « قال : أنشدني عيسى بن عمر بيتا هجا به النحويين وهو :

إذا اجتمعوا على ألف وبـاء ... وتـاء هـاج بينهم قتـال »

درة الغواص ١٧٢ ـ ١٧٣ ، فكان الاجتماع في هذه الرواية على ألف وباء وتاء وهي سلسلة الحروف صريحة وسلسلة الحروف لا يختص بها النحويون .

أما البغدادي صاحب الخزانة (ت ١٠٩٣ هـ) فقد قال : « قال يزيد ابن الحكم يذكر النحويين :

إذا اجتمعوا على ألف وواو ... وياء هاج بينهم جـــدال »

خزانة الادب ١ / ٥٣ ـ ٥٤ ، فنسب البيت إلى يزيد صراحة كما ان البيت نص على حروف المد وليس سلسلة الحروف مما يلصقه ببحوث=

ما يعارضه ، وتلك الصور خلت من عنصر التخطيط كما خلت من الجدل والتفلسف فيه ، قيل ان الاخفش وسيبويه كانا قد تتلمذا سويه ، فناظر الاخفش سيبويه في مسألة « بعد ان برع ، فقال له الاخفش انما ناظرتك

= النحو واللغة بصورة أوضح من روايتيه السابقتين ، ومن هنا أخذه الاستاذ شلبي وأستدل به .

لقد وجدنا بعض المصادر الادبية تتجاهل هذا البيت وقد تغفل يزيد ابن الحكم نفسه مما يجعل في حكم المؤكد ، أن البيت من صنع عصر تأخر عن عصر يزيد بن الحكم . كثيراً .

١ ـ تجاهل المرزباني يزيد بن الحكم ، فلم يذكره أو يذكر شيئا من شعره ، بين الشعراء الذين ضمهم معجمه .

معجم الشعراء ، ص ٤٧٨ ـ ٤٨٤ ، « ذكر من اسمه يزيد » .

٢ ـ اغفل ابن سلام يزيد بن الحكم وشعره ، فلم يضعه في طبقة من طبقاته .

ابن سلام ، طبقات الشعراء .

٣ ـ ذكر المبرد ، في الكامل ، بضعة أبيات ليزيد بن الحكم كشواهد ، ولم يكن بينها مثل هذا البيت .

٤ ـ ترجم الاصفهاني ليزيد بن الحكم ، وذكر طرفاً من أخباره وشعره ، لم يكن بينها هذا البيت أومايشبهه ، كما لم يذكر له خبراً يمس النحويين من قريب أو بعيد . الاغاني ج ١١ / ١٠٠ ـ ١٠٥ .

٥ ـ تجاهل ابن قتيبة يزيد بن الحكم ، فلم يذكره في أي من أخبار ونوادره ولم يستشهد باي شعر له .

عيون الاخبار ، ج ٤ / ٢٢٣ ـ ٤٤ ، فهرس الاعلام وفهارس الشعر .

٦ ـ لم يورد القالي في اماليه ، هذا البيت بأي من رواياته . =

لاستفيد لا لغيره ، فقال سيبويه : أتراني أشك في هذا ؟ »(١) .

ان الامر الذي يمكن تأكيده ان نضج المناظرات وصيرورتها فنا عقليا ذا منهج مبتنى على قدرة المناظر العقلية ، ومايتمتع به من بديهة وسرعة خاطر ودقة ملاحظة ، بالاضافة إلى الثروة العلمية التي تمكنه من ادارة دفة الجدل وتزوده بمادته ، ان هذا النضج قد تساوق مع دراسات اللغة والنحو من جهة ، ومع نمو ونضوج علم الكلام واطراد تأثيره في هذه الدراسات ، من جهة ثانية ، فالمناظرات معهد متأخر زمنيا عن المعاهد الاخرى .

كانت بعض المناظرات علمية محضة ، مبنية على اختلاف وجهات النظر، قيل ان أبا زيد أجاز « رثَّ الثوبُ وأرثَّ ، وأبى الاصمعي الا أرثَّ. ثم رجع فاجاز رثَّ وأرثَّ رثاثة ورثوثة »(٢) ، وكذلك مسألة « أمن

(١) السيرافي ، أخبار النحويين ٣٨ .

(٢) السيوطي ، المزهر ٢ / ٣٢١ .

= ٧ ـ ذكر أبو تمام أربعة أبيات عينية ليزيد بن الحكم ، وشرحها المرزوقي ، كذلك ذكر له ثلاثة وعشرين بيتا ميميا ، أغلبها في الحكم والامثال ، أولها :

يا بدر ، والامثال يضربها لذي اللبِّ ، الحكيمُ

دم للخليل بسودَه ما خيرُ ودٍ لا يدومُ

ولم يتطرق المرزوقي لأي من أخبار يزيد ، مما يمس النحو والنحاة ، كذلك لم يورد ما يشبه البيت المدروس .

ديوان الحماسة لابي تمام ، ج ١ / ٢٣١ ـ ٢٣٤ ، ج ٢ / ١١٩٠ ـ ١١٩٨ .

زينبَ ذي النارَ . . . » بين الاخفش والمازني (١) ، وأحياناً تكون المناظرة حاملة لوجهات نظر أكثر من وجهة نظر المتناظرين ، فهي أشبه بالمناقشة ، يحاول المتناظرون فيها تحكيم من يتوسم فيه القدرة على الحكم ، والاستجابة لحكمه ، ومن ثم الاذعان حين الوصول إلى وجهات نظر معقولة ، تنقل عن أبي حاتم انه قال : « قال لي أبو زيد الانصاري : سألني الحكم بن قنبر عن تعاهدتَ ضيعتي أو تعهدتَ ، فقلت : تعهدتُ لا يكون الا ذلك . قال : فقال لي فاثبت لي على هذا ، إذا سألك يونس فقل نعم ، وكان الحكم بن قنبر سأل يونس فقال : تعاهدت . قال : فلما جئت سأله فقال يونس . . تعاهدت ، فقال أبو زيد ، فقلت لا ، وكان عنده ستة من الاعراب الفصحاء ، فقلت سل هؤلاء ، فبدأ بالاقرب إليه فالاقرب فسألهم واحداً واحداً ، فكلهم قال : تعهدت ، فقال يا أبا زيد: ربَّ علم كنتَ سببه » (٢) .

وأحيانا يجتمع الدافع الشخصي مع التعصب الاقليمي في اشعال أوار المناظرات فتتصل سلسلة منها ، فالاخفش حاول الانتقام لسيبويه بعد المناظرة الزنبورية ، فتحايل على الكسائي حتى ناظره ، يقول الاخفش : « سألته عن مائة مسألة فاجاب بجوابات خطأته في جميعها ، فاراد أصحابه الوثوب علي فمنعهم ، ولم يقطعني ما رأيتهم عليه عما كنت فيه .. » (٣) .

وأحيانا كثيرة تخرج المناظرة عن الخط العلمي إلى خط جدلي محض فتفقد المضمون والمحتوى ويتبقى منها ، فقط ، الهيكل الجدلي مسيّراً في مسارب عقلية قوامها السفسطة المنطقية ، وصار المتناظرون يهدفون إلى ان يوقعوا خصومهم في الحيرة ويورطوهم من خلال حججهم ، وبذا ادخل علم النحو

(١) الحلبي ، مراتب النحويين ٧٧ ، العسكري ، شرح ما يقع فيه التصحيف ١ / ٨٩ . (٢) السيرافي ، اخبار النحويين ، ٤٢ .
(٣) ياقوت ، معجم الادباء ٤ / ٢٤٣ ـ ٢٤٤ .

واللغة في متاهات ابعدت هذه الدراسات إلى ميدان لا صله لها به .

ويغلب على الظن . ان مثل هذه المناظرات كانت من العوامل التي دفعت بالدارسين إلى التزود بالدراسات الفلسفية ، طلبا للمكنة في الجدل والقطع .

٦ ـ البادية :

عُرفت البادية معهداً ضمَّ إلى جانب هدف التعليم ، هدف التربية التي تاق اليها المجتمع العربي المتحضر ، منذ ما قبل الاسلام ، ولعل تربية النبي ـ ص ـ وارضاعه في بادية بني سعد مثال واضح على ذلك . لقد ظلت البادية محتفظة بهذه الاهمية ففي العصر الاموي ، ندم عبدالملك لانه لم يرسل ابنه الوليد إليها (١) ، وحين وجد الرشيد ابنه المعتصم يتهرب من الكتّاب ويمقت المكث فيه « وجهه إلى البادية فتعلم الفصاحة وكان أمياً » (٢) .

كان شيوخ البصرة يدركون أهمية البادية لدراساتهم ، فكانوا يتوجهون إليها ويشافهون الاعراب فيها ، أو يسمعون ويدونون ما يسمعون ، وكانت بوادي نجد والحجاز وتهامه مقصد العلماء والدارسين ، كان الخليل بن أحمد الفراهيدي واحداً من العلماء الذين أفادوا من البادية (٣) ، كذلك فعل أبو الخطاب الاخفش الكبير (٤) ، وأبو زيد الانصاري (٥) ، ويونس بن حبيب (٦) ، وأكثرَ الاصمعي من التدوين في البادية حتى قيل له :

(١) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٢ / ٤٣٩ .
(٢) أيضاً ٢ / ٤٤٠ . (٣) الانباري ، ن . م ، ٦٩ .
(٤) السيوطي ، البغية ، ٢ / ٧٤ .
(٥) السيوطي ، المزهر ، ٢ / ٤٠٢ ، القفطي ، انباه الرواة ، ٢/٣٣.
(٦) ياقوت ، معجم الادباء ٦ / ٣١٠ ـ ٣١٢.

ما أنتَ إلا الحفَظَةَ تكتبُ لفظَ اللتفظة (١)

كانوا يأخذون عن القبائل الضاربة في قلب الجزيرة ممن وصفوهم بـ « حرشة الضباب وأكلة اليرابيع »(٢) ، واهملوا لغات القبائل القاطنة في أطراف الجزيرة ، بحجة اختلاط لهجاتها بلغات غير عربية ، ومن هنا كانت نظرتهم إلى فصاحة القبائل واصالة لغتها فقالوا : أن « افصح العرب علياً هوازن وسفلى قيس » (٣) ، وخصوا قريشا فتحدثوا عن فصاحتها كثيراً (٤) ، ورتبوا القبائل في منازل للفصاحة فقالوا : « كانت قريش أجود العرب انتقاءاً للافصح من الالفاظ واسهلها على اللسان عند النطق، [والذين] بهم اقتدى وعنهم أخِذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم قيس وتميم وأسد . . . وعليهم اتكِل في الغريب وفي الاعراب والتصريف ، ثم هذيل وبعض كنانه وبعض الطائيين » (٥) .

وكان هذا المنهج قاصراً اذ أهمل لغات ولهجات أخرى كانت متداولة معروفة فأسهم في نسيانها والقضاء عليها .

(١) السيرافي ، أخبار النحويين ، ٥٢ .
(٢) ابن النديم ، الفهرست ، ط مصر ، ٩٢ .
(٣) الرازي ، الزينة ، ١ / ١٤٥ .
(٤) السيوطي ، المزهر ، ٢ / ٢٠٩ ـ ٢١٠ .
(٥) السيوطي ، الاقتراح ، ١٩ .

الاتجاهات النحوية :

اصطلح الباحثون على اتجاهي البصرة والكوفة ، في دراستهم للغة والنحو ، بالمدارس النحوية ، فجاؤا بتعاريف مختلفة المضامين ، مختلفة في ما تعنيه باصطلاح المدرسة ، ولنأخذ تعريفين منها يمثلان غاية البون بين هذه التعاريف .

قال الدكتور المخزومي في معرض كلامه عن الكسائي ومدرسته : « ليست المدرسة الا استاذاً مؤثراً وتلاميذ متأثرين وقد اجتمعوا على تحقيق غرض موحد ونهجوا للوصول إليه منهجا جديداً » (١)

وقال الدكتور الانصاري : ان المدرسة النحوية هي : « اتجاه له خصائص مميزة ينادي بها فرد أو جماعة من الناس ثم يعتنقها آخرون »(٢).

فالتعريف الاول يفترض وجود استاذ ذا تأثير يمكنه من ايجاد الصدى في نفوس طلابه ليتأثروا به ويعتنقوا آراءه ، فيحققوا غرضا كانوا قد هدفوا إليه ، سالكين منهجا يختلف عن المناهج السابقة التي يفترض وجودها منطوق التعريف نفسه ، بالاضافة إلى ان التعريف يوحي بوجود الاستاذ والتلاميذ متعاصرين .

أما التعريف الثاني فيعرّف المدرسه بانها اتجاه يحمل سمات وخصائص تميزه عن غيره من الاتجاهات الاخرى ، وهذا الاتجاه قال به فرد أو جماعة ثم تبعهم آخرون .

فهل ينطبق التعريفان ، أو أحدهما ، على الاتجاه البصري والكوفي في آن واحد ؟ .

(١) مدرسه الكوفة ١٠٦ . (٢) الفراء ومذهبه ٣٥٢ .

ان تعريف الانصاري يمكن ان يضم تحت منطوقه الاتجاه البصري في الدراسات النحوية أكثر من امكانية احتواء الاتجاه الكوفي في هذه الدراسات على حين نجد تعريف الدكتور المخزومي بعكسه ، يحتوى الاتجاه الكوفي اكثر من البصري ، بمنطوقه .

ومع ذلك فقد كان الباحثان الفاضلان يبحثان في اتجاه نحوي واحد، بحث الانصاري نحو الفراء ومذهبه البغدادي وتأسيسه له (١) ، على حد اصطلاحه ، وأورد الدكتور المخزومي ذلك التعريف ، حين بحث اتجاه الكسائي في النحو ، ولا يخفى ان الكسائي كان من شيوخ الفراء المؤثرين فيه ، وكلاهما كان من دعاة الاتجاه الكوفي في النحو .

ان اختلاف نشأة هذين الاتجاهين واختلاف منهجيتهما وغرضهما ، يجعل من الصعب ، ان لم نقل من المستحيل ، ان يتعرفا بتعريف يضمهما في آن واحد .

فنشأة الاتجاه البصري تختلف عن نشأة الاتجاه الكوفي ، باختلاف العوامل المسببة له ، وباختلاف طبيعة مجتمع كل مصر واكثريته العرقية ومصالحه الاقتصادية والسياسية ، كثر الموالي في البصرة وقلوا في الكوفة. فكانت حاجة أغلبية المجتمع في البصرة غيرها في الكوفة ، وكانت الحاجة في البصرة ملحة لوضع أسس وقواعد يسير عليها من يجهل اللغة العربية وأساليبها ، فوضعها علماء البصرة بعد استقراء طويل إلى ان تبلور ذلك الاستقراء في عهد الخليل ، ومن هنا كانت البصرة قد « وجهت خطة تعليم العربية إلى اليوم » (٢) بسبب منهجها التعليمي ، وليس لان نحوها

(١) أيضا ٣٥١ ، ١٦٥ ـ ١٦٦ .

(٢) الخولي ،امين ،مناهج تجديد النحو والبلاغة والتفسير والادب ،القاهرة ١٩٦١ ص ٨١ .

كان فلسفياً (١) ، فالفلسفة والمنطق لم يذرا بقرنهما في الاتجاه البصري ويوجهانه الا بعد دخول الكوفة ميدان هذه الدراسات ونشوء التنافس والصراع العلمي بينهما ، ومن ثم نشوء حاجة أخرى ، هي حاجة كل مصر في الرغبة بالغلبة والتفوق على صنوه ، أما الكوفة فكانت أغلبيتها عربية وطبيعة الاشياء تقضي بان من كان يجيد اللغة وأساليب التعبير سليقة ، ليس بحاجة إلى وضع قواعد أولية يتعلم بها اجادة اللغة بل هو بحاجة إلى زيادة في الفهم وعمق في ادراك « فروق اللغة وتعبيرات أهل البادية في أشعار الجاهلية ونحوها . . . »(٢) ، ومن هنا اختلفت منهجية كل مصر في دراساته ، في أبرز وجوه منهج الدراسة والبحث ، أعني في القياس ، ذلك ان البصريين قاسوا على الشائع العام وقاس الكوفيون « على الشاذ الذي لا يجوز الا في الضرورة [وجعلوه] أصلاً » (٣) ، فتمسكوا بالنصوص الشعرية والنثرية امعاناً في التتبع اللغوى (٤) .

أما أثر البيئة ، بكل جوانبها ، في نشوء كل اتجاه فبيّن واضح ، ذلك ان جنوح الاتجاه البصري إلى التعليل ، ومن ثم الايغال فيه فيما بعد ، هو نتيجة طبيعية لمنحاه التعليمي ، وطبيعة المتعلم ، طلباً لزيادة الفهم ، ان يلح في السؤال وان يبحث في الاسباب ، لم رفع الاسم في هذه الجملة ولم نصب في تلك ولم ولم . . .

اما الاتجاه الكوفي فكان في غنى عن ذلك ـ في الاعم الاغلب من بحوثه ـ فلم يجنح إلى التعليل ولا أوغل فيه ، وبالاضافة إلى انتفاء الحاجة التعليمية منه ، كانت البيئة الكوفية بيئة يغلب عليها الطابع الفقهي ، فتأثر اتجاهها به .

(١) أيضا ، ص ٨١ .

(٢) بروكلمان ،تاريخ الادب ،١٩٦/٢

(٣) شلبي ، أبو علي الفارسي ، ٢١٩ .

(٤) المخزومي ، مدرسة الكوفة ٣٦٦ .

قيل ان الكسائي سئل عن أحوال «أيّ» فوافق البصريين في موصوليتها ✻ وانها مثل « منّ » و « ما » ، ولم يجز اعرابها ، فسئل عن ذلك ، فلم يؤول أو يعلل بل قال ببساطة واضحة : « أيّ كذا خلقتُ » (١) ،ولو تذكرنا تعريف الفقهاء للحكم الجعلي بانه حكم جُعل هكذا ، لتبين لنا أثر البيئة الفقهية الغالبة في الكوفه على نشؤ اتجاهها في دراسة النحو واللغة .

تاريخ الاتجاهات النحوية :

واختلف الباحثون في زمن نشوء هذه الاتجاهات مثلما اختلفوا في تعريفها ، وذهب بعضهم أبعد من ذلك فنفى وجود بعضها .

رأى بعضهم أن ابن أبي اسحاق هو « أول النحاة البصريين بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة » (٢) ، ورأى باحث آخر ان أبا عمرو بن العلاء هو « مؤسس مدرسة البصرة » (٣) ، وكان رأى استاذنا الدكتور المخزومي ان الخليل كان رأس المدرستين النحويتين الكوفية والبصرية (٤) ، وانه « واضع علم النحو بمعنى انه واضع المنهج لدراسته دراسة علمية منظمة، أو على الاقل هو زعيم المدرسة النحوية القياسية التقعيدية » (٥) .

✻ خالفه بعض تلاميذه في هذا الرأي ، المغنى ١ / ٧٧ .

(١) السيرافي ، أخبار النحويين ٢٧ ، الزجاجي ، مجالس العلماء ٢٤٤ مجلس ١١٤ .

(٢) شوقي ضيف ، المدارس النحوية ١٨ ، ٢٢ .

(٣) بلاشير ، تاريخ الادب ١ / ١١٧ ، ١ / ١١٨ .

(٤) مدرسة الكوفة ٥٧ . (٥) الخليل ٦١ .

وان مدرسة البصرة ، تؤرخ باعمال سيبويه (١) .

وقال باحث آخر : « بفضل سيبويه تكونت مدرسة البصرة واستقرت قواعدها وتحددت مناهجها وتميزت مسائلها » (٢) ، على حين ذكر بروكلمان ، انمدرسة البصرة تبدأ بعيسى بن عمر الثقفي استاذ الخليل(٣) .

وأرخوا الاتجاه الكوفي ، بالرؤاسي (٤) ، وأدلى أحد المستشرقين برأي حمل الطرافة والجهل معا ، فزعم ان الدروس النحوية بدأت في الكوفة بعد قرن من بدايتها في البصرة ، وذلك على يد معاذ بن مسلم الهراء الذي كان معلماً لابناء عبد الملك بن مروان (٥) ! !

وقال الدكتور المخزومي ان مدرسة الكوفة تؤرخ باعمال الكسائي(٦) وان الكسائي والفراء كانا « عماد المدرسة الكوفية » (٧) ، على حين ذهب الدكتور الانصاري إلى « ان الفراء . . . كان يؤسس مذهباً خاصاً به ، هو المذهب البغدادي » (٨) فهو « المؤسس الحقيقي للمذهب البغدادي » (٩) ، ورأى باحث آخر أن مدرستي الكوفة والبصرة احتفظتا « بوجودهما المنفصل حتى نهاية القرن الثالث ، أو وسط القرن الرابع ، وحينئذ أصبحتا مختلطتين في المدرسة الجديدة ، بغداد » (١٠) ،

(١) مدرسة الكوفة ، ٣٥٧ ، وقريب من هذا المعنى في ٦٨ ـ ٦٩ .

(٢) مكرم ، القرآن وأثره في الدراسات النحوية ٨٨ .

(٣) تاريخ الادب ١ / ١٢٨ . (٤) أحمد أمين ،ضحى الاسلام٢/٢٩٤.

(٥) اوليرى ، علوم اليونان ١٩٩ .

(٦) مدرسة الكوفة ٣٥٧ . (٧) أيضاً ،٦٨ .

(٨) الفراء ومذهبه ، ٣٥١. (٩) أيضاً ، ١٦٥ ـ ١٦٦ .

(١٠) شلبي ، أبو علي الفارسي ٤٤٥ .

وقيل أيضاً ، ان البصرة والكوفة تطورتا إلى « تكوين مدرستين متنافستين ، اتفقتا في الفكرة واختلفتا في تطبيقها » (١) ، فنشأ بينهما خلاف سَوِيٌّ « بعد أجيال عندما اندمج المذهبان وتوحدا في مدرسة بغداد » (٢) ، وهناك من ذهب إلى نفي وجود المدرسة الكوفية في النحو ، فقال : انّ « ما جاء به الكوفيون لا يمكن ان يكون نحواً جديداً ذا بناء متكامل ينخرط فيه عامة الابواب النحوية » (٣) ، ويبدو انه بنى هذا الرأي على قوله : « اننا لا نعرف كتاباً جمع فيه نحو الكوفيين على نحو ما نجد في الكتاب لسيبويه من نحو البصريين » (٤) .

أما ما دار بين علماء البلدين من خلافات فرجح بروكلمان ان « المتأخرين الذين صنفوا كتباً في الخلاف بين المدرستين هم الذين غلوا في تجسيم التناقض وتوسيع هوة الخلاف بين المذهبين فزادوا كثيراً فيما رووا من ذلك ونسبوا إلى شيوخ الكوفة بعض ما دار بين رجال البصرة أنفسهم من خلاف » (٥) ، مع اعترافه بوجود الاتجاهات الثلاثة في النحو (٦) ، وقال في مكان آخر : « لقد افترض العرب ... استناداً إلى روايات التاريخ الادبي ان الخلاف كان قائماً بين مذهبين لغويين هما مذهب البصرة ومذهب الكوفة ... [ويستطرد في آرائه فيقول :] ولكن الذي يظهر لنا ان المنافسات بين علماء هاتين المدرستين ...

---

(١) اوليرى ، علوم اليونان ... ١٩٩ .

(٢) بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلاميه ١٩٣ .

(٣) السامرائي ، د . ابراهيم ، النحو العربي نقد وبناء ٤٠ ـ ٤١ ومثله في ٤٦ ـ ٤٧ . (٤) أيضاً ، ٣٧ .

(٥) تاريخ الادب ١٩٦/٢ . (٦) أيضاً ١ / ١٢٤ ـ ١٢٥ .

قد بولغ فيهما إلى حد لا مبرر له » (١) ، وقريب من هذين الرأيين ما رآه مستشرق آخر فارجع هذه الخلافات إلى « أواخر القرن الثالث ... [وانها نشأت] عن العداوات الشخصية بين رئيسي المدرستين حينئذ ، المبرد في البصرة وثعلب في الكوفة » (٢) .

في رأينا ان بعض هذه الاحكام متأتية عن عدم فهم الاتجاهات النحوية على وجه صحيح ، فالخلافات بين المصرين وجدت قبل ظهور الاتجاه الكوفي نفسه ، ممثلة في المنافسات التي احتدمت بين البصرة والكوفة في أكثر من ميدان . ونستطيع ان نذهب أكثر من ذلك ، فنزعم ان الاتجاه الكوفي هو مظهر من مظاهر الخلافات بين البلدين ، وانه ردّ فعل مباشر للدراسات البصرية في اللغة والنحو ، ومن هنا كان اختلاف الاتجاهات في المنشأ والمنهجية والغرض .

الخصائص المنهجية في الاتجاه البصري :

١ ـ القياس :

لعل القياس ، هو المنهج الرئيس الذي طبع البحوث والدراسات البصرية بطابعه طيلة عصور ، فتدرج الاخذ به وانتهاجه من أسلوب طبيعي ساذج يقيس لفظاً على لفظ وصيغة على صيغة ، إلى ايغال وتعقيد وصلة بالفلسفة والمنطق ، بيّنه

قيل في معناه : « قاس الشيء يقيسه قيساً وقياساً واقتاسه وقيّسه ، إذا قدّره على مثاله » (٣) ، و « قاسه بغيره وعليه : يقيسه قيساً وقياساً ...

---

(١) بروكلمان ، تاريخ الشعوب ١٩٣ ـ ١٩٤ .

(٢) بلاشير ، تاريخ الادب ١ / ١١٩ .

(٣) ابن منظور ، لسان العرب ٦ / ١٨٧ باب « قيس » .

قدّره على مثاله » (١) وهو في اللغة « الحاق اللفظ بامثاله في حكم ثبت ... باستقراء كلام العرب حتى انتظمت منه قاعدة عامة »(٢) ،وتغير مفهوم القياس لدى متأخري النحاة فصار عندهم ان « القياس الصحيح [هو] الجمع بين شيئين عما يوجب اجتماعهما في الحكم كالجمع بين الاسم والفعل في الرفع بعامل الرفع » (٣) . لانهم حدّوه بـ « الجمع بين أول وثان يقتضيه في صحة الاول صحة الثاني وفي فساد الثاني فساد الاول »(٤). وقارن الجرجاني منهج القياس في اللغة بمنهجه في العلوم الاخرى ، فقال انه « عبارة عن التقدير ، فيقال قست الفعل بالفعل إذا قدرته وسويته وهو عبارة عن ردّ الشيء إلى نظيره ، وفي الشريعة عبارة عن المعنى المستنبط من النص ... وفي المنطق قول مؤلف من قضايا إذا سلمت لزم عنها ، لذاتها ، قول آخر » (٥) .

فالمعنى اللغوي للقياس قريب عما انتهجه الدارسون في اللغة والنحو ، مختلف عما انتهج في الشريعة والمنطق . وقد كان قياس قدامى النحاة ، في أغلب موارده ، يشكل استقراءاً محضاً ، كان جمعاً للجزئيات ومن ثم استنباط القاعدة منها ، بخلاف القياس المنطقي الذي كان يضع القاعدة العامة ، أو الحكم ، ومن ثَمَّ يثبتُ ما وضع (٦) .

(١) الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ٢٤٤/٢ فصل القاف باب السين .
(٢) حسين ، محمد الخضر ، القياس في اللغة ٢٧ .
(٣) الرماني ، الحدود في النحو ، مخطوطة المتحف العراقي رقم ٧٧٨ لغة ونحو الورقة ٣ ـ ٤ . (٤) أيضاً الورقة ١ ـ ٢ .
(٥) زيدان ، جرجي ، اللغة العربية كائن حي ، ط . دار الهلال لا . ت ، نص الجرجاني منقول عنه ، ص ٨٣ .
(٦) المخزومي ، الخليل ، ٦٣ ـ ٦٤ .

تاريخ القياس :

ان طبيعة المنهج البصري في الدراسات وعلاقته الوطيدة بالقرآن ، جعلت الصلة وثيقة بين الدراسات النحوية والدراسات الفقهية والتفسيرية ، ولعل الدراسات التفسيرية كانت أقدم عصراً من بقية الدراسات القرآنية ، نظراً لحاجة المسلمين إلى تفهم النص القرآني قبل نشوء حاجتهم إلى اعرابه أو بيان أحكامه ، ومن هنا يمكننا ان نعدّ سؤالات نافع بن الازرق لابن عباس ، أقدم دراسة تفسيرية في القرآن ، وأقدم منهج في تلك الدراسات ، وهي منهج قياسي محض * .

لقد تأثر الدارسون البصريون بهذه الاسئلة ، وظهر اثرها في أكثر من ميدان في دراساتهم ، فكان أبو عبيدة « إذا سئل عن شيء من القرآن ،

* قام الدكتور ابراهيم السامرائي بتحقيق ونشر سؤالات نافع بن الازرق في مجلة رسالة الاسلام الصادرة عن كلية أصول الدين (العدد ٥ـ٦ السنة الثانية ، شباط ١٩٦٩) . ونقل المبرد بعضها باسناده عن أبي عبيدة عن أسامة بن زيد عن عكرمة (الكامل ٣ / ٢٢٢ ـ ٢٢٨) كذلك ذكر بعضاً منها الرازي في كتاب الزينة ١ / ١٢٥ وما بعدها ، وفي كتاب الاتقان ، ورد اغلبها مع تصريح السيوطي بانه حذف منها بضعة عشر سؤالاً (الاتقان ١ / ١٢٠ ـ ١٣٣) ووصفها الرافعي بانها اسئلة مشهورة (تاريخ اداب العرب ١ / ٢٣٥) .

لقد شكك الدكتور طه حسين بهذه الاسئلة ووصفها بانها ساذجة وسهلة وموضوعة لغرض تعليمي ، مع انه رجح احتمال ان يكون لها أصل يسير من الواقع ، وزاد عليه المتأخرون فجعلوها رسالة كبيرة متداولة ، (في الادب الجاهلي ١٠٩ ـ ١١٠) .

أنشد فيه شعراً » (١) ، وصنف كتاب غريب القرآن على غرارها (٢) ، وسأله « رجل من الملحدين : ما معنى قول الله تعالى : « قلْ إنْ كان للرحمن ولدٌ فأنا أوّلُ العابدين » * [فقال] : العابد في قول العرب ، الانِف ، الم تسمع قول الشاعر :

وأعَبدُ أن أسبَّهم بقومي واتركُ دارِماً وبني رياحِ

. . . وكذا قول الفرزدق :

اولئكَ أكفائي فجئني بمثلِهِم

وأعَبدُ ان أهجوا عبيداً بدارِمِ » (٣)

اختلف الباحثون في تحديد الفترة الزمنية التي اخذ بها النحاة بالقياس ضمن مناهجهم الدراسية فمنهم من قال انهم لجأوا « إلى القياس منذ وضعوا أسس علم النحو » (٤) ، ومنهم من قال بان القياس « ظهر على يد نحاة البصرة قبل ان يترجم منطق اليونان » (٥) ، وانه نشأ نشأة فطرية ساذجة (٦) ، ومنهم من خطأ النحاة بانتهاجهم لهذا المنهج (٧) ، ونفى ان يكون القياس فطرياً .

لقد نظر بعض الباحثين إلى القياس من وجهات نظر أخرى ، فقالوا : « ان البصريين ، وان بنوا مذهبهم على تفكير علمي بحت ، يقوم على القاعدة والقياس المطرد والكثير الغالب في الاستعمال ، الا أنهم كانوا

(١) ابن رشيق ، العمده ١ / ١٧ . (٢) السيوطي ، الوسائل ١١٢ .

* سورة الزخرف الآية ٨١. (٣) اليغموري ، نور القبس ١٠٩ .

(٤) أنيس ، ابراهيم ، من أسرار اللغة ٨ .

(٥) مكرم ، القرآن الكريم واثره في الدراسات النحوية ٩٢ .

(٦) أيضاً ٩١ .

(٧) السامرائي ، د . ابراهيم ، النحو العربي ٢٠ .

ضيقي العطف ازاء اللغات والنوادر ، وان صحت عربيتها وثبتت روايتها ، حتى أنهم أجازوا للعربي ان يقول ما شاء ويلقي الكلام على عواهنه ، على حين منعوا غير العربي ان يستعمل في التعبير الا ما قضت به القاعدة العامة والقياس المطرد والاستعمال الغالب » (١) .

ان سبب عدم اجازة البصريين لغير العربي ان يقول ما يشاء ، بسيط وواضح ، لانه من غير الممكن والمعقول ، ان يكون كلام غير العربي ، على لغة أو لهجة عربية ، وهم طلاب علم يقعدوه ثم يعلموه لغير العربي ، أو يقوموا به لسان العربي ،

ولهذا أوجبوا اتباع القاعدة الموضوعة ليسلم القول ، اما ما اصطلح عليه الباحث بالقياس المنطقي(٢) ، إنه لم يكن منطقياً ، بل هو الاستقراء المحض ، ان الاستعمال الغالب والنوادر واللغات ، تشكل الجزئيات المكونة للقاعدة العامة التي يجب اتباعها ، وهذا هو الاستقراء .

لقد كان للمستشرقين أقوال في هذا الموضوع ، منها قول بلاشير : ان البصريين كانوا « يحاولون ادخال كل شيء ضمن قواعد ثابتة . . . يلجأون دوماً إلى القياس معتمدين علية إلى درجة الاستحالة » (٣) وقول آخر : « لا بد ان يكون نحاة البصرة قد جعلوا للقياس شأنا كبيراً في الاحكام المتعلقة بالنحو ... ولهذا سمي نحاة البصرة أهل المنطق » (٤) ،

(١) النجار ، د . عبد الحليم ، بحث بعنوان « في اللهجات العربية وأصول اختلافها » نشر في مجلة كلية الاداب بجامعة فؤاد الاول ، ج ١ / مجلد ١٥ / ١٩٥٣ ، ص ٤٧ ـ ٤٨ .

(٢) أيضاً ص ٤٧ . (٣) تاريخ الادب ١ / ١١٩ .

(٤) دي بور ، تاريخ الفلسفة ٣٨ .

وقول بروكلمان : ان المذهب البصري « يؤثر التعمق في النكات والدقائق النحوية » (١) .

ولا شك ان هذه الاقوال مستقاة من تتبع منهج متأخري النحاة البصريين ، ومن الخطأ ان يستقى حكم من مرحلة متأخرة لنمو أحد العلوم ، فيعمم على ما سبق تلك المرحلة من مراحل « ومن الثابت اننا لا نستطيع فهم شيء فهماً صحيحاً بالنظر فيه عند آخر مراحله » (٢) .

٢ ـ السماع :

كان القياس أهم خصائص الاتجاه البصري ، وكان السماع أبرز سمات الاتجاه الكوفي ، وكان لكل اتجاه دوافعه في رسم المنهج الذي احتذاه ، وكانت تلك الدوافع منبثقة عن طبيعة الدراسات في كل مصر .

يرى الدكتور الانصاري ان القياس الذي اعتمده البصريون في دراساتهم صيّرهم يعتمدون « على العقل أكثر من النقل وترتب على هذا انهم لم يلتفتوا إلى كل مسموع . . . بخلاف الكوفيين »(٣) ، فابتعاد البصريين عن السماع ـ في هذا الرأي ـ هو نتيجة اعتمادهم على العقل ، اكثر من النقل ، وهذا ينتج بدوره عن أخذهم بالقياس .

ان هـذا الرأي يبدو على شيء من الاضطراب ، فالقياس في اللغة يستلزم وجود الجزئيات التي تبنى عليها القاعدة ، ولا شك ان السماع طريق مهم من طرق جمع الجزئيات ، وسياق رأي الباحث لم يكن يدل

(١) تاريخ الادب العربي ، ٢ / ١٩٦ .

(٢) مندور ، د . محمد ، النقد المنهجي عند العرب ، القاهرة « لات » ص ١١ .

(٣) الفراء ومذهبه ٣٦٠ .

على انه يقصد السماع بعمومه ، بل ما كان يعارض قواعد الدارسين البصريين ويشذ عنها ، ومن هنا فالقياس نتيجة مبنية على الجزئيات المسموعة ولا بد ان تكون بعض هذه الجزئيات شاذة عن القاعدة العامة ، وآنذاك لا بد من طرحها وهذا ما فعله الدارسون البصريون .

وعلل باحث آخر ، الموضوع ، تعليلاً جغرافياً ، فذكر ان البصريين كانوا يكثرون من الاتصال بالاعراب الفصحاء ، لان مدينتهم على أبواب البادية ، وموقعها هذا يتيسر الاتصال بهم على خلاف الكوفة « نظراً لبعد الكوفة عن هؤلاء الاعراب المتبدين »(١) .

ولعل هذا الرأي صدى لرأي المستشرق يوهان فك ، والذي رأى فيه . أنه لم يكن سهلا على الكوفيين « ملاقاة العرب الرحل من وسط الجزيرة وشرقها وسؤالهم كما كان ذلك ميسراً لاهل البصرة ، ولذلك اعتمد العلماء في الكوفة بحكم الضرورة على انصاف المقيمين من القبائل في سواد الكوفة الذين لم يرد علماء اللغة بالبصرة الاعتراف بلغتهم على انها أصل الاحتجاج » (٢) .

وتظهر مجانبة هذين الرأيين للواقع الجغرافي والتاريخي بمجرد العلم بكيفية نشوء كل من المصرين والعوامل التي ادت إلى ذلك ، وموقع كل منهما بالنسبة إلى جزيرة العرب وبعضهما لبعض . بالاضافة إلى ذلك فان هذين الرأيين يثبتان اصالة سماع البصريين واتفاقه مع اصالة اللغة المدروسة ، وهذا أمر طبيعي فمن تيسر له الانتقاء ترك ما يرى فيه المساوىء .

ان انتقاء البصريين للمسموع بما يتفق مع قواعدهم ، وعدم أخذهم

(١) شلبي ، أبو علي الفارسي ٤٤٢ .

(٢) العربية . . . . . ، ٦١ .

بالشاذ والغريب هو أمر منبثق عن طبيعة دراساتهم العقلية ، فهم طلاب قاعدة وقانون ، لان دراساتهم كانت دراسات معلمين ، بخلاف الكوفيين الذين كانوا في دراساتهم علماءً يستكنهون دقائق علمهم .

٣ ـ التجويز :

كان البصريون يهدفون إلى وضع قواعدهم على الاعم الاغلب من الاساليب العربية في التعبير ، فما خالف هذه القواعد أولتوه أو عدّوه شاذاً وغريباً ، فقل التجويز في نحوهم وانعكس الامر لدى الكوفيين ، فجوزوا بناء صيغة « ما أفعله » من البياض والسواد من بين سائر الالوان الاخرى (١) ، وجوزوا تقديم خبر ما زال وأخواتها عليها (٢) ، وتقديم خبر ما النافية عليها وأقروا صيغة « طعامَكَ ما زيدٌ آكلاً »(٣) ، وجوزوا ترخيم المضاف بحذف آخر المضاف إليه (٤) ، كما جوزوا العطف بـ « لكن » في الايجاب (٥) ، إلى غيرها ، من الاحكام التي جوزها الكوفيون ومنعها البصريون .

لقد علل بعض الباحثين . هذا الموضوع بتعليل قد لا يخلو من طرافة ، فقال : ان نحو البصريين كان « صارماً حازماً يقل فيه التجويز على حين يكثر التجويز ظاهراً عند الكوفيين ... ويظهر ان الكوفيين أرادوا ، وهم مؤدبو الخلفاء وأولادهم ، ان ييسروا على هؤلاء في الدراسات النحوية بتصويب ما يجري على ألسنتهم من التعبيرات التي تخضع لقاعدة طردها

(١) الانباري ، الانصاف ١ / ٨٧ مسألة ١٦ .
(٢) أيضاً ١/٩٠ مسألة ١٧ . (٣) أيضاً ١ / ١٠٠ مسألة ٢٠ .
(٤) أيضاً ، ١ / ١٩٣ ـ ١٩٤ مسألة ٤٨ .
(٥) أيضاً ٢ / ٢٥٧ مسألة ٦٨ .

الكوفيون وقاسوا عليها فيسروا ... وأطرد عندهم ما عده البصريون شاذاً لا يقاس عليه وكان طابعهم في عمومه تجويز ما لم يجوزه مقابلوهم البصريون » (١) .

ان القسم الاول من هذا الرأي لا يخلو من وجاهة ، يفتقر اليها قسمه الثاني بتعليل التجويز نتيجة للملق السياسي ، لأن الكوفيين كانوا مؤدبي الخلفاء وأولادهم ، وهذا التعليل مرفوض ، فلم تقتصر مهمة تأديب أولاد الخلفاء على الكوفيين وحدهم ، لقد شاركهم البصريون في ذلك ، وكان اليزيدي مؤدب المأمون وكان الاصمعي من رواد مجالسهم عهداً .

أما رأيه بان طابع نحو الكوفيين في عمومه تجويز ما لم يجوزه البصريون ، فرأى يبدوانه على تغافل كثير عن الاحكام النحوية ، وكتب النحو وآراء النحاة ، ومقصور على خلافيات ابن الانباري ، مثلا .

ان كتب النحو مشحونة باراء النحاة التي تظهر خطل هذا الرأي ، وفي مغني اللبيب شيء كثير من ذلك ، « فانْ » المكسورة المخففة ، أجاز الكسائي والمبرد اعمالها عمل ليس ومنعه سيبويه والفراء(٢) ، ووافق الجرمي والاخفش الكوفيين بان « أو » تأتي للجمع المطلق (٣) ، واتفق الاخفش والفراء وأبو عبيدة على ان « ألا » قد تكون « بمنزلة الواو في التشريك في اللفظ والمعنى » وقال الاصمعي بانها زائدة (٤) ، وغيرها كثير .

ان غلبة التجويز في الدراسات الكوفية وحذر البصريين منه في دراساتهم لم يكن الا نتيجة لطبيعة كل من المنهجين ، منهج تعليمي عقلي

(١) ثعلب ، أبو علي الفارسي ٤٤١ ـ ٤٤٣ .
(٢) ابن هشام ، المغني ١ / ٢٣ ـ ٢٤ .
(٣) أيضاً ١ / ٦٣ . (٤) أيضاً ١ / ٧٣ .

يهدف إلى وضع قواعد و « أسس علم جديد »(١) لا مندوحة له من منع ما يخالف هذه القواعد أو تأويله أو طرحه ، ومنهج يهدف إلى استكناه اللغة وفهم دقائقها ، فيرى في ما يخالف القواعد العامة ، أساليب وشواهد جديرة بنظير الاعتبار ، فيجوزها .

٤ ـ التأويل :

كثيراً ما اصطدم الدارسون بنصوص تعارض أصولهم وقواعدهم فلجأوا إلى تأويلها تخلصاً من هذه المعارضة الظاهرة ، وغالباً ما حدث ذلك مع النص القرآني ، مع ان القرآن سلك « في البلاغة مذاهب ينقطع دونها كل بليغ » (٢) .

كان تأويلهم للايات أحياناً ، موغلا في التخريـــج العقلي المحض ، فأبعدهم عن سير الدراسات نفسها ، مع ان هذه الدراسات وُجدت لخدمة القرآن والعناية به ، وبالايغال في التأويل حاولوا ان يخضعوا القرآن لمقاييسهم وقوانينهم فانقلب الامر وانعكس سير الدراسات النحويـــة نفسهـا . (٣) .

ان التأويل ، كمنهج دراسي ، لم يكن خاصاً بالبصريين وحدهم ، ولم يختصوا به فقد شاركهم في هذه المنهجية الكوفيون ، أولُ الاخفش والفراء وأبو عبيدة قوله تعالى « لِئلا يكونَ للناسِ عليكم حجةٌ الا الذين ظلموا منهم »(٤) ، « لايخافُ لديَّ المرسلون الامَنْ ظَلَمَ ثم بدَّلَ

(١) السيد ، مدرسة البصرة النحوية ١٤٦ .

(٢) حسين ، القياس في اللغة ١٥ .

(٣) السيد ، ن . م ٢٣١ ـ ٢٣٢ .

(٤) سورة البقرة ، الآية ١٥٠ .

حسنا بعد سوءٍ » (١) ، فاولوا هاتين الآيتين بـ : ولا الذين ظلموا ، ولا من ظلم مؤولين « ألا » بمعنى الواو العاطفة « في التشريك في اللفظ والمعنى »(٢) . وتأولهما الجمهور على الاستثناء المنقطع (٣) .

ولعلّ ما يظهر لنا الايغال في التأويل وحيره المؤولين أنفسهم في تأويلهم ، هو قول البصريين في الآية الكريمة : « ان الذين آمنوا والذين هـادوا والصابئين ... » (٣) .

فاحتج بها الكوفيون على جواز العطف على موضع « إن » قبـل تمام الخبر ، ومنع ذلك البصريون فأولوها باكثر من وجه ، مما يظهر حيرتهم في التأويل نفسه .

١ـ ان في هـذه الآية تقديم وتأخير والتقدير فيها « ان الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون والنصارى كذلك ، كما قال الشاعر :

غداةَ أحلّت لابنِ أصرمَ طعنةً

حُصَيْنٌ عبيطاتِ السدائفِ والخمرُ

فرفع « الخمر » على الاستئناف فكأنه قال : والخمرُ كذلك »(٤)

وفي هذا ألوجه بنوا تأويلهم على النقل .

٢ـ جعلوا قوله تعالى « من آمن بالله واليوم الآخر » (٥) ، خبراً للصابئين والنصارى ، واضمروا « للذين آمنوا والذين هادوا » (٦) ، خبرا

(١) سورة النحل الآية ١١ (٢) ابن هشام ، المغني ١ / ٧٣ .

(٢) سورة البقرة الآية ٦٢ .

(٣) الانباري ، الانصاف ، المسألة ٢٣ ١ / ١٠٧ ـ ١١٠ .

(٤) سورة البقرة الآية ٦٢ .

(٦) الانباري ، الانصاف ، المسألة ٢٣ ١ / ١٠٧ ـ ١١٠ .

مثل الاول ، واحتجوا بقول بشر بن أبي حازم :

والا فاعلموا أنا وأنتم بغاةٌ ، ما بقينا في شقاقِ

« فان شئت جعلت قوله « بغاة » خبراً للثاني ، وأضمرت للاول خبراً ، ويكون التقدير : والا فاعلموا أنا بغاة وانتم بغاة ، وان شئت جعلته خبراً للاول واضمرت للثاني خبراً على ما بينا » (١) .

واحتجوا في هذا الوجه أيضاً ، بالنقل ، مع ان التأويل كان موغلاً في الاحكام العقلية أكثر من الوجه السابق .

٣ـ وفي الوجه الثالث قالوا « ان يكون عطفاً على المضمر المرفوع في « هادوا » ولم يحتجوا بالنقل في هذا الوجه ، ومع اعتراف الانباري بان « العطف على المضمر قبيح » (٢) وان هذا الوجه ضعيف عنده ، ويكثر مثل هذا التأويل عند البصريين في مسائلهم (٣) .

منطلقات عقلية في الاتجاه البصري :

احتذى الدارسون أصولاً عقلية محضة في دراساتهم النحوية ، وكانوا يجبرون هذه الاصول بالنقل أحياناً ، وقد سلكوا سبيل هذه المنطلقات

(١و٢) الانباري ، الانصاف ، المسألة ٢٣ ١ / ١٠٧ ـ ١١٠ .

(٣) الانباري ، الانصاف ، ٢ / ٢٥٤ مسألة ٦٧ هل تأتي « او » بمعنى الواو وبمعنى بل ؟ » ٢ / ٢٩٥ مسألة ٧٧ « هل تعمل أن المصدرية محذوفة من غير بدل ؟ » ٢ / ٣٣١ مسألة ٨٨ « القول في ان الشرطية هل تقع بمعنى اذ ؟ » ٢ / ٣٣٦ مسألة ٩٠ » القول في معنى ان ومعنى اللام بعدها » .

فأولوا أو طرحوا أو عدّوا غريباً ما خالفها ، ومن هذه الاصول : *

١ـ أن الحروف لا تعمل بغير اختصاص ، فالاسم الذي يرتفع بعد « لولا » يرتفع بالابتداء وليس « بلولا » ، ذلك لان الحرف انما يعمل إذا كان مختصاً « ولولا » لا تختص بالاسم دون الفعل ، بل قد تدخل على الفعل كما تدخل على الاسم ، قال الشاعر :

قالت أمامةُ لمـا جئتُ زائرَها

هلا رميتَ ببعض الاسهم السودِ

لا درَّ درَّك ، اني قـد رميتُهم

لولا حَدِدتَ ولا عذري لمحدودِ

فقال : لولا حددت ، فادخلها على الفعل » (١) .

٢ـ ان اجتماع عاملين على معمول واحد محال عند البصريين ، فمنعوا من مثل : « انك وزيد قائمان » لأنه « وجب ان يكون «زيد» مرفوعاً بالابتداء ، ووجب ان يكون عاملاً في خبر « زيد » وتكون « ان » عاملة في خبر الكاف وقد اجتمعا في لفظ واحد ، فلو قلنا ، انه يجوز فيه العطف قبل تمام الخبر لادى ذلك إلى ان يعمل في اسم واحد عاملان ، وذلك محال » (٢) .

٣ـ أن الضعيف من الادوات والحروف لا يعمل عمل القوي منها ،

* لا نزعم استقصاءنا لهذه المنطلقات فالموضوع بحاجة إلى دراسة أكثر عمقاً وشمولاً .

(١) الانباري ، الانصاف ١ / ٥٠ ـ ٥١ مسألة ١٠ ، ابن هشام ، المغنى ١ /٢٧٣ بنفس المعنى .

(٢) الانباري ، الانصاف ١ / ١٠٨ ـ ١٠٥ مسألة ٢٣ .

فمنعوا المجازاة بكيف لانها أضعف من سائر اخواتها ، فان جوابها « لا يكون الا نكرة لانها سؤال عن الحال والحال لا يكون الا نكرة وسائر أخواتها ، تارة تجاب بالمعرفة وتارة تجاب بالنكرة » (١) ، ولانها « لا يجوز الاخبار عنها ولا يعود اليها ضمير كما يكون ذلك في « من » و « ما » و « مهما » »(٢) .

٤ـ : ولم يجيزوا الجمع بين العوض والمعوض عنه ، فقالوا : « ان واو رب لا تعمل وانما العمل لربّ » (٣) ، وان الواو والفاء وبل لا تنوب عن رب ولا تعوض عنها بل يحسن ظهورها معها ، « ورب بلد » . « بل رب بلد » ، « فرب بلد » ، « لو كانت عوضاً عنها لما جاز ظهورها معها ، لانه لا يجوز ان يجمع بين العوض والمعوض .. » (٤) .

٥ ـ : وان الفروع منحطة دائماً عن درجة الاصول ، فقالوا بوجوب ابراز الضمير في اسم الفاعل إذا جرى على غير من هو له نحو « هند زيد ضاربته هي » فقالوا ان اسم الفاعل فرع على الفعل وهو بهذا اضعف منه « فلو قلنا انه يتحمل الضمير في كل حالة ـ إذا جرى على من هو له وإذا جرى على غير من هو له ـ لأدى ذلك إلى التسوية بين الاصل والفرع ، وذلك لا يجوز ، لان الفروع ابداً تنحط عن درجة الاصول ، فقلنا : انه إذا جرى على غير من هو له يجب ابراز الضمير ليقع الفرق بين الاصل والفرع »(٥) .

(١و٢) أيضاً ١ / ٣٣٨ ـ ٣٣٩ مسالة ٩١ .

(٣) أيضاً ١ / ٢٠٨ مسألة ٥٥ ، ابن هشام ، المغني ١ / ١٣٤ بنفس المعنى .

(٤) الانباري ، ن . م ، ١ / ٢٠٩ ـ ٢١٠ مسألة ٥٥ .

(٥) أيضاً ١ / ٤٢ ـ ٤٣ مسألة ٨ .

الدارسون وشواهد النحو :

ضمت البحوث النحوية مجموعة كبيرة من النصوص الشعرية ، استشهد النحاة ببعضها ومثلوا ببعض ، وقد تعرضت هذه الشواهد لنقد كثير من الباحثين من القدامى والمحدثين ، ومن يحاول تتبع هذا النقد يجد بعضه وجيهاً وبعضه الآخر غير وجيه .

قيل : أن بعض الشواهد قد حوّره النحويون بما ينسجم ومبتغاهم منه ، وقيل ان الشواهد رويت باكثر من وجه ، كان بعضها مروياً بلغة تجير قواعد النحويين فاستشهدوا به .

روَوا بيتاً نسبوه لعبد الرحمن بن حسان تارة ، ولكعب بن مامة تارة أخرى (١) هو :

من يفعل الحسناتِ اللهُ يشكرُها
والشرُّ بالشرِّ عند اللهِ مِثلانِ

فاستشهدوا به على حذف فاء الجواب اضطراراً ، وهذا الشاهد يروي برواية أخرى هي :

من يفعل الخيرَ فالرحمنُ يشكرُهُ ... ...

ولا شاهد لهم في هذه الرواية ، فاهملوها ، ورجحها المبرد لانه يرى ان فاء الجواب لا تحذف حتى في الضرورة (٢) .

وعن هذا البيت نفسه قال المازني ان النحاة غيروه وقال يونس :

---

(١) الامير ، محمد ، حاشية الامير على المغني ، ط الحلبي ، القاهرة « لات » ١ / ٥٤ .

(٢) ابن هشام ، المغني ، ١ / ١٦٥ .

« نحن عملنا هذا البيت »(١) .

واستشهدوا على اسمية « ربَّ » بـ :

إن يَقْتُلوكَ فإنَّ قَتْلكَ لَمْ يكُنْ

عـــاراً عليكَ وربَّ قتلٍ عـارُ

فرواه المازني : « عاراً عليك وبعض قتل عار » فانتفى الشاهد منه(٢)، وكان المازني يحتاج « إلى رواية البيت احتياجاً فيرويه مطبقاً عليه مذهبه »(٣) روى لحسان بن ثابت قوله :

كأن سلافةً من بيتِ رأسٍ يكونُ مزاجَها عسلاً وماءُ

فنصب « عسلاً » على انه خبر ليكون وجعل « ماء » فاعلاً لفعل مضمر قدره بـ : خالطها ماء ، أو مبتدأ بتقدير « فيه ماء » ، وهناك خمس روايات لهذا الشاهد يخلو بعضها من موطن الاستشهاد ، وهذا الشاهد نفسه قال عنه الاصمعي : « هذا البيت غيَّره النحويون » (٤) .

قال الجاحظ : « لم أر غاية النحويين إلا كلَّ شعر فيه اعراب ، ولم أر غاية رواة الاشعار الا كل شعر فيه غريب أو معنى صعب يحتاج إلى الاستخراج .. »(٥) ، فلم يعدو الجاحظ الحقيقة ، ومن الطبيعي الا يكون للنحاة شأن مع بيت يخلو من الغرض النحوي استشهاداً أو تمثيلاً .

لقد وجهوا إلى شواهد سيبويه كثيراً من النقد والتجريح ، فقالوا في الشاهد :

(١) البغدادي ، خزانة الادب ، ٦٤٤/٣ .

(٢) أيضاً ١٨٤/٤ .

(٣) العبيدي ، أبو عثمان المازني ، ٩٣ .

(٤) البغدادي ، الخزانة ، ٣ / ٦٤٤ .

(٥) البيان والتبين ، ٤ / ٢٤ .

يبيتُ على مغاريَ فاخراتٍ بهنَّ مُلوبٌ كَدَمِ العِباطِ

الذي استشهدوا به على عدم صرف مغارى ولو رووه : « على مغارٍ فاخرات كان الشعر موزوناً والاعراب صحيحاً »(١) .

وطعنوا في شاهد اعمال (فَعِل) :

حذرٌ أموراً لا تضير وآمنٌ ماليس مُنجيه من الاقدارِ (٢)

فنقلوا قول المازني أنه سمع أبان اللاحقي يعترف بوضع هذا الشاهد لسيبويه (٣) .

وقالوا في شاهد « الكتاب » في باب النون الخفيفة :

يبتسم تبـــاتَ الخيزرانيَّ في الثرى

حديثاً متى ما يأتِكَ الخيرُ ينفعا (٤)

أنه للنجاشي وان الجاحظ ذكره « في شعر كله مخفوض »(٥) ، وقال السيوطي في شاهد اعراب المثنى بالالف في جميع الاحوال :

اعرف منها الجيدَ والعينانا ومنخرينِ أشبها ظبيانا

قال انه منحول (٦) .

(١) العسكري شرح ما يقع فيه التصحيف ، ٢ / ٢٠٨ ، وفي كتاب سيبويه « معاري » بالعين المهملة ، وقد قاسه الخليل على قول الفرزدق في ابن أبي اسحاق :

فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى مواليا

« كتاب سيبويه ٢ / ٥٨ ـ ٥٩ » .

(٢) سيبويه ، الكتاب ٥٨/١ . (٣) السيوطي ، المزهر ، ١ / ١٨ .

(٤) سيبويه ، الكتاب ، ٢ / ١٥٢ .

(٥) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ٥ / ٣٩١ .

(٦) الاقتراح ٢٦ .

ولعل أكثر الشواهد التي طعن فيها هوما استشهد به على اعراب الاسم على الموضع ، من شعر عقيبة الاسدي :

معاويَ انا بشرٌ فأسجح ... فلسنا بالجبالِ ولا الحديدا
أديروها بني حرب عليكم ... ولاترموابها الغرض البعيدا(١)

فغلطه ابن عبد ربه ، وروى البيت مجروراً ضمن أربعة أبيات لم يكن البيت الثاني منها (٢) ، واتهمه ابن قتيبة ، فقال انه « غلط على الشاعر لان هذا الشعر كله مخفوض » (٣) ، وفعل مثل ذلك العسكري (٤) .

لقد رجح الاعلم الشنتمري شاهد سيبويه ونفى التهمة عنه بانه نقله عن العرب ، وجوّز ان يكون البيت من قصيدة منصوبة غير هذه القصيدة، أو يكون الذي أنشده رده إلى لغته فقبله منه سيبويه « فيكون الاحتجاج بلغة المنشد لا بقول الشاعر » (٥) .

ان اختلاف الروايات لا يمنع صيرورة البيت شاهداً يحتج به ، فكل من يرويه من الرواة يرويه بشكل يتلائم مع لهجته ولغته فيكون فيه الشاهد أو لا يكون ، تبعاً للغة الراوي ولهجته ، واعتداد النحاة بالرواية التي تحمل شاهداً لهم أمر بعيد عن الانتحال ، خاصة وان تلك الشواهد تقبلها النحاة وهم أقرب عصراً ، وقد عالج الجرمي شواهد سيبويه (٦) معالجة تحمل الطابع العلمي في مضمونها . ومع ذلك فشواهد سيبويه خاصة

(١) الكتاب ١ / ٣٣ ـ ٣٤ . (٢) العقد الفريد ٥ / ٣٩٠ ـ ٣٩١ .
(٣) الشعر والشعراء ١ / ٩٩ .
(٤) شرح ما يقع فيه التصحيف ٢ / ٢٠٧ .
(٥) الكتاب ، حاشية الشنتمري ١ / ٣٤ .
(٦) البغدادي ، خزانة الادب ١ / ١٧٨ ـ ١٧٩ .

وشواهد النحو بعامة تحتاج إلى دراسات أعمق ففيها شواهد تكاد تكون ميتة . وفيها نسبة كبيرة مجهولة ، لا يعرف من نظمها .

مظاهر نشاط الدارسين :

تعددت مظاهر نشاط الدارسين في دراساتهم ، وكانت تلك المظاهر في الاعم الاغلب ، مظاهر عقلية منبثقة عن طبيعة الدراسات ومنهجها ، وقد تسلسلت من مظاهر فطرية بسيطة منبعثة عن الحرص على اللغة وصيانة الاسلوب والتصدي لما يخل بذلك ، إلى تدوين المؤلفات في هذه الدراسات .

صيانة الاسلوب اللغوي :

حرص العلماء ، بدافع من حرصهم على اللغة وسلامتها ، على التصدي لما يخالف ما استنبطوه من قواعد واصول ، محاولين جهد الامكان ان يعتمدوا في تصديهم على نصوص من مصادرهم الدراسية ، سمع أبو عمرو بن العلاء رجلاً ينشد : « ومن يغوَ لا يعدم الغي لائماً ... فقال : قل: ومن يغوِ ، بكسر الواو ، الا ترى إلى قول الله عز وجل ، فَغَوَى »(١) * ولا غبار على اعتراضه اذ يعضده النقل والقياس ، فالمسموع « غَوَى »: « فَعَلَ » ومستقبله يَغْوِي : « يَفْعِلُ » .

وكان سلوك العلماء ، هذا ، يوقعهم في ورطة علمية أحياناً ، كان يسمعون كلاماً فيخرجوه على وجه معين فيظنون ما سمعوه خطأ ، ثم يتبين انهم المخطئون « قال أبو محمد اليزيدي ، كنت والكسائي عند العباس بن

(١) الزبيدي ، طبقات النحويين ٣٠ .
* سورة طه ، الآية ١٢١ .

الحسن العلوي ، فجاء غلام له وقال : يا مولاى كنت عند فلان ، فاذا هو يريد ان يموت ، فضحكنا فقال : مم ضحكتما ، قلنا : من قوله : يريد ان يموت وهل يريد الانسان ان يموت ؟ ، فقال العباس : قد قال الله تعالى : فوجدا فيها جداراً يريد ان ينقض فأقامه * وانما هذا مكان يكاد ، فتنبهنا ... » (١) .

وكانوا أحياناً ، يتسرعون في تخطئة غيرهم ، قبل ان يتبين لهم تتمة ما سمعوه ، قيل ان مروان بن أبي حفصة ، أنشد عند المهدي :

طرقَتْكَ زائرةٌ فَحيِّ خيالَها
بيضاءُ تخلطُ بالجَمالِ دلالَها

فخطأه اليزيدي قبل ان يسمع الشطر الثاني ، وتوهم ان « زائرة » فاعل لطرق وان الشاعر اخطأ في نصبه الفاعل (٢) .

ولعل ما يوضح مدى شيوع هذا الاسلوب بين أوساط الدارسين ، هو ان هذه المهمة ، لم تكن مقتصرة على شيوخ اللغة والنحو فحسب ، بل تعدى أمر القيام بها إلى الفقهاء أيضاً ، سئل عمرو بن عبيد عن « دجاجة ذُبحت من قفاها : فقال ... أحسِنْ ، قال من قفاؤها ، قال : أحسِن ، قال : من قفاها ، قال عمرو ، ماعناك بهذا ؟ قل من قِبَلِ قفاها واسترح »(٣) .

تعليل الظواهر اللغوية :

ومن مظاهر نشاط الدارسين أيضاً ، كان تعليل الظواهر اللغوية والنحوية ، وغالباً ما كانوا يتوصلون إلى تعليل عقلي محض ، يسمعون أعرابياً يقول

* سورة الكهف ، الاية ٧٧ . (١) الثعالبي ، فقه اللغة ٥٤٣ .
(٢) الاصفهاني ، الاغاني ٩ / ٤١ .
(٣) الجاحظ ، البيان والتبيين ٤ / ٢١٠ .

« جاءته كتابي فاحتقرها [فيسألونه] أتقول جاءته كتابي ؟ [فيجيب] اليس بصحيفة » (١) ، ويسمعون آخر يقول : « اجتمعت أهل اليمامة لانه يقول في كلامه اجتمعت اليمامة يعني أهل اليمامة » (٢) ، وعللوا تسمية اللثمة بانهـا ألمت بالاذنين (٣) ، وميزوا بين القعود والجلوس فقالوا : « أن القعود هو الانتقال من علو إلى سفل ... وان الجلوس هو الانتقال من سفلٍ إلى علوٍ » (٤) ، ولأن الجلوس من الجلس وهو المرتفع من الارض .

كانوا يتساءلون عن الظواهر اللغوية . فيجاب بقدر ما يفهم السائل ويريد فيقع اللبس أحياناً .

سأل أبو زيد الانصاري ، الخليل بن أحمد : « لم قالوا في تصغير واصل : أويصل ولم يقولوا وُوَيْصل ؟ قال : [الخليل] كرهوا ان يشبه كلامهم نبح الكلاب »(٥) ، وقد عرض الخليل لهذه المسألة بالبحث وكان رأيه انه :

« لايلتقي واوان في أول الحرف »(٦) ذلك ان « (أويصل) مصغر (واصل) والقياس في تصغير ما كان على (فاعل) ان تقلب الفه واواً ، واذ كانت فاء الكلمة واواً فقد اجتمع أولها بعد تصغيرها واوان ، فاؤها

(١) العكبري ، التبيان في شرح الديوان ، ٤ / ١٢٧ . ابن منظور ، لسان العرب ١ / ٦٩٩ باب كتب .
(٢) سيبويه ، الكتاب ١ / ٢٦ .
(٣) الزبيدي ، طبقات اللغويين ٥٠ .
(٤) الحريري ، درة الغواص ١٤٣ .
(٥) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ٢ / ٤٨٤ .
(٦) سيبويه ، الكتاب ٢ / ٣٥٦ .

والواو التي انقلبت عن الالف في التصغير ، فكان ينبغي ان يقال في تصغيرها (وويصل) ولكن العرب لم يألفوا مثله في كلامهم فلجئوا إلى قلب الواو الاولى همزة فقالوا : أويصل » (١) .

لم يكن احتجاجهم للتعليل مبنياً على المنطلقات العقلية أو النقل عن الاعراب فحسب ، بل كانوا يحتجون بنصوص قرآنية ، أيضاً ، وكان القرآن الكريم من المصادر الرئيسة في دراساتهم ، كما رأينا ، « قال : أبو حاتم السجستاني : كنت عند أبي الاخفش وعنده التوزي فقال لي : يا أبا حاتم ما صنعت في كتاب المذكر والمؤنث * ؟ قلت : قد عملت في ذلك شيئاً ، قال : فما تقول في الفردوس ؟ قلت : ذكر ، قال : فان الله عز وجل يقول : « الفردوس هم فيها خالدون » ** قلت : ذهب إلى الجنة فأنث ، قال لي التوزي . . . أما تسمع الناس يقولون : أسألك الفردوس الاعلى : فقلت : ... الاعلى ههنا أفعل وليس بفعلى »(٢) ،

والظاهر ان مراقبة الدارسين للنصوص وللاساليب وتعليلهم للظواهر اللغوية فتح لهم باباً في دراسة اللغات واللهجات القبلية فكان « أبو عمرو [بن العلاء] أوسع علماً بكلام العرب ولغاتها » (٣) ، وكان ممن عنوا

(١) المخزومي ، د . مهدي ، في النحو العربي ، قواعد وتطبيق ، القاهرة ١٣٨٦ هـ ص ١٥ .

* لقد حقق الدكتور ابراهيم السامرائي هذا الكتاب ونشر في مجلة رسالة الاسلام ، العدد ٧ ـ ٨ السنة ٣ / ١٩٦٩ .

** سورة المؤمنون ، الاية ١١ .

(٢) اليغمورى ، نور القبس ، ٩٨ ـ ٩٩ .

(٣) ابن سلام ، طبقات الشعراء ١٤ .

باللهجات واللغات من الدارسين يونس بن حبيب (١) وأبو زيد الانصاري (٢) أيضاً .

تعليل الظواهر النحوية ، وتعدد الاراء :

لم يقتصر تعليلهم على الظواهر اللغوية فحسب ، بل درجوا في تعليل الظواهر النحوية بصفتها ميدانا لم يستقل بعد عن البحوث اللغوية ، ثم أوغلوا فيه ، وغالباً ما كانوا يجنحون في ذلك التعليل لانهم أخرجوا البحث النحوي عن خطه الذي يجب ان يسلكوه ، سئل الخليل « عن الرفع لم جعل للفاعل ؟ فقال : الرفع أول حركة والفاعل أول متحرك فجعلوا أول حركة لأول متحرك » (٣) ، والتمحل في هذا التعليل ظاهر من « شرف الضمة وشرف الفاعل » (٤) ، ولو فعلوا كما فعل الكسائي في مسألة « أي كذا خلقت » لأراحوا واستراحوا ، وهذا لا يعني ان تعليلاتهم كانت كلها متمحلة ، فقد كان بعضها ذا أساس علمي مبني على ملاحظة الرابطة بين الاسلوب والمعنى ، والذي اصطلح عليه فيما بعد بعلم المعاني ، سأل ابن سلام سيبويه « عن قوله تعالى : فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قومَ يونسَ * ، بأي شيء نصبت قوم ؟ ، قال : إذا كانت ألا بمعنى

(١) الزبيدي ، طبقات اللغويين ٥٠ .

(٢) القالي ، الامالي ٢ / ١٣ ـ ١٤ .

(٣) الزجاجي ، مجالس العلماء ٥٣ مجلس ١١٨ .

(٤) حسن ، رأى في بعض الاصول اللغوية والنحوية ٧٤ .

* سورة يونس ، الاية ٩٨ .

لكن ، نصب (١) » « أي ولكن قوم يونس » (٢) .

أو يلاحظون قول الراجز

حتى تحاجزن عن الذّوّادِ تحاجز الرّيّ ولم تكادي

فسئل أبو عمرو بن العلاء « فقال : ولم تكادي ايتها الابل » (٣) .

ونتيجة للتعليل ، تعددت آراء الدارسين في تعليل النص الواحد ، تبعاً لما يراه كل منهم من توجيه نحوي في النص . ففي الاية الكريمة « أيّهم أشد على الرحمن عتيا » (٤) ، اختلفوا في ضمة « أيّهم » أهي ضمة اعراب أم ضمة بناء ؟ ، « ذهب سيبويه إلى انها ضمة بناء لانهم لما حذفوا المبتدأ من صلتها دون سائر أخواتها ، نقصت فبنيت وكان بناؤها على الضم أولى لانها أقوى الحركات فبنيت على الضمة كقبل وبعد والذي يدل انهم انما بنوها لحذف المبدأ أنهم لو أظهروا المبتدأ فقالوا : ضربت أيّهم هو في الدار لنصبوا ولم يبنوا ، وذهب الخليل ، إلى أن الضمة ضمة إعراب ويرفعه على الحكاية والتقدير عنده ... (ثم لننزعنّ من كل شيعة الذي يقال لهم أيّهم) وذهب يونس إلى الغاء الفعل قبله وينزل الفعل المؤثر في الالغاء منزلة أفعال القلوب ... » (٥) ، وكان الخليل يخالف الكثيرين في ان الافعال لا تنصب إلا بأن مظهره أو مقدرة (٦) .

فتعدد آراء النحاة في مسألة نحوية معينة ، كان نتيجة التعليل ، ولعل ما يثبت ذلك أيضاً ان تعدد الاراء والتعليل ونمو النحو أمور تساوقت وكادت تكتون خطوطاً متوازية لظاهرة النشاط النحوي ، منذ عصر أبي الاسود

(١) الحنبلي ، شذرات الذهب ١ / ٢٥٢ .
(٢) سيبويه ، الكتاب ١ / ٣٦٦ .
(٣) الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ٣٢ .
(٤) سورة مريم ، الاية ٦٩. (٥) الانباري ، أسرار العربية ٣٨٢ ـ ٣٨٣ .
(٦) أيضاً ٣٢٨ .

حين رأى جواز دخول « لولا » على غير ضمير الرفع مستنداً إلى سماعه بعض « العرب [ممن] يقول : لولاي لكان كذا وكذا » (١) ، وخالف ذلك المبرد فيما بعد (٢) . وقد ضم كتاب سيبويه مجموعة كبيرة من آراء النحاة على اختلاف طبقاتهم (٣) ، وغالباً ما كانت هذه الاراء مختلفة في التعليل (٤) . ولم يقتصر تعليل النحاة للاحكام النحوية فحسب ، فقد عللوا الشعر أيضاً (٥) ، وعللوا صيغاً كانوا صنعوها ومثلوا بها ، « قال الاخفش : كنت عند يونس فقيل له قد أقبل سيبويه . . . فجاء فسأله ... : كيف تقول مررتُ به المسكينِ ؟ فقال جائز ان أجره على البدل من الهاء ، قال : فقال له : فمررتُ به المسكينُ ، على معنى المسكين مررت به ، فقال : هذا خطأ لأن المضمر قبل الظاهر ... قال : فمررت به المسكينَ ، فقال جائز ، فقال على أي شيء ينصب فقال على الحال ، فقال سيبويه : أليس أنت اخبرتني ان الحال لاتكون بالالف واللام ؟ : فقال له : صدقت ثم قال لسيبويه ، فما قال صاحبك فيه ؟ يعني الخليل ، فقال سيبويه : قال لي انه ينصب على الترخيم * [كذا] فقال ، ما أحسن هذا » (٦) .

(١) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٢ / ٤٨٥ .
(٢) ابن هشام ، المغني ، ١ / ٢٧٤ .
(٣) الكتاب ، مثلا ، ٢ / ٢٢ ـ ٢٣ ، ١ / ٣٠٤ ، ٢ / ٢٦١ . ٢ / ٢٥٢ ، ١ / ١٥٣ ، ١ / ٣٥٦ .
(٤) أيضا ، مثلا ، ٢ / ٢٤٨ ـ ٢٥٢ ، ٢ / ٢٢ ـ ٢٣ ، ١/٤٥٢. ١ / ٢٥٢ ، ١ / ٣٧١ ، ١ / ٣١٢ ـ ٣١٣ .
(٥) أيضاً ١ / ١٤١ ، * والصحيح على « الترحم »
(٦) ياقوت ، معجم ، معجم الادباء ٦ / ٨٧ ـ ٨٨ .

دراسة الشعر والعناية به :

كان الشعر من مصادر الدراسة الرئيسة ، فعنى العلماء بنقده ودراسته وتقويمه ، كما انهم جمعوه ودونوه « بحسب نظام معين ، كالوزن الشعري مثلاً »(١) ، ورتبوا القصائد بترتيب هجائي ، أو حسب أغراض القصيدة أحياناً ، وكان من نتائج هذه الدراسات ان تحزب بعض العلماء لبعض الشعراء ، وصار بعضهم يرى انه « لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث اللغة »(٢) ، كذلك صار للبصرة شاعر مفضل هو أمرؤ القيس على حين فضلت الكوفة الاعشى (٣) .

كانوا يرون في الشعر الجاهلي الاسلوب الامثل والاكثر اصالة ، ومع ذلك لم يكونوا يقبلوه من الرواة على علاته ، فكان بعضهم يدرسه ويحاول بيان اصيله من منحوله ، فما ذكره الرواة عن شعر العرب البائدة والاقدمين رفضه أبو عمرو بن العلاء باسلوب علمي فقال « ما لسان حِمْيَرَ واقاصي اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا ، فكيف بما على عهد عاد وثمود مع تداعيه ووهيه »(٤) ، وكانوا ملتفتين إلى الوضاع والكذابين ، فعينوهم باسمائهم ، وانكر يونس على من يأخذ عن خلف الاحمر لانه « كان يكذب ويلحن ويكسر »(٥) ، وكانوا أيضاً ، يمتحنون الرواة ، ويدققون النظر في مروياتهم فيقارنونها بما عندهم ، ذكر أبو عبيدة ان « داود بن متمم بن نويره

(١) دي بور ، تاريخ الفلسفة ٤٠ .
(٢) السيوطي ، شرح شواهد المغني ، ١٥ .
(٣) ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء ٤٤ .
(٤) أيضاً ١١ . (٥) أيضاً ٢٤ .

قدم البصرة . . . فسألناه عن شعر أبيه متمم . . . فلما نفذ شعر أبيه جعل يزيد في الاشعار ويضعها . . . واذا هو يحتذي على كلامه فيذكر المواضع التي ذكرها متمم والوقائع التي شهدها ، فلما توالى ذلك علمنا أنه يفتعله » (١) .

الدارسون والشعر :

لقد أولى بعض الدارسين الشعر عناية فائقة بحيث غلبت أو كادت ، دراسة الشعر على دراساتهم اللغوية والنحوية ، فيونس بن حبيب ، مثلاً ، يمكن ان « يُعَدَّ من القلائل الذين كان لهم مجهود واضح في نقد الشعر ودراسة اللغة والنحو » (٢) ، وكان يفضل الفرزدق على جرير (٣) كما كان « شديد الاختصاص برؤبة بن العجاج » (٤) ، مع ان رؤبة اعلمه بكذبه ، وبانه يزخرف له القول (٥) .

ومن نشاط يونس في ميدان دراسة الشعر ، انه نقد الشعراء الجاهليين، نقداً علمياً (٦) ، من خلال الاغراض التي أجادوا فيها * ، وبلغ من

(١) ابن سلام ، ن . م ٤٠ .
(٢) المخزومي ، من مقال بعنوان « سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان » المعلم الجديد ١٩٥٦ ص ٤٢ .
(٣) السيوطي ، شرح شواهد المغني ، ١٥ .
(٤) الحلبي ، مراتب النحويين ، ٢٢ .
(٥) السيرافي ، أخبار النحويين ٢٨ ، الانباري ، النزهة ط . مصر ٥٠.
(٦) مندور ، النقد المنهجي عند العرب ١٨ .
* لقد أبدى الدكتور طه حسين (الشعر الجاهلي ٢٣٣) ، شكه بهذا=

علمية منهجه ان فضل شاعراً معاصراً له على جاهلي ، بسبب الجودة في اللفظ *(١) ، فخالف بذلك النظرة السائدة في عصره إلى الشعرالجاهلي ، ولم يكن يونس وحده ممن ولج هذا الميدان وعنى به ، بل كاد ان ينافسه أبو عمرو بن العلاء ، أيضاً .

علاقات الدارسين بالشعراء :

اختلف موقف الدارسين من الشعراء تبعاً لاختلاف نظرتهم إلى ما يجب ان يكون عليه الشاعر ، وما يجوز له مما لا يجوز للناثر ، فالخليل وضع الشعراء رواد أسلوب أجاز لهم ان يقولوا في الشعر ما يمتنع في النثر ، فللشعر ضرورات ، قال : « الشعراء أمراء الكلام يصرفونه أنى شاءوا ، وجائز لهم ما لا يجوز لغيرهم من اطلاق المعنى وتقييده ومن تصريف اللفظ وتعقيده ومد مقصوره وقصر ممدوده والجمع بين لغاته والتفريق بين صفاته . . . » (٢) .

ويبدو ان بعض الشعراء أساء فهم هذا التجويز وهذه المنزلة ، ففالى في عناده حين عيب عليه بعض شعره ، فقال :

= التفضيل « أمرؤ القيس إذا ركب . . . » مستدلا بان طرديات أمرؤ القيس أقل من فجوره واعتذاريات النابغة أقل من مدحه وهجائه . . . وكذلك قال في الباقين ، وقد تجاهل ان تفضيل يونس كان على أساس الجودة وليس على أساس الكثرة .

(١) ياقوت ، معجم الادباء ٧ / ٣١٠ ـ ٣١٣ .

* روى الاصفهاني ، الاغاني ٤١/٩ بان تفضيل مروان ابن أبي حفصة على الاعشى في قصيدتيهما ، كان من قبل خلف الاحمر وليس يونس .

(٢) الحصري ، القيرواني ، زهر الاداب ٢ / ٦٣٣ .

ان قلتُ قافيةً بكراً يكون بها
بيتٌ خلاف الذي قاسوه أو ذرعوا
قالوا ، لحنتَ وهذا ليس منتصبا
وذاك خفضٌ وهذا ليس يرتفعُ
ما كلُّ قولي مشروحاً لكم،فخذوا
ما تعرفون ، وما لم تعرفوا فدعوا (١)

لقد أدت العلاقات الشخصية بين الدارسين والشعراء دوراً في النشاط اللغوي والنحوي ، ولعل قضية الفرزدق ومعاصريه ، من الدارسين ، مثال واضح على ذلك ، فعلاقته بابن أبي اسحاق لم تكن ودية مثلما كانت مع عنبسة بن معدان(٢) ، وأبي عمرو بن العلاء ، ومن هنا كان ابن أبي اسحاق يتصيد ما يراه من اخطاء في شعر الفرزدق ، مع انها كانت مقبولة على وجهات نظر نحوية لدى علماء آخرين .

نظم الفرزدق قصيدة في المدينة ، بعيدة عن الجو النحوي في البصرة ، حين تحداه أحد الانصار بان يعارض قصيدة لحسان بن ثابت(٣) ، فنظم قصيدته :

عزفتَ باعشاشٍ وما كدتَ تعزفُ
وأنكرتَ من حدراءَ ما كنتَ تعرفُ

وفيها بيت تلقفه ابن أبي اسحاق ، كما قيل ، وهو :

وعضُّ زمانٍ يا بنَ مروانَ لم يدَعْ
من المالِ الا مسحتاً أو مجلّفُ

(١) ابن جني ، الخصائص ١ / ٢٤٨ ، والابيات لعمار الكلبي .

(٢) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ١ / ٤٧٥ .

(٣) أبو عبيدة ، النقائض ٢ / ٥٥٦ ، ٢ / ٥٤٦ .

ورواه أبو عبيدة « الا مسحتٌ أو مجرفُ »(١) * وذكر ابن جني انه يُروى ، أيضاً ، بـ « لم يَدَعِ بكسر الدال من الادّاع ، فعلى هذا يرفع (مسحت) و (مجلف) بفعليهما » (٢) ، وقال فيه ابن قتيبة انه رفع آخر البيت (مجلف) ، للضرورة « وأتعب أهل الاعراب في طلب العلة، فقالوا وأكثروا ولم يأتوا بشيء يرضي » (٣) ، على حين اجاز أبو عمرو بن العلاء رواية « الا مسحتاً أو مجتلفٌ » بانها « على المعنى ، أي لم يبق سواه » (٤) ، ومن المحتمل ان يكون ابن أبي اسحاق قد سمع هـذه الرواية فتسائل عن علة رفع (مجلف) ظناً منه أنها معطوفة على (مسحتا) ومن الجائز ان يكون الفرزدق قد غير الشطر إلى الصورة التي أثبتها أبو عبيدة في النقائض بعد ان رأى اعتراض ابن أبي اسحاق ، وربما اعتراض آخرين ، على هذا الاسلوب .

لم يكن هذا البيت وحده محوراً لآراء النحاة ونتيجة لعلاقة الفرزدق بابن أبي اسحاق فربما كانت هناك أبيات أخرى ، ذُكر منها قوله :

مستقبلينَ شَمالَ الشامِ تَضربُنا
بحاصبٍ كنديفِ القطنِ منثورِ
على عمائمنا ، تلقى وأرحلِنا
على زواحفَ تزْجَى مُخّها زيرُ (٥)

(١) ابو عبيدة ، النقائض ٥٥٦/٢ ، ٥٤٦/٢ (٢) ابن جني ، الفسر ، ٢٧/١ .
* الا مسحتاً أو مجرف ديوان الفرزدق ٢ / ٢٦ .
(٣) ابن قتيبه ، الشعر والشعراء ، ١ / ٨٩ .
(٤) الانباري ، النزهة ، ط مصر ٣٠ .
(٥) ابن قتيبة ، ن . م ، ٨٩/١ ، وتروى الابيات ايضاً بـ « يلقى » بدلا من «تلقى» و«زير» بدلا من « زيرُ » ، اليغموري ، نور القبس ٥ ـ ٦ .

فخطأه ابن أبي اسحاق واحتج عليه الفرزدق ، لانه لم يجد مخرجاً لهذا البيت(١) ، على حين اجازه يونس فوصفه بانه : « جائز حسن»(٢) ومن الجائز أيضاً ، ان الفرزدق رجع عن هذا البيت نتيجة الاعتراض الذي واجهه ، فغيره إلى « نُزجيها محاسيرُ » (٣) .

تعلات دارسي الشعر :

يبدو ان الدارسين تأثروا باسلوب الفقهاء ومفسري القرآن الكريم،في اشتراطهم معرفة أسباب النزول في التفسير ، فحاولوا معرفة مناسبة كل قصيدة أو بيت درسوه ، وحين يجدون ظواهر شعرية لم يكونوا يعرفوها لندرتها أو قلتها أو غرابتها ، يغالون في محاولة معرفة مناسبة نظمها ، وان عجزوا ، فلا يمتنعون عن اختلاق قصة لها ولو كانت خرافية ، وأجهوا أبياتاً لحسان بن ثابت كانت على روي واحد أو ما اصطلح عليه في عصور متأخرة ، بلزوم مالا يلزم ، فحاروا فيها ، فقال « أبو عبيدة ، ان السعلاة لقيت حسان بن ثابت في بعض طرقات المدينة وهو غلام ، فبركت على صدره وقالت له : أنت الذي يرجوك قومك ان تكون شاعرهم ؟ فقال نعم ، فقالت : أنشدني ثلاثة أبيات على روي واحد والا قتلتك ، فقال:

(١) البغدادي ، خزانة الادب ١ / ١١٦ .
(٢) اليغموري ، نور القبس ٥ ـ ٦ .
(٣) الفرزدق ، ديوان الفرزدق ، شرح كرم البستاني ، دار صادر بيروت ١٩٦٠ جـ١/ ٢١٣ .

إذا ما تَرعرع فينا الغلامُ ... فما أنْ يُقال له من هَوَهْ
إذا لَمْ يَسُدْ قبل شدّ الازار ... فذلك فينا الذي لا هَوَهْ
ولي صاحبٌ من بني الشيصبان ... فطورا أقولُ وطورا هَوَهْ » (١)

التأليف في اللغة والنحو :

لقد واكب التدوين عصر ازدهار العلوم في البصرة ، بعد أن هيأت له حركة تعريب الدواوين جواً مناسباً ، فصار الدارسون يدونون علومهم بشكل ما ، قد يكون على شكل مذكرات أو مدونات احتفظت بطابعها البدائي أول الامر ، ثم تدرجت في سلم التطور إلى كتب ومدونات منهجية ، فعنى البعض بتدوين دراساتهم وصرنا نقرأ ان غسان بن رفيع بن سلمة (دماذ) كان ورّاقاً لابي عبيدة (٢) ، وان يونس رأى عند أبي عمرو الشيباني قمطراً من الكتب (٣) ، وان أبا حاتم السجستاني كان جماعاً للكتب وان كتبه « بيعت . . . باربعة عشر ألف دينار » (٤) !!.

وقد أدلى بعض الباحثين بآراء في هذا الموضوع ، تبدو صعبة القبول منها ، ان التدوين عُرف في صدر الاسلام وأول العصر الاموي ، « بل

(١) ابن جني ، الفسر ، ١ /٣٦٦ ، وجاء في ديوان حسان بن ثابت ٣٤٩ ـ ٣٥٠ ، نسبة الرواية إلى ابن الكلبي وليس إلى أبي عبيدة ، مع رواية أخرى عن الاثرم تبدو مقبولة .

(٢) البكري ، الاوني ، سمط اللآلىء ٢ / ٨٧ .

(٣) الانباري ، النزهة ، ط . السامرائي ، ٦٣ .

(٤) الامير ، حاشيه الامير علي المغني ، ٢ / ٤٧ .

كان قبل الاسلام تدوين »(١) ، ومن المشكوك فيه ان يكون هذا التدوين في العلوم المنهجية ، وربما كان على شكل رسائل خاصة أومقطعات شعرية ، وهناك رأى معاكس لهذا الرأي ، زعم صاحبه « ان المؤلفات اللغوية ... بما يفهم من هذه العبارة اليوم والتي تنسب إلى مؤلفين بالذات لا يمكن ان تؤرخ إلى ما قبل أوائل القرن الثالث بعد الهجرة »(٢) ، إن كتاب سيبويه وحده ، كفيل بدحض هذا الزعم ، مع ان الباحث شكك فيه وفي كتاب العين (٣) أيضاً .

المؤلفات الاولى في اللغة والنحو :

قيل ان أبا الاسود كان « أول من عمل في النحو كتاباً » (٤) ، وانه سماه المختصر ووضعه بعد ان أتم نقط المصحف (٥) ، كذلك نسب لنصر بن عاصم « كتاب في العربية »(٦) وللرؤاسي كتاب في النحو اسمه الفيصل (٧) ، وان الخليل بعث في طلبه من للرؤاسي فبعث به إليه

(١) أمين ، أحمد ، فجر الاسلام ١٦٦ .

(٢) المنجد ، المنتقى من دراسات المستشرقين ١ / ١٣٧ والرأى للمستشرق « جب » .

(٣) أيضاً ١ / ١٣٣ .

(٤) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ٧٢٩/٢ . البكري الاوني ، سمط اللآلىء ٢ / ٦٤٣ .

(٥) الانباري ، النزهة ، ط ، مصر ٩ .

(٦) ياقوت ، معجم الادباء ، ٧ / ٢١٠ ، السيوطي ، البغية ٢ / ٣١٣ ـ ٣١٤ .

(٧) السيوطي ، المزهر ٢ / ٤٠٠ .

فقرأه ووضع كتابه » (١) العين (٢) . كذلك قيل : « ان عيسى بن عمر كان أول من صنف في النحو ولم يصلنا كتاباه »(٣) اللذان كان اسمهما ، الجامع والاكمال أو المكمل في النحو ، وان سيبويه حشاهما ، أوأحدهما ، وأخرج ذلك للناس على انه كتابه (٤) .

كان عيسى بن عمر ضريراً ، وهذا الامر لا يمنعه من التأليف والاملاء ، ولا نستبعد ان يكون قد أملى مذكرات في اللغة والنحو ، أو ما يشبه المذكرات ، سئل « أخبرني عن هذا الذي وضعت ، يدخل فيه كلام العرب كله ؟ قال : لا ، قلت : فمن تكلم بخلافك واحتذى ما كانت العرب تتكلم به ، أتراه مخطئاً ؟ قال : لا ، قلت فما ينفع كتابك ؟ »(٥) ، وهذا النص يبين مشاركة عيسى بن عمر في التأليف ولكن الملفت للنظر ، ان الرواة رددوا بيتين نسبوهما إلى الخليل تارة ، وإلى الشاعر (٦) ، أو العميد (٧) ، تارة أخرى تأكيداً لوجود كتابي عيسى

(١) ابن النديم ، الفهرست ، ط . مصر ١٠٢ . وينص على ان الكتاب هو كتاب سيبويه .

(٢) اليغموري ، نور القبس ٢٧٩ .

(٣) الانباري ، النزهة ، ط مصر ٢١ ـ ٢٣ .

(٤) ينظر حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله ، كشف الظنون ، طهران ١٣٧٨ ص ١ / ٥٧٦ . القفطي ، انباه الرواة ٣ / ٣٤٦ ـ ٣٦٠، اليافعي ، مرآة الجنان ١ / ٣٠٧ .

(٥) السيرافي ، أخبار النحويين ٢٦ .

(٦) الزبيدي ، طبقات النحويين واللغويين ٣٧ .

(٧) حاجي خليفة ، كشف الظنون ١ / ٥٧٦ ولم نجد أحداً لقب الخليل بالعميد ، قبله .

ابن عمر وسرقة سيبويه لهما ، قالوا ان سيبويه ذكر الكتابين للخليل ، وأعلمه بان كتاب المكمل أو الاكمال قد أتت عليه آفة وبقي كتاب الجامع الذى استعصى عليه فهمه ، ولذا فهو يسأله عن غوامضه ، وقالوا ، ان الخليل أطرق فقال بيتين من الشعر ، فيهما ، رواهما السيرافي ـ وهو أقدمهم ـ فقال أنهما :

بطل النحو جميعاً كلّه ... غيرَ ما أحدثَ عيسى بن عمر
ذاك اكمال ، وهذا جامع ... فهما للناس شمسٌ وقمرٌ(١)

واختلفت رواية هذين البيتين عند الرواة ، فرواهما البعض بتغيير صيّر الشطر الأول « ذهب النحو جميعاً كله »(٢) أو « بطل النحو الذي الفتموا » (٣) أو « بطل النحو الذي جمّعتم » (٤) كما صُحفت كلمة « فهما » في الشطر الثاني من البيت الثاني إلى « وهما »(٤) .

أما الزبيدي فقد قال في معرض كلامه عن عيسى بن عمر : « وفيه يقول الشاعر :

ذهبَ النحو جميعا كلّهُ ... غيرَ ما احدثَ عيسى بن عمر
وهما بابان صارا حكمة ... واراحا من قياسٍ ونظر(٥)

فنسبهما إلى « الشاعر » وأبدل البيت الثاني من رواية السيرافي ببيت

(١) السيرافي ، أخبار النحويين ٢٥ ، السيوطي ، البغية ٢ / ٢٣٨ ، الخوانساري ، الروضات ٢/٢٧٣ ، حاجي خليفة ، كشف الظنون ١/٥٧٦.

(٢) الانباري ، النزهة ط.مصر ٢٢ ، ابن خلكان ، الوفيات ٣ / ١٥٥.

(٣) السيوطي ، المزهر ٢ / ٣٩٩ .

(٤) الحلبي ، مراتب النحويين ٢٣ ، اليغموري ، نور القبس ٥٨ .

(٥) الزبيدي ، ن . م ، ٣٧ .

آخر ، ولكنه عاد في نفس الصفحة فنسبهما إلى الخليل ورواهما مرة أخرى فاثبت رواية السيرافي الاولى .

وأضطربت آراء الباحثين المحدثين ، أيضاً ، بشأن هذين الكتابين ، وما زعم من قول الخليل فيهما . لقد رجحت الدكتورة خديجة الحديثي ان « الرواية تدل على ان الاكمال والجامع بابان في النحو وليسا كتابين »(١) . واستدل آخرون على « ان كتاب سيبويه انما قام أساساً على كتابي عيسى » (٢) بن عمر .

ومع اننا أسلفنا القول بعدم استبعادنا تأليف عيسى واملائه لمذكرات أو ما يشبه المذكرات ، وأنه قيل ان المبرد رأى أوراقاً منها (٣) ، مع ذلك ، نجد ان الرواية على جانب كبير من الضعف ، وما يضعفها هو مضمونها نفسه ، والبيتان .

ان الرواية تفترض ، ضمناً ، ان الخليل كان جاهلاً بالكتابين وعلم بامرهما ، فقط ، من سيبويه ، مع انه كان من أبرز تلاميذ عيسى بن عمر وأشدهم التصاقاً به واذكاهم وأكثرهم دقة ملاحظة ، « قال الاصمعي : كنا عند الخليل فانشدته أبيات اليهودي [السموأل] حتى مررت بقوله :

ينفع الطيّب القليلُ من الكسبِ ولا ينفع الكثير الخبيثُ

فقال : كيف قال ؟ . . . قلت : ليس في كلامهم الثاء ، فقال :

(١) كتاب سيبويه وشروحه ٣٤ .

(٢) السيد ، مدرسة البصرة النحوية ، ٥٣٤ . شلبي ، أبو علي الفارسي ٤٥٣ ، قريب من معنى النص .

(٣) الحلبي ، مراتب النحويين ٢٣ . وقد نقض السيرافي رواية الحلبي وهو أقدم منه ومعاصر للمبرد فقال « وهذان الكتابان ما وقعا الينا ولا رأيت أحداً يذكر انه رآهما » أخبار النحويين ٢٥ .

كيف قال الكثير ؟ » (١) ، فليس في المعقول ان يكون الخليل جاهلاً بالكتابين ، بهذه الصورة .

ومن جهة ثانية ، لو كان عيسى بن عمر ألف الكتابين حقيقة ، لاقرأهما طلابه ومنهم الخليل ، ومن المحتم آنذاك ان سيكون الخليل على علم تام بهما .

ويغلب على الظن ، ان عيسى عمر كان قد كتب شيئاً في اللغة والنحو ، وان ماأملاه عيسى دخل في فصول من كتاب سيبويه ، فما كتاب سيبويه الا علمه وعلم الخليل مضافاً إلى تراث السابقين ، وان الرواية والبيتين وضعا طعناً بكتاب سيبويه ، وتقليلاً من مكانة الخليل في هذه الدراسة ، لا غير .

(١) الزبيدي ، طبقات النحويين ، ٤٧ .

كتاب سيبويه :

لقد مثل كتاب سيبويه مرحلة النضج في التأليف فضم « ما ابتكره الخليل إلى محصول الباحثين السابقين » (١) وكان سيبويه فيه أميناً « كل الامانة في نقله وتأديته . . . [وله] عمل واضح فى هذا الاثر فقدجمع الاقوال وبسط الاراء ووازن بينها ، وحمّل مثل هـــذا العمل الضخم وتأديته كأحسن ما تكون التأدية . ليس سهلاً ولا يسيراً »(٢) ، ولم يكن الكتاب « الا واحداً من مصنفات عدة سبق عصر [ه] في التأليف » (٣) ولـذلك لم يكن محتوياً على النحو والصرف فحسب بـل كان مشتملا على مختلف فروع العربية والدراسات القرآنية (٤) ، و « لم يصلنا كتاب قبله جمع هذه المادة جمعـاً وافياً » (٥) ، وبذا يظهران ظهور الكتاب لم يكن فجائياً كما وصفوا (٦) .

لقد مثلت مرحلة تأليف الكتاب قمة النشاط العقلي للدارسين ، فهو أول مصنف مدرسي منظم ... [اعتمده] أبناء العربية مرجعاً . . . في

(١) بروكلمان ، تاريخ الادب ٢ / ١٣٤ .

(٢) المخزومي ، سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان ، مجلة المعـــلم الجديد ٤٣ .

(٣) السامرائي ، د . إبراهيم ، الفعل زمانه ... ص٥ .

(٤) الحديثي ، د . خديجة ، كتاب سيبويه وشروحه ٦٣ .

(٥) أيضاً ، ابنية الصرف في كتاب سيبويه ١٥ .

(٦) أمين ، أحمد ، ضحى الاسلام ٢ / ٢٨٥ .

دراسة النحو » (١) فكثرت فيه تعبيراتهم من مثل « أما قولك . . . » أو « كيف تقول . . . » أو « ألا ترى . . . » أو « لانك لم ترد ...» أو « اعلم أن ... » .

ان منهجية الكتاب التعليمية جعلت الدارسين يتقاطرون على دراسته فاذا « برز فيه منهم عالم تجمعوا حوله وأخذوا عنه » (٢) ، وقيـل ان الكتاب « تخرق في كم المازني بضع عشرة مرة » (٣) .

لقد اثيرت تساؤلات كثيرة عن مصير المؤلفات التي سبقت عصر «الكتاب» وبفقدان هذه المؤلفات تسرب الشك أيضاً إلى صحة نسبة كتاب سيبويه، وكتاب العين (٤) ، وبفقدان هذه المؤلفات أيضاً ، استدل على ان تاريخ النحو « غامض كل الغموض [فاننا] ... نرى فجأة كتاباً ضخماً ناضجاً هو كتاب سيبويه » (٥) .

يبدو لي ، ان الموضوع لا يستوجب التساؤل وليس فيه غرابة ، وبالتالي يجعل مثل هذا الاستدلال ، غير علمي ، ولو كان العكس ، ووصلتنا بعض المؤلفات السابقة لعصر الكتاب ، لكان الامر شاذاً يستوجب التساؤل لغرابتـه .

ان طبيعة الاتجاه البصري في الدراسات ومنطلقه التعليمي جعـــل

(١) حتي ، وجماعته ، تاريخ العرب ، مطول ، ١ / ٣٠٩ .

(٢) العبيدي . أبو عثمان المازني ٦٨ .

(٣) السيوطي ، البغية ٢ / ٢٢٩ .

(٤) المنجـــد ، المنتقى من دراسات المستشرقين ، ١ / ١٣٣ ، المستشرق جب .

(٥) أمين ، أحمد ، ضحى الاسلام ٢ / ٢٨٥ .

التدرج في التأليف يخضع لسنة الانتقاء والاختيار ، ودائماً يختار الافضل ويظهور « الكتاب » الذي مثل مرحلة النضج ، ولكونه ضم أغلب مادة المؤلفات السابقة له ، جعل تلك المؤلفات تفقد قيمتها التعليمية ، فمن المؤكد انها كانت تعليمية أيضاً ـ ولم يعرف ذلك العصر منطق المحافظة على التراث ـ تماماً مثلما حدث لكتاب المازني في التصريف وما نقل عن كتاب معاذ بن مسلم الهراء ، في هذا الموضوع .

ربما كانت حدثت محاولات من قبل الهراء أو غير الهراء في التأليف في التصريف مستقلا عن بحوث اللغة ، وفشلت ، فقد ضم كتاب سيبويه التصريف إلى جانب النحو ، والدراسات القرآنية أيضاً ، مما يدل على ان التصريف قبل عصر الكتاب لم يكن علماً ناضجاً بعد ، وبنضج التأليف في عصر الكتاب ، وتطور العلوم والعقلية العربية الاسلامية ، هيأت الظروف للمازنى كي يجعل التصريف علماً مستقلا عن علوم اللغة الاخرى، ونحن نجد كتاب التصريف نسخه طبق الاصل ، في منهجه ، عن كتاب سيبويه ، الا الاختلاف في المادة ، فكلاهما ألف بمنهجية واحدة ولغاية واحدة ، وكلاهما كتاب تعليمي .

وقد نتساءل ، لماذا لم يقم « مقتضب » المبرد بدور كتاب سيبويه فيفقد « الكتاب » قيمته ويجعله في مطاوي النسيان ؟ .

ان المقتضب أكثر تفصيلا من كتاب سيبويه في أكثر من باب من أبواب النحو .

والجواب سهل وميسور ، كان المقتضب ، كتاب علماء أخذوا بقسط وافر من المنطق والفلسفة ، وغلب المنطق والفلسفة على بحوث المقتضب فجنح به إلى التعقيد الذي أبعده عن طبيعة الدراسات النحوية ، فمال

عنه المتعلمون ، وظل « الكتاب » كتابهم ، وما زال .

ومن هنا فقدت المؤلفات التي سبقت عصر الكتاب ، عناية الدارسين والتفاتهم بفقدانها قيمتها التعليمية ، فأهملت ، وضاعت ، وطواها النسيان .

***

الفصل الخامس

اصالة النحو العربي ومسالكه العقلية

واضع النحو :

اعتاد المؤرخون ، ومن ثم الباحثون المحدثون ، على استعمال هـذا الاصطلاح للدلالة على من بدأ التفكير النحوي ورسم جذوره الاولى ، وبالتمحيص العلمي . يظهر خطأ هذا الاصطلاح ، فالنحو لم يكن يوماً « من عمل فرد أو أفراد وانما هو عمل للجماعات وثمرة جهود متظافرة لكثير من الدارسين الذين تعاقبوا على هذه الدراسة ، منذ مستهل النصف الثاني من القرن الاول أو منذ ان أقدم أبو الأسود على تحقيق عمله المعروف »(١) بنقطه المصحف الشريف .

هناك حقيقة لا يمكن تجاهلها ، هي ان كل عمل أو علم لا بد وان يكون هناك من يبدأ التفكير فيه ويرسم جذوره الأولى ، وفي الاعم الاغلب، تكون تلك الأسس والجذور فطرية خالية من التعقيد ، ولكنها تنمّى بجهود من يعقبونه في ذلك العمل ، ومن هذا المنطلق نجوّز استعمال هذا الاصطلاح .

(١) المخزومي ، مدرسة الكوفة ١٣ .

روايات وضع النحو :

إن أغلب الروايات وأرجحها ، تنص إن على ان أبا الأسود هو باديء التفكير النحوي وراسم منهجيته التعليمية ، بنقط المصحف ، أو بوضع واستنباط بعض الاصول النحوية ، وبالغ ابن فارس فنفى ذلك وادعى ان النحو وُجد قبل أبي الأسود وعفت عليه الايام فأحياه أبو الأسود (١) .

ولو كان يقصد بوجود النحو قبل أبي الاسود ، وجود الاسلوب العربي السليم ممثلاً بالنطق المعرب المؤدي إلى المعنى المقصود من الكلام ، واتباع العرب للاسس النحوية ، سليقة ، لكان رأيه مقبولاً ، ولكن نصه بان الايام عفت على النحو واحياه أبو الأسود ، يؤكد عدم ذهابه إلى هـذا القصد ، ويؤكد انه رأى بان القواعد النحوية نفسها ، كانت مستنبطة ومعروفة ، وهذه مغالاة وتزييف للواقع والحقيقة .

لقد اضطربت الروايات ، في بداية التفكير النحوي ووضع الاسس الأولى له ، اضطربت في من بدأ ذلك التفكير ، وفي الدافع والحافز الذي حفزه على ذلك العمل واضطربت في الاسلوب أيضاً .

١ ـ فقسم من الروايات ، وهو القسم الاعظم ، ذكرت بان الامام علياً (ع) وضع أو أوعز إلى أبي الأسود بوضع الاصول النحوية ، أو اعطاه أصولاً احتذى عليها (٢) .

(١) ابن فارس ، الصاحبي ، ٩ ـ ١٠ .

(٢) العسقلاني ، الاصابة ٢ / ٢٣٣ ، الخوانساري ، الروضات ٢ / ٢٧٢ ، الزجاجي ، الايضاح ٨٩ ، الزبيدي ، طبقات اللغويين ٣ ـ ١٩ . التوحيدي ، أبو حيان ، البصائر والذخائر ، القاهرة ١٩٥٣ ص ١٨٣ . الانباري ، النزهة ط . مصر ٤ ـ ٥ ، ١٣ ـ ١٨ .

=

٢ ـ وذكر قسم آخر ان الموعز كان عمر بن الخطاب (رض) (١) أو زياد بن أبيه (٢) أو ابن عباس حين أرشد ابا الاسود إلى الاستعانة بسورة يوسف (٣) .

٣ ـ ونص بعض آخر من الروايات على ان أبا الأسود بدأ التفكير النحوي بدافع ذاتي نتيجة حرصه على اللغة العربية والقرآن الكريم (٤).

= السجستاني ، المصاحف ١١٩ ، القفطي ، أنباه الرواة ١ / ٤ ـ ٥ .
المبرد ، الفاضل ٥ ، الاصفهاني ، الاغاني ١١ / ١٠٦ .
ابن خلكان ، الوفيات ٢ / ٢١٦ ـ ٢١٩ ، السيرافي ، أخبار النحويين ١٠ ، ١٢ ، ١٩ .
اليغموري ، نور القبس ٧ ، ابن جني ، الخصائص ١/ ٨ ـ ١٤ .
السيوطي ، الوسائل ١١٩ ، الرازي ، الزينة ١/ ٧١ .
ابن الجزري ، غلبة النهاية ١/ ٣٤٥ ـ ٣٤٦ .
ياقوت ، معجم الادباء ٥ / ٢٦٣ ، ٤ / ٢٨٠ ـ ٢٨٢ .
الديلمي ، ارشاد القلوب ٢/ ٦ـ٧ ، السيوطي ، الاقتراح ٨٤ـ ٨٥ .
ابن سلام ، طبقات الشعراء ١٤ .

(١) الانباري ، النزهة ط . مصر ٨ ، القفطي ، ن . م ١ / ٤ ـ ٢٣ .
(٢) القفطي ، ن . م ، ١/ ٤ـ٢٣ ؛ الانباري ، ن . م ، ٨ ، ١٠ .
السيرافي ن . م ١٣ ، العسقلاني ، ن.م، ٢/ ٢٣٢ .
السيوطي ، الوسائل ١٢٠ .
(٣) القفطي ، ن . م ٢/ ٤ـ٢٣ .
(٤) الانباري ، ن م ١٠ ، السيوطي ، الوسائل ١٢٠ .
العسقلاني ، ن.م ٢/ ٢٣٣ ، المبرد ، الفاضل ، ٥ .
السيرافي ، ن.م، ١٤ ، الاصفهاني ، ن.م، ١١/ ١٠٦ . =

٤ ـ وروايات أخرى نفت ان يكون أبو الأسود واضع النحو ، وذكرت ان واضعه هو عبد الرحمن بن هرمز أو نصر بن عاصم (١) ، أو عطاء بن أبي الأسود ويحيى بن يعمر (٢) وقد ضعف الرواة هذه الروايات .

واختلفت الروايات أيضاً ، في الحافز الذي حفز أبا الأسود ليقوم بهذا العمل ، فمنها :

١ ـ من جعل الحافز قرآنياً ، وهو سماع أبي الاسود للحن وقع في القرآن (٣) .

٢ ـ ومنها جعلت الحافز لحناً وقع في كلام ابنة أبي الأسود (٤) ، أو كلام بعض أهل الامام (٥) ، أو لحناً وقع في كلام بعض

= الزبيدي ، ن.م، ١٥ ، العسكري ، شرح ما يقع فيه التصحيف ١٤ .
ابن بدران ، تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧/ ١٠٤ .
ابن سلام ، ن م، ١٢ ، الزنجاجي ، تاريخ القرآن ٨٧ ـ ٨٨ .

(١) الانباري ، النزهة ، طمصر ١٠ . السيرافي ، أخبار النحويين ١٠ـ١٦ .
(٢) القفطي ، انباه الرواة ٢/ ٣٨١ .
(٣) القفطي ، ن م ، ١/ ٤ـ٢٣ . التوحيدي البصائر والذخائر ١٨٣ ، الانباري ن . م ٨ ـ ٩ .
العسكري ، شرح ما يقع فيه التصحيف ١٤ ، السيوطي ، الوسائل ١٢٠ .
العسقلاني ، الاصابة ٢/ ٢٣٣ .
(٤) المبرد ، الفاضل ٥ . السيرافي ،ن.م ١٤ .
الاصفهاني ، الاغاني ، ١١ / ١٠٦ ، الانباري ، ن.م ١٠ ، السيوطي الوسائل ١٢٠ .
العسقلاني ، الاصابة ، ٢/ ٢٣٣ ، ابن خلكان الوفيات ٢/ ٢١٦ ـ ٢١٩ .
(٥) اليغموري ، نور القبس ٧ ، السجستاني ، المصاحف ١١٩ .
الانباري ، ن.م، ٤ـ٥ .

الناس (١) .

لا يهمنا الترجيح بين الروايات بقدر ما يهمنا الحافز والاسلوب ، والحافز على هـذه الدراسات كان قرآنياً وَجّه الدراسات طيلة عصورها الأولى ، وقد يكون انضم إليه الحافز الثاني وقوّاه ، ولكنه ، بالتأكيد، لم يكن الحافز الثاني ، وحده ، دافعاً وموجهاً لهذه الدراسات .

ويبدو ان رواية الرازي توضح الحافز القرآني في ايجاد الاصول الاولى لهذه الدراسات والتفكير فيها ، قال : « قال عبد الله بن ابراهيم بن مهدي العمري (توفي بمصر سنة ٣٠٧ هـ) حـدثنا الاصمعي ، قال : سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : جاء اعرابي إلى علي عليه السلام ، فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، كيف تقرأ هـذه الحروف ؟ (لا يأكله الا الخاطون) . كلنا والله يخطو ، قال فتبسم أمير المؤمنين عليه السلام وقال : يا اعرابي : لا يأكله الا الخاطئون ، قال صدقت والله يا أمير المؤمنين ، ما كان الله ليظلم عباده ، ثم التفت أمير المؤمنين عليه السلام إلى أبي الاسود الدؤلي فقال : ان الاعاجم قد دخلت في الدين كافة ، فضع للناس شيئاً يستدلون به على صلاح السنتهم ، ورسم له الرفع والنصب والخفض ... »(٢) .

لعل ما يرجح الحافز القرآني استنباطاً من هذه الرواية ، ان أحكام الهمزة كانت تكوّن معضلة للدارسين أنفسهم ، كما حدث لابي عمرو وابن أبي اسحاق ، وان بعض الدارسين كانوا يفيضون في الكلام عن

(١) الانباري ، ن.م، ١٠ ، السيوطي ، الوسائل ١٢٠ .
الزبيدي ، طبقات النحويين ١٥ ، العسقلاني ، ن.م، ٢٣٣/٢ .
السيرافي ،ن.م، ١٣ ، ١٤ ، الزنجاني ، تاريخ القرآن ٨٧ ـ ٨٨ .
(٢) الرازي ، الزينة في الكلمات الاسلامية ٧١/١ ـ ٧٢ .

الهمزة فيؤلف من اماليهم كتباً ، كما نقل عن ابن أبي اسحاق ، وهذا الوضع يجعل من السهل ان يقع اعرابي أو اعجمي في خطأ نتيجة جهلة باحكامها ، وإلى هذا أشارت الرواية .

ثمة رواية أخرى لابن الانباري نصت على ان الاعرابي قرأ « لا يأكله الا الخاطئين » (١) وتبدو هـذه الرواية مصحفة عن رواية الزينة ، فهي لحن ، واللحن مستبعد من الاعرابي .

واختلفوا في الاسلوب فجاءوا باقوال بين مغال(٢) ومعقول(٣) . ولعل أكثرها مغالاة ما ذكره ابن سلام من ان أبا الاسود « وضع باب الفاعل والمفعول والمضاف وحروف الجر والرفع والنصب والجزم »(٤) ، وماذكره السيوطي من ان الامام وضع لابي الاسود « باب ان وباب الاضافة وباب الامالة ، ثم صنف أبو الاسود باب العطف وباب النعت ثم .... باب التعجب وباب الاستفهام »(٥) .

فلو كان معقولاً ان يهتدي في هـذا العصر المبكر من الدراسات إلى ان الكلام اسم وفعل وحرف ، كان من المستبعد ان يعرف آنذاك أغلب

(١) الانباري ، النزهة طبعة السامرائي ص ٣ ، ابن خلكان ، الوفيات ٢١٦/٢ـ٢١٩ .
(٢) السجستاني ، المصاحف ١١٩ ، الانباري ، ط مصر ٤ـ٥ .
القفطي ، انباه الرواه ٤/١ـ٥ ، العسقلاني ، الاصابة ٢٣٢/٢ .
(٣) كذكرهم ان الكلام اسم وفعل وحرف وانه عرف الرفع والنصب والخفض .
الرازي ،ن.م، ٧١/١ـ٧٢ ، اليغموري ، نور القبس ٧ .
(٤) ابن سلام ، طبقات الشعراء ١٤ .
(٥) السيوطي ، الاقتراح ، ٨٤ ـ ٨٥ .

أبواب النحو وان الاسم « ظاهر ومضمر واسم لا ظاهر ولا مضمر»(١)، كما يبدو ان ارشاد الامام أبا الأسود إلى « الرفع والنصب والخفض»(٢) منسجم مع نقط أبي الاسود للقرآن وقوله للكاتب الذي أملى عليه : « اذا رأيتني فتحت فمي بالحرف .. . » (٣) ، وان تعبير الرفع والنصب والخفض تعبير متأخر ، من عصر الراوي .

رأي المحدثين في واضع النحو :

لقدرجح بعض الباحثين وضع أبيالاسود للنحو بارشاد الامام «ع»(٤) وانه كان « أول من وضع شيئاً من الضوابط الاعرابية ، وان مادة نحو مرتبطة به »(٥) « ولا يقصد انه وضعه كاملاً وانما فكر فيه ووضع رؤسا من مسائله » (٦) ، فتكون « نسبة النحو إلى أبي الاسود لهـــا أساس صحيح »(٧) ، على حين يرى باحث آخران أبا الأسود وضع الاصول الاول من النحو بايعاز واشراف من زياد بن أبيه وانه اشتغل بهذه الدراسة بعد استشهاد الامام ولم يحب ان يتعرف عنه الاشتغال لحساب السلطة الاموية

(١) الانباري ، النزهة،ط،مصر ٣ ـ ٤ .
(٢) الرازي ، الزينة ١ / ٧١ ـ ٧٢ .
(٣) السيرافي ، أخبار النحويين ١٢ .
(٤) حسن ، عباس ، رأى في بعض الاصول اللغوية والنحوية ١٤ .
(٥) السامرائي ،د. إبراهيم ، النحو النحو العربي ص١٤ .
(٦) السيد ، مدرسة البصرة ٥٢ .
(٧) أحمد امين ، ضحى الاسلام ، ٢٨٦/٢ .

فروّج تلك الروايات المتناقضة لانه كان يسلك في حياته سلوكا انتهازياً دنيوياً (١) .

وهناك من الباحثين من أنكر وضع أبي الاسود لبعض الاصول النحوية فـ « ليس حقاً ما يقال [ان أبا الاسود] واضع أصول النحو ، أمـا القصص التي تروى عنه فليست مما يعلي قدره ولكن يؤخذ من أشعاره ان بعض هذه القصص على الاقل قد أحكم تأليفه »(٢) ، وان صلة أبي الاسود بالنحو « أمر لا يزال غامضاً بعد وما يتروى عن تلاميذ أبي الاســـود المزعومين ، فهو أمر غير أكيد أيضاً مثل علاقات أبي الاسود نفسه بهذه الدراسات ، ونحن ندخل لأول مرة في دائرة التاريخ الصحيح مع طبقة اساتذة الخليل وسيبويه »(٣) .

وهناك من نفى ، حتى صلة اساتذة الخليـل وسيبويه بهـذه الدراسات وعنده « ان الخليـل وسيبويـه لم يكتشفا النحو العربي وانما اخترعـــاه اختراعاً » (٤) .

رأي المرحوم ابراهيم مصطفى والاستاذ عبد الوهاب حمودة في اول من وضع النحو :

دارت مناقشة علمية بين هذين الباحثين الفاضلين ، وكان لهما رأيان مختلفان ، في الموضوع ، وكان ملخص رأي الاستاذ ابراهيم مصطفى :

(١) الوردي ، اسطورة الادب الرفيع ١٩٣ ـ ١٩٧ .
(٢) دائرة المعارف الاسلامية ٣٠٨/١ .
(٣) بروكلمان ، تاريخ الادب ١٢٨/٢ .
(٤) حسان ، د . تمام ، مناهج البحث في اللغة ، القاهرة ١٩٥٥ص٥٨ .

انه ناقش بعض روايات وضع النحو وتخلص إلى القول بـ « اننا لا نستطيع ان نتقبل ذلك بيسر ولا ان نستسيغ ان هـذا الزمن المبكر قد تمكن فيه العرب من الانتقال بالعلوم ووضع القواعد على هذا الوجه الذي نراه في كتب العربية ، وقد أنكر ذلك المستشرقون وعدوه حديث خرافة » (١) ثم قال بأننا « أمام حقيقة واضحة » (٢) تستنتج من كتب النحو وليس من كتب الطبقات ذلك ان أول من نسب إليه رأى نحوى هو ابن أبي اسحاق ولا نجد في كتب الطبقات ذلك ولا في الكتب التي تلته رأياً نحوياً ينسب إلى من هم قبل ابن أبي اسحاق « فاذا عـدنا بهذه الحقيقة لنقرأ على نورها النصوص التي ذكرناها من قبل وجدنا انهم يقولون ، أول من وضع النحو وأول من رسم النحو وأول من نقط المصاحف أبو الاسود الدؤلي ، فعمل أبي الأسود هو نقط المصاحف كما أشارت إليه الروايات »(٣) ثم يذكر ان القواعد النحوية التي عاشت حتى الان ، فاول من نهج سبيلها هو عبد الله ابن أبي اسحاق مستنداً إلى ما ذكره ابن سلام من ان ابن أبي اسحاق كان « أول من بعج النحو ومد القياس وشرح العلل » فيستدل على ان ابن أبي إسحاق كان قد « بدأ التفكير النحوي ولم يستنبط كثيراً من قواعده »(٤) بدليل قلة آرائه في كتاب سيبويه وهي ستة آراء ، وان الناس نسبوا وضع النحو إلى أبي الأسود لانهم « كانوا يكرهون ان ينسب شيء إلى زياد ويحبون أن ينسب كل شيء

(١) مصطفى ، إبراهيم ، أول من وضع النحو ، بحث نشر في مجلة كلية الاداب ، جامعة فؤاد الأول ج ٢ / مجلد ١٠ / ك ١ ، ديسمبر ١٩٤٨ ص ٧١ .

(٢) أيضاً ٧٢ .

(٣) أيضاً ٧٢ .

(٤) أيضاً ٧٢ .

إلى علي وشيعته ، فخفيت الحقيقة حتى آن ان يجليها البحث في كتب النحو ذاتها لا في أخبار الطبقات » (١) ، و « انهم كانوا يريدون بالنحو ضبط الكلام على سبيل العرب وسمتها في القول »(٢) . لقد ناقشه الاستاذ عبد الوهاب حموده ببحث مسهب لم يخلو من التهجم والاتهام (٣) فاتهمه بانه قلد ابن مضاء القرطبي قبل ان ينشر كتاب ابن مضاء ، ثم قلد أحمد أمين ونقل أفكاره وعباراته بصورة « مزيفة » (٤) .

لقد لخص الاستاذ حمودة بحث الاستاذ إبراهيم مصطفى بخمس نقاط رد عليها واحدة فواحدة فقال انه بالنسبة إلى الزعم بان ابن أبي اسحاق كان أقدم من نسب إليه رأي نحوي ، وذلك لا يعني ان عدم ورود آراء لابي الاسود دليل على رد الروايات ، فردها له مجال آخر (٥) وان محاولات ابن أبي اسحاق تشبه محاولات من سبقه فهو قد أخذ عن نصر وميمون ويحيى وعنبسة وهم أخذوا عن أبي الاسود ولا يستغرب ان يكون التلميذ مثلاً لإراء استاذه أو اساتذته « وصورة لعقليتهم » (٦) . وأما الزعم بان النقط يرجع لضبط المصحف وليس إلى النحو واختلاط الامر على الرواة بسبب وهمهم في تعريف النحو وكره الناس نسبة الامر إلى زياد فنسبوه إلى علي وشيعته ، رد حمودة بان أبا الاسود كان من مفكري

(١) مصطفى ، إبراهيم ، أول من وضع النحو ٧٤ .

(٢) أيضاً ٧٤ .

(٣) حمودة ، عبد الوهاب ، « أول من وضع النحو » بحث نشر في مجلة كلية الاداب جامعة فؤاد الاولى ج ١ / مجلد ١٣ / مايس ١٩٥١ . ص ١٣٣ ـ ١٤٤ .

(٤) حموده ، أول من وضع النحو ١٣٣ .

(٥) أيضاً ، ١٣٤ .

(٦) أيضاً ١٣٦ .

عصره بالاضافة إلى شاعريته ومنزلته الاجتماعية وحياته في مجتمع تفشي فيه اللحن « فكما سلم بما اخترعه من النقط ضابطاً للمصحف كان ينبغي ان لا يمنع عليه التفكير في ضوابط أولية ساذجة يهتدي بها الاعاجم في كلامهم »(١) ، وان ذهاب الاثار في بطون التاريخ لا يسقط من قيمة الرواية حولها ، محتجاً ، بان عدم وجود الصحف الاولى التي كتب فيها الوحي وعدم وصولها الينا « لا ينفي وجود القرآن وامتداد وجوده لانها في المصحف الحالي [و] . . قياساً على هذا ان الاراء الساذجة الاولية التي رسمها أبو الاسود وتلامذته ... قد نجدها ممثلة فيمن جاء بعدهم »(٢) ، وفي ختام بحثه ، اتهمه بنقل أفكار الغير والتصرف بها دون الاشارة إلى ذلك ، وساق أمثلة عليها ، كما اتهمه بالافتقار إلى الامانة العلمية وعدم تحريه الدقة في نقل النصوص * .

(١) أيضاً ١٣٦ . (٢) أيضاً ١٣٧ .

* نقل الاستاذ إبراهيم مصطفى نصاً نسبه إلى الرافعي في تاريخ الادب ، وهو « ان معرفة واضع النحو في العربية يكاد يكون معضلة » وزعم الاستاذ حمودة ان النص الصحيح هو « ان تاريخ وضع النحو لا سبيل إلى تحقيقه البتة » .

ومع ان رأي الرافعي ليس بحجة ، فهو رأي كسائر الاراء المعاصرة، له ما يبرره وما ينقصه أيضاً ، الاان كلا الباحثين كاناقد وقعا فيالوهم ، وهم نسبة الرأى إل الرافعي ووهم نقله والدقة في النقل ، فالنص كان « اما تاريخ وضع النحو فلا سبيل إلى تحقيقه البتة » الرافعي ، تاريخ الادب ٣٣٦/١ .

والوهم في النسبة ان الرأي ، أو النص ، لم يكن للمرحوم الرافعي، بل كان للمرحوم محمد سعيد العريان ، محقق وشارح كتاب الرافعي ، =

. . . . . .

= وقد تبع الاستاذ حسن عون هذين الباحثين فوقع في نفس الملابسة ووصف النص بانه جريء وصريح ، اللغة والنحو ١٥٤ ، ودليلنا على ان النص للعريان وليس للرافعي ، هو .

١ - ان النص لم يكن في متن الكتاب بل كان في الهامش وفي السطر الاخير منه .

٢ - مع ان مقدمة الكتاب بقلم المشرف على الطبع الاستاذ العريان ، ومع ان المقدمة لاتشير إلى كاتب الهامش ، فهناك ثمة قرائن تؤكد ان الهامش كان للعريان .

آ - قال الرافعي ، في المتن « ولما وضع أبو الاسود النحو وأطلق عليه لفظ العربية . . . وكان الناس يختلفون إليه يتعلمونه . . . » ٣٣٦ / ١ كان هناك رقماً صغيراً فوق لفظ « العربية » وفي الهامش تعليق عليهوفي آخر سطر منه كان هذا النص المختلف حوله .

ب - قال الرافعي : « كان أبو الاسود قد روى الشعر واستقصى ذلك وبالغ ومع ذلك فلم يسم علم هذا الكلام باللغة ولم يعرف فيزمنه الا العربية للنحو »٣٣٧/١ .

ج - في مكان آخر حين الحديث عن اللحن ، يقول الرافعي « خيف من تمادى ذلك على لسان العرب من الفساد فوضع أبو الاسود الدؤلي أصول النحو » ٢٤٤/١ .

وبهذا يظهر ان النص لم يكن للرافعي ، بل كان للعريان شارح الكتاب والمشرف على طبعه ، ووهموا فنسبوه إلى الرافعي .

ابو الاسود والنحو العربي :

وصف الجاحظ أبا الاسود بانه كان « خطيباً عالماً ... جمع شدة العقل وصواب الرأي وجودة اللسان وقول الشعر . . » (١) ، وعده مقدماً في طبقات اجتماعية وعلمية (٢) ، وقيل عنه انه كان « من أكمل الرجال رأياً وأسدهم عقلاً » (٣) ، كما نقل شيئاً كثيراً عن حسن تصرفه في ازمات وقع فيها(٤) ، أو في مداراته للسلطة (٥) أو قدرته على فض بعض المنازعات باسلوب ينم عن علم وخبرة (٦) ، ولعل ما يبين حنكته وعمق تفكيره ، هو جوابه لسائل سأله عن سبب خروجه من بيته إلى المحافل العامة ، وهو هرم ، فاجابه « الركوب يشد أعضائي ، واسمع من أخبار الناس ما لم أسمعه في بيتي ، واستنشق الريح ، والقى اخواني ، ولو جلست في بيتي لاغتم بي أهلي ، وأنس بي الصبي ، واجترأ علي الخادم ، وكلمني من أهلي من يهاب كلامي لالفهم اياي . . . » (٧) ، فبنى جوابه على مقدمات وضحها واستخلص منها نتائج لها ، فاعماله وتصرفاته هذه ،

(١) البيان والتبيين ١ / ٣٢٤ .
(٢) البغدادي ، الخزانة ١ / ١٣٦ .
الاصفهاني ، الاغاني ١١ / ١٠٧ .
(٣) السيوطي ، البغية ٢ / ٢٢ .
(٤) ابن بدران ، تاريخ ابن عساكر ٧ / ١٠٥ ـ ١٠٦ .
(٥) الاصفهاني ، الاغاني ١١ / ١١٣ ، ١١ / ١١٧ ، ١١/١٢٣ .
(٦) أيضاً ١١/١٠٨ . (٧) أيضاً ١١ / ١٠٨ .

ما كانت الا نتيجة لعمق تفكيره وعقلانية سلوكه ، وحتى بخله ينم عن ذلك أيضاً (١) . وكل ذلك يجعلنا ان نقول ان أبا الاسود كان مفكراً عميق التفكير ، من مفكري عصره ومجتمعه . نسب إليه شعر كثير جمع في ديوان مطبوع مرتين ، ويهمنا من شعره قصيدته في الامام (ع) والتي مطلعها :

يقول الارذلون بنو قشير طوال الدهر لاتنسى عليّا

إلى ان يقول :

فان يك حبهم رشدا أصبه ولست بمخطيء ان كان غيّا (٢)

فقيل له ، شككت في موضع لا يحسن الشك فيه (٣) ، فحاججهم بالآية الكريمة « وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين »(٤) ، فهل يا ترى خرج احتجاجه عن موضوع النحو ؟ ، ونقل عنه انه قال « من العرب من يقول لولاى لكان كذا وكذا »(٥) .

لقد جاء بعده دارسو النحو فاختلفوا في الحاق الضمير بلولا ، قالوا ان ولاها ضمير فيجب ان يكون ضمير رفع ، وانها جارة للضمير مختصة به

(١) شلبي ، أبو علي الفارسي ٤٣٢ .
(٢) الاصفهاني ، الاغاني ١١ / ١١٨ .
اليغموري ، نور القبس ٩ ـ ١٠ .
البكري الاوني ، سمط اللالي ٢ / ٦٤٣ .
السيرافي ، أخبار النحويين ١١ .
(٣) الاصفهاني ، الاغاني ١١ / ١١٨ .
اليغموري ، نور القبس ٩ ـ ١٠ .
(٤) سورة سبأ ، الآية ٢٤ .
(٥) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ٢ / ٤٨٥ .

ولا تتعلق بشيء ، وموضع المجرور فيها رفع بالابتداء وخبره محذوف ، وفي هذه الاقوال خلاف بيّن (١) .

ان الضمير الذي اثبته أبو الاسود في هذه الصيغة ، فجوز استعمالها، لم يكن ضمير رفع ، ثم قال النحاة انه من المسموع القليل الذي لايقاس عليه(٢) ، وهذا يعني ، بالاولوية ، ان أبا الاسود كان ملتفتاً إلى الاستعمال الغالب في « لولا » .

لقد رأينا في فصل سابق ان أبا الأسود نقط القرآن املاءً على شخص آخر اختاره بعناية وتؤدة ، وهذا لابدّ انه استدعى منه ان يلفظ القرآن كلمة فكلمة بعناية وتؤدة أيضاً ، ولا شك ان التؤدة قد صحبها التفكير نظراً لما لهذا العمل من أهمية ، فمن المستحيل على من كان بمثل ما ذكرناه لابي الاسود من مؤهلات عقلية وعلمية ان لا يستلفت انتباهه تغير حالات الكلمة بتغير موقعها في القرآن ، وان لا يربط بين حالات الاعراب والمعنى ، والا فما هو النحو ؟ . لا نذهب إلى انه أصّل النحو وفرّعه ، كما ذكر المؤرخون ، وانه وضع أبواباً معقدة منه ، فلا يمكن القول بهذا وطبيعة العلوم في النمو وسنة التدرج تخالف ذلك ، ولكن المؤكد ، انه بدء بوضع شيء من أصول النحو وانه التفت إلى بعض القواعد النحوية .

(١) ابن هشام ، المغنى ١ / ٢٧٤ .
المبرد ، الكامل ٣ / ٣٤٥ .
(٢) ابن هشام ، المغنى ١ / ٢٨٤ .

النحو العربي ونحو الامم الاخرى :

قال كثير من الباحثين بان النحو العربي ، في اصوله ، مستمد من نحو أمم أخرى ، وزعموا تلك الصلة منذ عصر أبي الاسود وإلى عصر الخليل .

وزعموا ، ان بيئة العراق في عصر ابي الاسود كانت سريانية ، وان أبا الاسود أخذ النحو عن السريان (١) ، لان السريان اخترعوا اصول الحركات الاعرابية (٢) ، وان هذه الحركات تشابه الحركات العربية ، « ولعل ابا الاسود كان له ـ اتصال أو معرفة ببعض هذه القواعد من السريان »(٣) ، وكان تأثير ذلك في العصر الاول ضعيفاً (٤) ، وان « استعجال العرب في تدوين النحو ... تابع لاستعجالهم في الفتح»(٥) !!

وقالوا ، ان تاريخ النحو العربي يشبه تاريخ النحو اليوناني(٦) ، وأن تقسيم الكلمة عند العرب إلى اسم وفعل وحرف متأثر بمنطق ارسطو(٧)

(١) عون ، د . حسن ، اللغة والنحو ٢٤٨ .
زيدان ، جرجي ، تاريخ آداب العربية ١ / ٢٥١ ، أيضاً ، تاريخ التمدن ٣ / ٨٤ ـ ٨٥ .
(٢) الرافعي تاريخ آداب العرب ١ / ١٠٥ .
(٣) الدجيلي ، شرح ديوان أبي الاسود ٦٩ .
(٤) أمين ، أحمد ، ضحى الاسلام ٢/٢٩٢ .
(٥) زيدان ، تاريخ آداب العربية ١ / ٢٥١ .
(٦) ايضاً ١ / ٢٥٠ .
(٧) دائرة المعارف الاسلامية ١ / ٦١٣ مادة ارسطو .

وقد « تأثر ابو الاسود بمنطق ارسطو إلى حد ما ، ولكنه لم يتأثر بواحد من النحويين اليونان »(١) .

وقالو ، ان « النحو العربي من وضع الاجانب من الاراميين والفرس ، وقد أوجدته الحاجة التي أحس بها هؤلاء الاجانب لتعلم الكتابة العربية وقراءة اللغة العربية على وجه صحيح ، وعلى الاخص غير العرب الذين أرادوا ان يقفوا حياتهم للدراسات العلمية »(٢) . ! !

ورجحوا وجود علاقة بين النحو العربي والنحو الهندي(٣) ، لان هناك رواية عن احد ملوك الهند تشبه احدى روايات وضع النحو بين ابي الاسود وابنته ، تقول الرواية : « قالوا في اولية هـذا العلم [النحو] ان أحد [ملوك الهند] . . . كان يوماً . . . يلاعب نساءه فقال لاحداهن ـ ماوَدْ كَنْدَهي ـ أي لاترشي عليّ الماء ، فظنت انه يقول ـ مَوْد كَنْدَهي ـ اى احملي حلوى ، فذهبت ، فاقبلت به . فانكر الملك فعلها ... [فـ] جاءه أحد علمائهم [و] . . . وعـده تعليم النحو وتصاريف الكلام ، وذهب ذلك العـالم إلى ـ مهاديو ـ مصليا مسبحاً ، وصائماً متضرعـاً ، إلى ان ظهر له واعطاه قوانين يسيرة ، كما وضعها في العربية ابو الاسود الدؤلي ووعـده التأييد فيما بعـدها من الفروع ، فرجع العالم إلى الملك وعلمـه اياها وذلك مبدأ هذا العلم »(٤) .

(١) اوليرى ، علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب ١٩٩ .

(٢) مكرم ، القرآن واثره في الدراسات النحوية (نقلا عنه) ٥٤ـ٥٥ والنص لفون كريمر في كتاب الحضارة الاسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الاجنبية ص ٩٠ .

(٣) أحمد امين ، ن . م ١ / ٢٥٧ ـ ٥٨ .

(٤) البيروني ، محمد بن احمد ، تحقيق ما للهند ، حيدر اباد الدكن ١٩٥٨ ص ١٠٥ .

وهذا الترجيح مرفوض ، فقد كانت رواية ابنة أبي الاسود لحناً في الكلام، وهذه الرواية وهما في السمع كما ان راوي هذه الرواية ، البيروني ، من علماء القرن الخامس الهجري « ت ٤٤٠هـ » وروايات وضع النحو وجدت عند علماء سبقوه زمناً بكثير .

دراسة الدكتور حسن عون في الموضوع ومناقشته :

لقد بحث الدكتور حسن عون علاقة النحو العربي بالنحو السرياني من خلال علاقة أبي الاسود بعلماء السريان ، تلك العلاقة التي افترضها الاستاذ وبنى عليها ما بنى ، وقد اخترنا هذه الدراسة لمناقشتها ، لانها في رأينا ، تمثل النموذج المتكامل لمزاعم صلة النحو العربي بالنحو السرياني .

يقول الدكتور : « ان أبا الاسود ، وقد اتخذ بيئة العراق موطناً وكان بها والياً ادارياً وفيها عالماً لغوياً وزعيماً دينياً ، ونحن نعلم ان هذه البيئة كانت قبل الفتح العربي وبعده مغزوة باللغة السريانية وبالمعارف السريانية ، وكانت إلى جانب ذلك آهلة بالعلماء السريان وميداناً لدراساتهم ومناقشاتهم لا في الناحية الدينية أو الفلسفية فقط ، ولكن في مختلف العلوم الانسانية ومنها اللغة والنحو ، ونعلم أيضاً ان اللغة العربية ، قد تعرضت بعد اتساع الفتوح الاسلامية إلى نفس الازمة التي تعرضت لها اللغة السريانية في خلال القرنين الرابع والخامس بعد الميلاد ، ظهور لغات أخرى في ميدان الحديث والكتابة وانتشار اللحن بين الناطقين ، والخوف من ان يمتد هذا اللحن إلى نصوص الكتاب المقدس »(١) .

ثم يقول : « بقي علينا ان نوضح كيف اتصل أبو الاسود باللغة

(١) اللغة والنحو ٢٤٨ .

السريانية وبعلمائها ، والامر في ذلك سهل ، اذ ان صلته بالعلماء ليس من السهل ان يشك فيها ، فقد كانوا الطبقة المستنيرة المثقفة في بيئة العراق ، وكانوا فوق ذلك يمارسون نشاطاً في هذه البيئة لا يجارى من ناحية الدرس والتفكير ، ولا ينبغي مطلقاً لعالم ديني لغوي وحاكم اداري كأبي الاسود ان يجهل وجود هذه الطبقة ، فهو لا بد ان يكون قد اتصل بها وخالطها وتحدث إليها وتعرف على كثير مما تهتم به من المسائل العلمية . وإذا كان الامر كذلك فليس هناك ما يستلزم ان يكون أبو الاسود قد تعلم السريانية لكي يأخذ منهج شكل النصوص الدينية على أصحابها ، فمن الممكن جداً ان يأخذه عن طريق الترجمة سواء من العرب الذين يعرفون السريانية أم من السريانيين ، معرفة تمكنه من التفاهم بها وقراءة نصوصها إلى حد ما ، وذلك لاقامته الطويلة في بيئة العراق واهتمامه الشديد بالابحاث اللغوية والدينية أثناء اقامته في تلك البيئة وهي تكاد تكون بيئة سريانية في أول عهد اتصال العرب بها ، ولما ورد من الاثار من ان الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد حثوا على تعلم اللغات الاجنبية ، وأولها في ذلك الوقت بالنسبة للمهتمين بالبحث والمعرفة والتفكير هي اللغة السريانية ومما يشهد بذلك ما عرف من ان علي بن أبي طالب كان ينطق في أحاديثه احياناً بالفاظ اجنبية مثل كلمة ـ قالون ـ اليونانية » (١) .

لقد زعم الدكتور ان اباد الاسود كان ادارياً وزعيماً دينيا مما سهل له الاتصال بعلماء السريان بالاضافة إلى اقامته الطويلة في بيئة العراق السريانية ، ويبدو ان الاستاذ استدل على ان أبا الاسود كان اداريا ، مما ذكر عن ولايته للبصرة ، وقد انفرد الاصفهاني فذكر بان عمر وعثمان وعلياً

اللغة والنحو ٢٥٠ ـ ٢٥١ .

استعملوا ابا الاسود على البصرة (١) على حين ذكر المنقري ، ان ابن عباس هو الذي انابه في ولاية البصرة حينما خرج لملاقاة الامام واللحاق به في النخيلة (٢) ، وقريب من ذلك ما ذكره ابن قتيبة (٣) ، وذكر المسعودي خلاف ذلك ، فقال ان ابن عباس استعمل زياد بن أبيه حينما خرج لملاقاة الامام ، وان معاوية بن أبي سفيان كان قد وجه عامر بن الحضرمي ، في هذه الفترة ، للوثوب على البصرة (٤) ، وانفرد ابن سعد بان ذكر ان الامام (ع) اقر ولاية ابي الاسود على البصرة بعد ان استنابه ابن عباس (٥) ـ رض ـ كذلك قيل ان ابا الاسود « ولى قضاء البصرة » (٦) .

ومن هذه الاخبار المتضاربة ، ربما نستطيع ان نستدل ان ابا الاسود كان قد ولى البصرة فعلاً ، ولكن لمدة يسيرة ونيابة لا اصالة ، وهذا لا يعني باي حال انه كان ادارياً ، ولو كانه ، لثبتت اخباره بين أخبار الاداريين الذين حكموا ونجحوا في مهامهم ، اما تحميل الاخبار اكثر من طاقتها واستجلابها مزاعم على انها مسلمات تاريخية ، فليس من البحث العلمي في شيء .

اما انه كان زعيماً دينياً ، فأمر يبدو خلاف ذلك لدارسي شخصية

(١) الاغاني ١١ / ١٠٥ ـ ١٠٦ ، ١١ / ١١٣ .
(٢) وقعة صفين ١١٧ .
(٣) الشعر والشعراء ٢ / ٧٢٩ ، الامامة والسياسة (منسوب) ١/٨٠ .
(٤) التنبيه والاشراف ١٧٦ .
(٥) الطبقات ، ج٧ قسم الاول ـ / ٧٠ .
(٦) ابن بدران ، تهذيب تاريخ بن عساكر ٧/١٠٤ .

أبي الاسود من خلال ما وصلنا عنه من أخبار ونصوص ، ان دارس شخصيته ، يجده أمرءاً غلبت الميول الدنيوية على سيرته وسلوكه العام ، فمع ان اخباره أجمعت على انه كان علوي الهوى والرأي ، أو شيعياً ، ولكنها اجمعت أيضاً ، على استخذائه للسلطة الاموية وتملقه لها ، الامر الذي يتنافى تماماً مع ما يفترض في الزعيم الديني ، في المواقف الحاسمة التي تخلق الزعماء او يخلقها الزعماء احياناً ، والا فما هو دوره في صفين وكربلاء وثورة التوابين ؟ ، وقد كان معاصراً وزميلاً لحجر بن عدي وسليمان بن صرد الخزاعي ؟ لا شيء سوى ستة عشر بيتاً من الشعر في مقطوعتين ، رثى بهما الامام الحسين (ع) (١) ومقطوعتين اخريين مدح ورثى بهما الامام علي (ع) (٢) .

وقد زعم الدكتور ان السريانية في القرن الرابع والخامس بعد الميلاد تعرضت لمثل ماتعرضت له العربية من ظهور لغات أخرى في مجال الحديث والكتابة فتفشى اللحن فيها ، الامر الذي خشي منه على نصوص الكتاب المقدس . تماماً مثل ما حدث للعربية ، فكان للسريانية نحو تأثر به ابو الاسود ، لقد نص الباحثون المختصون ، ان العكس كان هو الصحيح ، اي ان النحو السرياني وجد بعد بدء الدراسات العربية ، ونشأ نتيجة الضعف والانحسار الذي تعرضت له اللغة السريانية بسبب انتشار الفتوح العربية وتوسعها ، وانتشار اللغة العربية تبعاً لذلك ، فظهر « للسريانيين ، حوالي عام ٧٠٠ م انه قد اصبح من الواجبات وضع قواعد . . .

(١) الدجيلي ، شرح ديوان ابي الاسود ١٨٠ ، ١٨٢ .

(٢) ايضاً ١٧٤ ـ ١٧٥ ، ١٧٦ ـ ١٧٧ .

(٣) الابراشي ، عطيه ، المفصل في قواعد اللغة السريانية ص٦ .

للغتهم » (١) . وقد ظلت اللغة السريانية مفتقرة إلى بعض العلامات الاعرابية حتى القرن الماضي حين استعيرت لها من العربيه وعلى غرارها (٢).

واستشهد الدكتور على وجود الدافع لتعلم اللغات الاجنبية بحث النبي (ص) والصحابة (رض) . المسلمين على ذلك . ولعله استدل لهذا الاستشهاد بما روي من ان النبي (ص) كان قد حث زيد بن ثابت على تعلم العبرية (٣) ، نتيجة الظروف التي احاطت بالمسلمين آنذاك وما تطلبته من مكاتبات ومراسلات مع اليهود القاطنين في المدينة وحولها ، ولم تذكر المصادر رجالاً آخرين حثهم النبي (ص) او الصحابة على تعلم اللغات ، وتعلموها ، لكي نستطيع ان نستنتج منها احتمال ترجمة بعض العلوم والافكار .

اما لفظة (قالون) فقد ذكر الثعالبي ان الامام (ع) أجاب بها شريحاً ، وهي بمعنى « أصَبْتَ »(٤) ونزيده ، ان المؤرخين لم يقتصروا على نسبة هذه اللفظة وحدها إلى الامام (ع) فقد روى الكشي ان الامام (ع) كلم قوماً من الزط بلغتهم (٥) ، وقال السيوطي انه « كان اعلم الناس بكلام العرب وزعموا انه كان يجيب في كل لغة » (٦) ، وربما كان

(٢) القرداحي ، اللباب في اللغة السريانية ١ ـ ٢ المقدمة العربية .

(٣) البلاذري ، فتوح البلدان ٤٥٩ ، المسعودي التنبيه والاشراف ٢٤٥ ـ ٢٤٦ .

(٤) فقه اللغة وسر العربية ٤٥٥ .

(٥) الكشي ، محمد بن عمر ، رجال الكشي ، تعليق احمد الحسيني نشر مؤسسة الاعلمي كربلاء لا ، ت ص ١٠١ .

(٦) المزهر ٢ / ٣٩٧ .

المقصود من هذا النص هو اللغات واللهجات العربية . ان مثل هـذه الاخبار لا يمكن اعتمادها وتقرير معرفة الامام (ع) أو غيره من الصحابة باللغات الاجنبية ، وافتراض قدرتهم على ترجمة العلوم والافكار ، وعلى فرض صحتها ، فهي لاتعني اكثر من الالمام ببعض المفردات .

ان هذه المزاعم ما هي الا افتراضات لايجاد صلة ـ ولو واهية ـ بين النحو العربي ونحو الامم الاخرى ، وصولاً إلى الزعم باقتباسه منها ، أو تأثره بها .

رأي الاستاذ عبد الحميد حسن :

وقد جاء بآراء متضاربة ، فقد قرر وجزم بان العلامات الاعرابية السريانية ، هي نفسها العلامات العربية وان السريان كانوا مبتدعيها ابتداعاً ، وانتقلت منهم إلى بقية السامين ، ثم يتساءل ، « هل من صلة بين هذا وبين ما عمله أبو الاسود » (١) ؟ ويترك تساؤله بلا جواب وفي مكان آخر ينص على « ان النحو صار طبقاً لطبيعة هـذه اللغة [العربية] ولجهود علمائها وما هداهم إليه النظر في أساليبها وخصائصها »(٢)

وكان من ارائه ان قليلا من الاصول النحوية العربية كان ذا علاقة باصول النحول اليوناني ، وحدث ذلك عن طريق السريان لانهم أخذوا أصول نحوهم عن اليونانية و « جاروا قواعد اللغة اليونانية » (٣) ، ثم يقول ان النحاة اليهود تفوقوا على السريان لانهم « بنوا كل قواعداللغة

(١) حسن ، عبد الحميد ، القواعد النحوية ، مادتها وطريقتها ، القاهرة ١٩٥٢ ص ٧٨ .

(٢) أيضاً ٢٥٦ . (٣) ايضاً ٢٥٥ .

العبرية على القواعد التي وضعها النحاة العرب والتي تناسب اللغات السامية مناسبة تامة » (١) ، ونسى أو تجاهل ان السريانية لغة سامية أيضاً ، تجمعها مع العربية خصائص مشتركة جعلتهما مع لغات اخرى ضمن مجموعة لغوية واحدة(٢) ، ولكنه ذكر بعض اوجه الشبه والخصائص بين اللغة العربية والسريانية ليستدل فقط على ان النحو العربي سرياني في أصوله (٣) ، كما انه يذكر قلة الشبه بين النحو العربي والنحو الفارسي ، ومع ذلك يظن « ان فكرة المسند إليه في اللغة العربية ، أصلها فارسي . . . .

[و] ان الخلاف اللغوي النحوي في اللغة العربية في ان أصل المشتقات هو المصدر أو هو الفعل ، قد يكون منشؤه اللغة الفارسية وتأثر النحاة للفرس بها (٤) .

ولكنه ينفي ان يكون أحد النحاة متصلا باللغات الاخرى ، حتى الذين كانوا من أصل فارسي ، ويفند كل ما قرره في أماكن أخرى ، يقول : « يبدو من هـذه العناصر التي سردناها ان هناك تشابهاً في كثير من النواحي في الخصائص اللغوية والنحوية بين اللغة العربية واللغات التي عاصرتها واختلط أهلها بالعرب من لغات سامية وغيرها ، فهل معنى هذا ان واضعي علم النحو والباحثين فيه قد حاكوا ما في اللغات الاخرى من اصطلاحات وتقسيم ؟ قد يتلمس من يميلون إلى هذا الظن أسباباً لتعزيز وجهة نظرهم من ان الذين قاموا بهذه الحركة النحوية كانت جمهرتهم من

(١) حسن ، عبدالحميد ، ن.م ٢٥٥ .

(٢) المخزومي ، د. مهدي ، محاضرات في فقه اللغة ، مطبوعة بالرنيو ، القيت على طلبة كلية أصول الدين ١٩٧٠ ـ ١٩٧١ ، ص ٣ـ٩ .

(٣و٤) حسن ن ، م ٢٥٠ ـ ٢٥٢ .

عناصر غير عربية وممن لهم اطلاع على لغات أخرى شرقية ، أو اتصال بمن يعرفون هذه اللغات ويلمون بقواعدها ولكن البحث التاريخي ، لمعظم اللغات التي اتصل أهلها بالعرب ، لا يساعد على اثبات هذه الظنون ، بل انه يدل في بعض النواحي على العكس ، وهو ان بعض هذه اللغات قد استرشد نحاتها بالقواعد النحوية للغة العربية »(١) .

اصالة النحو العربي :

قلنا في فصل سابق ان نقط أبي الاسود للقرآن كان متسماً بالاصالة، لانبثاقه عن حاجة ملحة إليه وانه كان الخطوة الاولى في البحوث والدراسات النحوية ، ثم نمت هذه الدراسات فكان علم النحو الاصطلاحي ثمرة من ثمراتها . فالنحو العربي اذن كان « قد دعا إليه دين جديد ناشيء ، وعقيدة قوية ونهضة عامة شاملة »(٢) .

ولعل ما يعزز الادعاء باصالة البحوث النحوية الاولى ان تسمية الحركات الاعرابية من قبل أبي الاسود كانت منسجمة تماماً مع حركة الشفتين والفكين ، وليست مقتبسة من مصدر غير عربي . فالفتحة والضمة والكسرة لا تعني اكثر من الحالات الوظيفية التي تمر بها الشفتان والفك الاسفل حين التفوه بها ، أما اصطلاح الرفع والنصب والجر فهي من نتاج عصر النضوج .

لقد اعتمد كل من ذهب إلى صلة النحو العربي بغيره من اللغات على

(١) حسن ، القواعد النحوية ، ٢٥٣ .

(٢) السيد ، مدرسة البصرة ، ١٠٢ .

وجود أوجه شبه بينة وبين نحو تلك اللغات ، خاصة النحو والفلسفة اليونانيين ، فتقسيم الكلام العربي إلى اسم وفعل وحرف كان يقابله تقسيم الفلاسفة للكلام إلى اسم وكلمة ورباط « اما كلمات اسم وفعل وحرف فانها اصطلاحات عربية ما ترجمت ولا نقلت »(١) . ونظرية العامل في النحو كانت تشبهها نظرية الكمون والظهور عند الفلاسفة ، ولكن نظرية العامل اصيلة في منشئها الاول ، دعا اليها المنهج التعليمي نفسه ، وبالاجمال ، كان علم النحو منبثقاً عن « العقلية العربية المحضة ، بغض النظر عن الروابط بين اصطلاحات هذا العلم ، [المتأخرة] ومنطق ارسطو ، وفيما عدا ذلك لا يمكن اثبات وجوه اخرى من التأثير الاجنبي، لا من القواعد اللاتينية ولا من الهندية »(٢) ، « وهو اثر رائع من آثار العقل العربي بما له من دقة في الملاحظه ومن نشاط في جمع ما تفرق ، وهو اثر يرغم الناظر فيه على التقدير له ويحق للعرب ان يفخروا به »(٣) .

(١) احمد امين ، ضحى الاسلام ٢/٢٩٢ ـ ٢٩٣ ، والنص للمستشرق « ليتمان » .

(٢) بروكلمان ، تاريخ الادب ٣/١٢٦ .

(٣) دي بور ، تاريخ الفلسفة ٤٠ .

نمو النحو واصطلاحاته :

من الطبيعي ان يتساوق نمو النحو مع نمو الاصطلاحات لما بينهما من ترابط وتلازم ، فتفرع باب نحوي يتطلب تسميات تدل عليه وعلى احكامه ليتفهمها الدارسون وغير الدارسين ايضا ، يقول الجاحظ « سَمّى النحويون ، فذكروا الحال والظروف وما أشبه ذلك لانهم لو لم يضعوا هذه العلامات لم يستطيعوا تعريف القرويين وابناء البلديين»(١) بها .

ونظراً لما مر به النحو خلال مسيرته من المرحلة الفطرية ، يوم كانت تستقره « الوقائع في ضوء النصوص لا تفرض على احد ولا يقضي بها على احد » (٢) ، إلى مرحلته الاصطلاحية حين صار تقعيد القواعد وتقنين القوانين شغلاً شاغلاً للدارسين ، فتعددت وجهات النظر والاراء في مسائل فرعية ومفترضة ، واكبت الاصطلاحات هذا النمو ، فتفرعت وتعددت .

ومن هنا لا يعقل ان تكون بعض الاصطلاحات الرئيسة قد وضعت دفعه واحدة ففي الفرضية مخالفة صريحة لطبيعة الأشياء في نموها وتدرجها ، ولعل ما يعزز هذا اننا نجد بعض الاصطلاحات لم تشع وتعرف في اوساط المجتمع ، حتى في عصر الجاحظ ، وهو عصر متأخر نسبياً عن عصر النمو ، قيل لاعرابي « اتهمز اسرائيل ؟ قال : اني اذاً لرجل سوء ، قلت : افتجر

(١) البيان والتبيين ١ / ١٤٠ .

(٢) الصالح ، دراسات في فقه اللغة ٢٦ .

بفلسطين ؟ قال : اني إذاً لقوي »(١) .

لقد بالغ بعض المؤرخين فذكروا ان ابا الاسود « أول من وضع الفاعل والمفعول به والمضاف والمضاف إليه وحروف الرفع والنصب والجر والجزم »(٢) ، وتواضع بعضهم فذكر ان اول باب وضعه ابو الاسود هو باب التعجب (٣) ، او انه لم يضع الا باب الفاعل والمفعول فقط (٤) .

ولعل قول اليعموري ، ان ابا الاسود « عمل الرفع والنصب والجر »(٥) ، اقرب إلى المعقول من بقية الاقوال ، فنقط المصحف لم يتعد هذه الحالات الاعرابية ، ولكن اصطلاح الرفع والنصب والجر في هذا النص ، يبدو انه من عصر المؤرخ لارتباطه بفكرة العمل والعامل ، وهي فكرة من أفكار مرحلة النضوج ، كما ان النصوص التي ذكرت تفوه ابي الاسود لكاتبه لم تذكر تفوهه بهذه الاصطلاحات بل « إذا رأيتني قد فتحت فمي بحرف ... » (٦) ، فالضم والفتح والكسر مسميات منسجمة تماماً مع حركة الشفتين والفك حين الكلام وتسميته التنوين بالغنة ، لا يخلو من ارتباط وظيفي ايضاً ، ولا شك ان هذا التعبير والتسميات ساذجة متفقة مع عصر أبي الاسود (٧) ، وعلى صلة بالنحو الاصطلاحي (٨) ايضاً .

(١) البيان والتبيين ٢ / ٢٢٠ .

(٢) الرازي ، الزينة ١ / ٧٢ ـ ٧٣ .

(٣) الاصفهاني ، الاغاني ، ١١ / ١٠٦ ـ ١٠٧ .

(٤) ابن خلكان ، الوفيات ٣ / ١٥٥ .

(٥) نور القبس ٥ . (٦) أيضاً ٤ .

(٧) احمد امين ، ضحى الاسلام ٢ / ٢٨٨ .

(٨) المخزومي ، الخليل ٢٨ .

وحين يأتي عصر ابن أبي اسحاق ، تستمر الاصطلاحات في النمو الى جانب النحو ، ولكن بعضها لم يتصطلح عليه ولم يستقر بعد ، فلا ألف الاثنين أو واو الجماعة مصطلحاً عليها ، ولا المصدر ايضاً ، « زعم يونس ان ابن أبي اسحاق قال : أصل الكلام بناؤه على فعل ثم يبنى آخره على عدد من له الفعل من المؤنث والمذكر ، من الواحد والاثنين والجمع ، كقولك فعلت وفعلنا وفعلن وفعلا وفعلوا ، ويزاد في أوله ماليس في بنائه فيزيدون الالف كقولك ، اعطيت ، انما أصلها عطوت ثم يقولون معطى فيزيدون الميم بدلا من الالف وانما اصلها عاطي ، ويزيدون في اوساط فَعَلَ افتعل وانفعل واستفعل ونحو هذا ، والاصل فعل وانما اعادوا هذه الزوائد إلى الاصل »(١) .

وتطورت هذه المصطلحات إلى صور اكثر نضوجاً عند سيبويه ، فهو يقول « اعلم ان التثنية إذا لحقت الافعال المضارعة علامة للفاعلين ، لحقها ألف ونون (٢) » . وفي عصر ابن ابي اسحاق ، كانت تتردد على السنة الدارسين « اقوال ان لم تكن نحوية خالصة فمن الممكن ارجاعها إلى النحو ، كما روى عن يحيى بن يعمر من اقوال كان يصحح بها لحنا وقع في كلام الحجاج (٣) » فقال له « الوجه ان تقرأ بالنصب على خبر كان » (٤) ، أو « انك تقصر الممدود وتمد المقصور » (٥) ، أو أنك

(١) ابو عبيدة ، مجاز القرآن ، ٣٧٦/١ .
(٢) الكتاب ١ / ٥ .
(٣) المخزومي ، مدرسة الكوفة ٤٠ .
(٤) الزبيدي ، طبقات النحويين ٢٢ .
(٥) اليغموري ، نور القبس ٢١ ـ ٢٢ .

« تجعل إنّ في موضع أنّ »(١) .

كذلك كان المبتدأ معروفا ، ايضا ، كما يظهر من قول « علمنا انه حين ابتدأ فرفعهم لم يعنهم »(٢) .

كان ابو الاسود قد اصطلح على تسمية النقط بالضم والفتح والكسر. فصار « متقدمو النحويين يسمون الفتحة الالف الصغيرة ، والكسرة الياء الصغيرة والضمة الواو الصغيرة » (٣) ، وظل نقط ابي الاسود معمولا به . في ميدان التدوين ، حقباً من السنين ، قبل ان تحل محله العلامات في عصر الخليل ، تلك العلامات التي فرعها الخليل إلى واحد وعشرين نوعاً (٤) ، كان منها « الهمز والتشديد والروم والاشمام » (٥) ، وهذه العملية في تنمية وانضاج المصطلحات النحوية تعتبر بحق « الخطوة الاولى التي خطاها الدارسون في تصنيع النحو ونقله من عهد إلى عهد » (٦) .

(١) ايضا ٢١ ـ ٣٢ ، الجهشياري ، الوزراء والكتاب ٤١ ـ ٤٢ .
(٢) ابن سعد ، الطبقات ج ٦ قسم الاول / ٧٦ـ٧٧ .
(٣) ابن جني ، سر صناعة الاعراب ١٩ . وشبيه بذلك ٢٦ ـ ٢٧ .
(٤) الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ٤٤ ـ ٤٦ .
(٥) السيوطي ، الوسائل ، ١١١ .
(٦) المخزومي مدرسة الكوفة ٣٠٣ .

المسالك العقلية في الدراسات النحوية :

تعقيد النحو :

ان المنحى التعليمي الذي انتهجه الدارسون في دراساتهم ، جعل من اللازم لهم ان يأخذوا بالاسباب العقلية في تنمية هذه الدراسات وانضاجها، فكان لابد لهم من ان يتأثروا بالافكار والاراء التي بدأت تظهر في المجتمع الاسلامي بعامة ، والمجتمع البصري بخاصة ، كانت افكار الاعتزال وعلم الجدل والكلام بالاضافة إلى المذاهب الفقهية ، وما انتهجته هذه الافكار والمذاهب من مناهج او أصلته من اصول ، كانت عقلية في الاعم الغالب فتفاعل كل ذلك في اطار من الافكار الفلسفية والمنطقية التي نشأت عن حركة الترجمة . وقد بدأت تشيع وتزدهر يومذاك ، وليس من المعقول ان يبقى الدارسون بمعزل عن هذه الاجواء الفكرية والعلمية ومنها مايفيدهم في دراساتهم ، أو خالوا ذلك .

وبنهاية عصر الخليل وسيبويه ، بدأ بعض علماء اللغة والنحو يجنحون بهذا العلم إلى وجهة ابعدته عن منطلق فهم اللغة وتعلمها والحفاظ عليها ، ذلك المنطلق الذي تمثل بالعناية بالقرآن ، اول الامر .

لم يكن كتاب سيبويه بمعزل عن هذه التيارات فقد ظهرت فيه بوادر التعقيد والتفلسف جنبا إلى جنب مع مظاهر النضج والاكتمال ، ولكن ذلك لا يمكن ان يقاس بما أوجده العلماء الذين اعقبوا عصر الخليل وسيبويه .

لقد جعلت هذه التيارات الفكرية والعلمية ، من مستلزمات الثقافة

والمعرفة ان يلم الدارس باغلب معارف عصره وعلومه ما امكنه ، ومن هنا ، كان جنوح دارسي النحو ، فاوغلوا في مسالك عقلية ، كانت تتسم بالبساطة والفطرية قبلهم ، فعقدوها واخرجوا هذه الدراسات عن اطار الفهم اللغوي وتناولوها على انها « صناعة لفظية تقوم على البراعة في تصريف الالفاظ واختراع القوالب ، حتى عاث [فيها] الجمود [واصيبت] بالجدب المخيف » (١) ، حين فلسفوا النحو وتجاوزوا به حدوده الطبيعة . (٢) .

كانت الدراسات النحوية ، إلى عصر «الكتاب» ، قد نضجت واكتملت بشكل علمي دقيق لم يستطع الدارسون المتأخرون ان يضيفوا اليها شيئاً ذا بال ، اللهم الا بعض التعريفات وبعض التسميات (٤) فلهوا بهذه التسميات والتعريفات على انها من النحو .

وكان معنى النحو في اللغة هو « الطريق والجهة » (٤) ، ثم قالوا انه « انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من اعراب وغيره ... وهو في الاصل مصدر شائع ، اي نحوت نحوا كقولك قصدت قصدا ، ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم (٥) » ، وفي نفس العصر قالوا فيه انه « علم قياسي ومعيار لاكثر العلوم لا يقبل الا ببراهين وحجج » (٦) ،

(١) المخزومي ، مدرسة الكوفة ، مقدمة المؤلف ص هـ .
(٢) المخزومي ، الخليل ٧٣ ـ ٧٤ .
(٣) ضيف ، المدارس النحوية ٢٢ .
(٤) الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ٤ / ٣٩٤ ، فصل النون باب الواو والياء . الزجاجي ، الايضاح ، ٨٩ ، بنفس المعنى .
(٥) ابن جني ، الخصائص ١ / ٣٢ .
(٦) الزجاجي ، الايضاح ٤١ .

ثم عرّفوه بانه « علم بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب »(١)، او « علم يتعرف به احوال الكلمة افراداً وتركيباً »(٢) ، ومما يثير السخرية والاستغراب انهم جعلوا الكلام كالجسم والنحو حلية له (٣) .

وتناولوا الاسم ، فلهوا به أيضاً ، فقالوا : انه « سما على مسماه »(٤) وانه « يدل على ما تحته من المعنى »(٥) ، وهو ليس المسمى(٦) ، والصلة واضحة وجلية بين هذه الاقوال وبين الجدل الذي ثار آنذاك بين الفلاسفة في الماهية والجوهر . اما الحرف ، فلم يسلم منهم ، فهو عند بعضهم « مالا يخبر به ولا يخبر عنه »(٧) ، أو انه « ما يدل على معنى في غيره »(٨)، لا في نفسه(٩) ، وعند غيرهم هو « ما خلا من دليل الاسم والفعل»(١٠) اوحدّ ما بينهما (١١) ، او انه حدّ اللغة كحد الجبل وطرفه « لانه يأتي في طرف الكلام »(١٢) .

(١) السيوطي ، الاقتراح ٣٨ .

(٢) الآبدي « ترجيحا » حدود الاصطلاحات النحوية ، نسخة مخطوطة بخط المؤلف عام ٩٠١ هـ ، مخطوطات المتحف العراقي ، رقم ١٦٨٥ لغة ونحو ، ورقة ٤٤ .

(٣) التوحيدي ، البصائر والذخائر ١٨١ .

(٤) الانباري ، اسرار العربية ٤ ـ ٥ .

(٥) الانباري ، الانصاف ١ / ٤ مسألة (١) .

(٦) الزجاجي ، الايضاح ٥٦ .

(٧) الانباري ، اسرار العربية ٤ ـ ٥ .

(٨و٩) الزجاجي ، الايضاح ٥٤ .

(١٠) ايضاً ، ٥٥ . (١١) ايضاً ، ٤٤ .

(١٢) الانباري ، اسرار العربية ١٢ .

نحاة تأثروا بالمنطق :

كان عصر المازني عصراً تمثل فيه الجنوح إلى التعقيد والاخذ باسباب العلوم ، خاصة الفلسفة والمنطق ، فوجهت الدراسات اللغوية والنحوية في مسالك واكبت الافكار الفلسفية والمنطقية في الذيوع والانتشار ، وكان المازني نفسه معقّداً لدراسته ساكبا ثقافات عصره فيها (١) ، روّى عنه انه أقرأ رجلاً « كتاب سيبويه في مدة طويلة . فلما بلغ آخره قال [الرجل] : أما أنت فجزاك الله خيراً ، واما انا فما فهمت منه حرفاً »(٢) وروايته هذه لا تدل على بلادة الرجل الذي أقرأه بالتأكيد ، بل تظهر مدى مباهاة المازني بتعقيده لدراساته ، ولعل شيخه الاخفش ، لم يكن يقلّ عنه تعقيداً وأخذاً بالمنطق والفلسفة ، قيل ان اعرابياً وقف « على مجلس الاخفش فسمع كلامهم في النحو ، فحار وعجب . . . فقال له الاخفش : ما تسمع يا أخا العرب ؟ قال : اراكم تتكلمون بكلامنا في كلامنا بما ليس في كلامنا »(٣) .

وكان المبرد اكثر ايغالا من شيخيه الأخفش والمازني ، فكانت دراساته وآراؤه توغل اكثر من آرائهما في مجار فلسفية ومنطقية ، وكانت بعض آرائه ليست بذي بال من الناحية العلمية ، ولا تعدو التلاعب بالالفاظ والافكار ، يقول عن الاسماء والافعال والحروف : « اجيز ان اسميها كلها

(١) العبيدي ، ابو عثمان المازني ومذاهبه ٣٢ .

(٢) ابن خلكان ، الوفيات ١ / ٢٥٦ .

(٣) القفطي ، انباه الرواة ٢ / ٤٢ .

اسماء ... [لأن] قولنا (زيد) كلمه دالة على مسمى ، وقولنا (قام) كلمة دالة على حدث في زمان ، وقولنا ، ان ومن ولم وما اشبه ذلك ، كلمة دالة على معنى وكل واحد اسم لما دل عليه ... ويجوز ان اسميها كلها حروف وكأنها قطع الكلام متفرقة ويجوز ان اسميها أفعالا على غير طريقة اوضاع النحويين»(١) ، وكان يقول « لا أتقلد مقالة متى لزمتني حجة »(٢) .

وفي مناظرته للزجاج وضح هذا القول كما اظهر مقدرته الجدلية وتمكنه من علوم المنطق والفلسفة ، فبعد أن سأله الزجاج عن « أربع عشرة مسألة ، يجيب عن كل واحدة منها بما يقنع ، ثم يفسد الجواب ، ثم يعود إلى تصحيح القول الأول »(٣) .

لقد تجاوز بعض الدارسين فهم اللغة وعلومها ، من نشاط صوتي انساني يخضع لجملة مؤثرات بيئوية ونفسية واجتماعية ففهموه على « انه نشاط عقلي ، يضبطه العقل المنطقي الفردي في وضعه ويقود نموه »(٤) ، فجمعوا إلى دراساتهم دراسات أخرى في الفلسفة والمنطق ، وغالى بعضهم « في أخذهم بالمنطق وشروطه في كل مسألة من مسائل النحو »(٥) ، وكان بعضهم قد صنف في المنطق والفلسفة ، كتبا ، كما نقل عن الناشيء ، محمد بن شرشير (٦) .

---

(١) الزجاجي ، الايضاح ، ٤٤ .

(٢) الزجاجي ، مجالس العلماء ، ١٢٣ .

(٣) الزبيدي ، طبقات اللغويين ١١٨ ـ ١١٩ ، القفطي ، انباه الرواة ٣ / ٢٤٩ ـ ٢٥٠ .

(٤) الخولي ، مناهج تجديد النحو ٧٧ .

(٥) السامرائي ، عامر رشيد ، آراء العربية ٨٦ .

(٦) ابن خلكان ، وفيات ، ٢ / ٢٧٧ ـ ٢٧٩ .

المنطقيون والنحو :

لم يكن التعقيد والجنوح الذي ابعد علوم اللغة عن وجهتها الطبيعية ، بسبب نحاة تأثروا بالبيئات الفلسفية فسلكوا في تفكيرهم مسالك المناطقة فحسب ، بل كان ايضا ، بتأثير مناطقة رأوا في النحو ودراسات اللغة ميدانا متمما لدراساتهم ، فحاولوا ولوجه وصاروا يتجادلون مع النحاة ويسألونهم « عن الطبيعة عند أهل النحو واللغة ، أهي فعيلة بمعنى فاعله أو بمعنى مفعولة ؟ » (١) ، وصاروا يجدون « بين المنطق والنحو مناسبة غالية ومشابهة قريبة » (٢) ، فيتساءلون عن « الفرق بينهما ، وهل يتعاونان بالمناسبة وهل ينقادان بالفرق ؟ » (٣) ، ثم يغالون فيزعمون ان « النحو منطق عربي والمنطق نحو عقلي ، وجل نظر المنطقي في المعاني ... وجل نظر النحوي في الالفاظ »(٤) .

كانوا يرون « ان البحث عن المنطق قد يرمي بك الى جانب النحو والبحث عن النحو يرمي بك إلى جانب المنطق ، لولا ان الكمال غير مستطاع لكان يجب ان يكون المنطقي نحوياً والنحوي منطقياً »(٥) .

ولعل مادار بين السيرافي من الدارسين البصريين ، وبين متى المنطقي ، ممن تمرسوا بترجمة الفلسفة والمنطق ودرسوها ، يبين الصراع بين النحاة

---

(١) التوحيدي ، ابو حيان ، المقابسات ، بغداد ١٩٧٠ ص ١٢٩ .

(٢) ايضا ، ١٢١ .

(٣) ايضاً ، ١٢١ .

(٤) ايضا ، ١٢١ .

(٥) أيضاً ١٣٢ .

الذين حاولوا ان يبقوا للنحو بعض الرواء والصلة باللغة ، وبين المناطقة الذين ارادوا ان يزيدوا منطقة النحو وفلسفته ، كان متى يرى ان « لاحاجة بالمنطقي [الى النحو] وبالنحوي حاجة شديدة إلى المنطق ، لان المنطق يبحث في المعنى والنحو يبحث عن اللفظ »(١) فانكر عليه السيرافي هذا الرأي (٢) ، وقرر ان العجب دخل « على المنطقيين لظنهم ان المعاني لا تعرف ولا تستوضح الا بطريقتهم ونظرهم وتكلفهم فترجموا لغة هم فيها ضعفاء ناقصون بلغة اخرى هم فيها ضعفاء ناقصون ، وجعلوا تلك الترجمة صناعة ، وادعوا على النحويين انهم مع اللفظ لا مع المعنى »(٣) ، « واذا كان المنطق وضعه رجل من يونان على لغة أهلها واصطلاحاتهم عليها وما يتعارفونه بها من رسومها وصفاتها ، فمن اين يلزم الترك والهند والفرس والعرب ان ينظروا فيه ويتخذوه قاضياً وحكما لهم وعليهم ؟ ما شهد لهم به قبلوه وما انكره رفضوه »(٤) ، ثم يؤكد ويقرر ان « النحاة لم يجدوا في منطق المناطقة الا ما استعاروه من لغة العرب مع جهلهم بها وبالشعر وادعائهم المعرفة بذلك »(٥) .

لم يكن السيرافي وحده ممن وقف هذا الموقف بوجه المناطقة ، فقد شاركه الزجاجي ـ فيما بعد ـ فرد على من عرف الاسم بانه « صوت موضوع دال باتفاق على معنى غير مقرون بزمان [فقال] . ليس هذا من الفاظ النحويين ولا من اوضاعهم وانما هو من كلام المنطقيين ، وان كان

(١) التوحيدي ، ابو حيان ، الامتاع والمؤانسة ، ج ١ القاهرة ١٩٥٣ ص ١١٤ .

(٢) ايضاً ١ / ١١٩ .

(٣) ايضا ١ / ١٢١ .

(٤) ايضا ١ / ١١٠ .

(٥) ايضا / ١٢٢ ـ ١٢٣ .

قد تعلق به جماعة من النحويين »(١) .

منطقة القياس النحوي وفلسفته :

كان نشوء القياس ـ في الدراسات البصرية ـ نشوءاً فطرياً تطلبه المنهج التعليمي الذي سار فيه الدارسون البصريون وانطبعت دراساتهم بطابعه ، ولكن هذا المنهج لم يبق على فطريته وبساطته فعقّد وطُعم بالعلوم والثقافات التي قارنته عصراً .

اما ان « قياس البصريين كان اصح الاقيسة . . . [لانهم] جعلوا السماع الصحيح اساس القياس عندهم »(٢) ، أو أن النحاة البصريين افسدوا « مادة النحو في مجموعها » (٣) بسبب انتهاجهم للقياس (٤) لانه « استخدام لوسائل غريبة عن طبيعة ... العلم اللغوي »(٥) ، فاحكام تبدو انها نتيجة فهم مبتسر لطبيعة المنهج البصري في هذه الدراسات ، او انها نتيجة لمرحلة معينة من مراحل هذه الدراسات واستخلاص الحكم منها ثم تعميمه على بقية المراحل .

كان الدارسون البصريون يقيسون على سماع شائع ، وهذا بلا شك مصدر ثرّ من مصادر الدراسات ، وكانوا يقيسون على سماع شاذ* مع

(١) الزجاجي ، الايضاح ٤٧ .

(٢) السيد ، مدرسة البصرة ٢٥٠ .

(٣و٤) السامرائي ، د . ابراهيم ، الفعل زمانه وابنيته ٧ .

(٥) السامرائي ، د . إبراهيم ، النحو العربي ١٨ .

* الخليل او الليث مع ابي الدقيش وقياس الحرف على الاسم وتنوين الاول حين يجعل اسما .

انهم طرحوا الشاذ او أوّلوه غالباً ، وبالغ متأخروهم في انتهاج القياس ففضلوا ان يخطأوا في اللغة ولا يخطأوا فيه (١) ، وقالوا « اذا بطل ان يكون النحو رواية ونقلا وجب ان يكون قياساً وعقلا »(٢) .

وبطبيعة الحال ، لم يكن جميع العلماء المتأخرين ممن استهواهم الايغال في الاخذ بالقياس ومن ثم تعقيد الدراسات بسبب ذلك ، فكان منهم من حدّد الحدود الكافية لهذا المنهج وفطن لما يمكن ان يؤديه القياس من منافع دراسية وما يمكن ان يؤديه لها من أضرار ، « سئل بعض العلماء بالنحو واللغة ، فقيل له : أيستمر القياس في جميع ما يذهب إليه في الالفاظ ؟ فقال : لا ، فقال السائل : فينكسر القياس في جميع ذلك ؟ فقال : لا ، فقيل له : فما السبب ؟ فقال : لا ادري ولكن القياس يفزع إليه في موضع ويفزع منه في موضع »(٣) .

كان الدارسون البصريون في قياسهم يعتمدون « على التشابه بين المقيس والمقيس عليه »(٤) ، « فيلحقون الاشباه بالاشباه »(٥) ، ويحملون بعض الكلمات على اخرى فيعطونها حكمها لوجه يجمع بينهما(٦) ، فكان قياسهم

(١) الانباري ، النزهة ، ط . مصر ٣١٧ .

(٢) ابن جني ، الخصائص ٣٦١/١ .

(٣) التوحيدي ومسكويه ، الهوامل والشوامل ، القاهرة ١٩٥١ ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤ .

(٤) السامرائي ، د . ابراهيم ، الفعل زمانه وابنيته ، ٦ ، المخزومي ، الخليل نص شبيه به ٢٥٤ .

(٥) ابن خلدون ، المقدمة ٥٤٦ .

(٦) حسين ، محمد الخضر ، القياس في اللغة ٢٤ .

على اختلاف بيّن عن قياس المناطقة (١) ، ولكنه كان على صلة بقياس الفقهاء .

يقول الدكتور المخزومي ، « ان مدرسة ابي حنيفة ومدرسة الخليل ـ وكلاهما معتنى بالعقل واحكامه ـ كانتا متعاصرتين وليس بينهما من التفاوت في الزمن ما يحملنا على القول بتأثر احداهما بالاخرى »(٢) ، ولا شك ان ما يعنيه الاستاذ هو الطابع الخاص الذي طبع قياس الخليل وميزه عن قياس سابقيه ، وطبع قياس ابي حنيفة وميزه عن قياس سابقيه، ايضا ، وقد كان ابن أبي ليلى ، وهو شيخ ابي حنيفة ، يفتي بالرأي قبل أبي حنيفة (٣) .

روي عن ابي عبيدة أنه قال : « لا يكون نحوي شجاعاً ، فقيل له وكيف؟ قال : ترونه يفرق بين الساكن والمتحرك ولا يفرق بين الموت والحياة : وقال المبرد وانا اقول : انه لا يكون نحوي جواداً ، فقيل له وكيف ذلك ؟ قال : ترونـــه يفرق بين الهمزتين ولا يفرق بين سبب الغنى والفقر » (٤) .

لقد قاس ابو عبيدة الموت والحياة وهما امران يستلزمهما الوجود الانساني على حركة الحرف وسكونه ، وهو أمر يستلزمه اللفظ السليم ، على حين قايس المبرد بين احكام الهمزة من مد وتحقيق ووصل او رسم ، لامور تستلزمها قواعد اللغة ، وبين البخل والجود ، وهما سمتان تخضعان

(١) المخزومي ، الخليل ٦٣ ـ ٦٤ .

(٢) ايضا ٢٣٥ .

(٣) ابن النديم ، الفهرست ، ط . مصر ٣٠٠ .

(٤) الزبيدي ، طبقات النحويين ١١٤ .

للظروف والعوامل البيئوية والنفسية ، ولو قارنا بين قياس العالمين لوجدنا الفرق بين البساطة والتعقيد ، بين القياس على التشابه وبين القياس على العلة والمنطق .

مسألة جمع طلحة . والمنطق :

ان فلسفة القياس ومنطقته في الدراسات النحوية ، خضعت للافراد وما حصلوه من ثقافات وعلوم اثرت في مناهجهم الدراسية ، اكثر مما خضعت للتطور الزمني في الدراسات ولنأخذ على ذلك مثلا ، مسألة نحوية تناولها الدارسون في اكثر من زمن ، هي مسألة جمع المذكر المنتهي بهاء التأنيث ، يقول سيبويه : « زعم يونس انك اذا سميت رجلا طلحه أو امرأة سلمة او جبلة ثم اردت ان تجمع ، جمعته بالتاء كما كنت جامعه قبل ان يكون اسما لرجل أو امرأة على الاصل . الا تراهم وصفوا المذكر بالمؤنث فقالوا رجل ربعة وجمعوها بالتاء فقالوا ربعات ولم يقولوا ربعون ، وقالوا طلحة الطلحات ولم يقولوا طلحة الطلحين ، فهذا يجمع على الاصل لا يتغير عن ذلك كما انه إذا صار وصفاً للمذكر لم تذهب الهاء »(١) ، لم يتمنطق يونس أو سيبويه وكل ما فعله هو ان نقل قول العرب وقايس عليه .

وتناول المبرد نفس المسألة بالدرس فقال : « ان قال قائل ، كيف يجوز دخول الواو والنون على ما فيه علامة التأنيث وهما علامتا التذكير ، افيكون مؤنثاً ومذكراً في حال ؟ قيل له : هذا محال ، ولكن الالف لا

(١) الكتاب ٢ / ٩٥ .

تثبت وانما يثبت ماهو بدل منها .. فاما طلحة فلو قلت في جمعها طلحون لتلزمك ان تكون انثته وذكرته في حال وهذا هو المحال » (١) .

ودرس الانباري هذه المسألة ايضاً ، فقال : « الدليل على امتناع جواز هذا الجمع بالواو والنون ، وذلك لانه في الواحد علامة التأنيث والواو والنون علامة التذكير ، فلو قلنا انه يجوز ان يجمع بالواو والنون لادى ذلك إلى ان يجمع في اسم واحد علامتان متضادتان ، وذلك لا يجوز ، ولهذا وصفوا المذكر بالمؤنث فقالوا : رجل ربعة ، جمعوه بلا خلاف ربعات ولم يقولوا ربعون والذي يدل على صحة هذا القياس : انه لم يسمع من العرب من جمع هذا الاسم او نحوه الا بزيادة الالف والتاء ، كقولهم في جمع طلحة طلحات وفي جمع هبيرة هبيرات قال الشاعر :

رحم الله اعظماً دفنوها بسجستان طلحة الطلحاتِ

ولم يسمع عن احد من العرب أنهم قالوا الطلحون ولا الهبيرون ولا في شيء من هذا النحو بالواو والنون ، فاذا كان هذا الجمع مدفوعاً من جهة القياس معدوماً من جهة النقل فوجب ان لا يجوز » (٢) .

فمع ان المبرد اقدم عصراً من الانباري ، كان اكثر ايغالا في منطقة رأيه النحوي وفلسفته ، على حين كان قياس الانباري اكثر قرباً إلى اساليب علماء الكلام منه إلى المناطقة ، بخلاف قياس سيبويه ويونس المار ذكره .

(١) المقتضب ، ٤ / ٧ ـ ٨ .

(٢) الانصاف ١ / ٢٦ ـ ٢٧ .

قياس ابن ابي اسحاق :

اطرد القول في وصف ابا بحر بن ابي اسحاق الحضرمي بأنه : « أول من بعج النحو ومدّ القياس وشرح العلل »(١) ، ولعل السيرافي كان أول من وصفه بذلك ، بوصفه اقدم من ترجم له ، مع ان وصف السيرافي لم يكن جازماً بل نقله باسلوب التضعيف ، فقال في معرض الموازنة بينه وبين زميليه ابي عبيدة وأبي عمرو بن العلاء : « ويقال ان ابن أبي اسحاق كان أشد تجريداً للقياس »(٢) منهما .

ومما يلفت النظر ان جميع الباحثين الذين وصفوا ابن أبي اسحاق بالايغال في الاخذ بالقياس ، كان اعتمادهم على النصين السابقين بالاضافه الى ما نقل من سؤال يونس بن حبيب : « هل سمعت من ابن أبي اسحاق شيئاً ؟ قال : قلت له : هل يقول أحد الصتويق يعني السويق ؟ قال نعم ، عمرو بن تميم تقولها ، وما تريد إلى هذا ؟ عليك بباب من النحو يطرد وينقاس » (٣) .

كل ما في النص سؤال عن الابدال في كلمة معينة وجواب بوجوده في لهجة قبليه ، اما الباب النحوي الذي يطرد وينقاس فقد اغفله النص ، وهذا لا يكفي لان يوصف قائل النص بالايغال في القياس .

---

(١) الزبيدي ، طبقات النحويين ٢٥ ، ابن سلام طبقات الشعراء ١٤ .
، القفطي ، انباه الرواة ٢ / ١٠٤ ... ، السيوطي ، البغيه ٢ / ٤٢ .
(٢) السيرافي ، أخبار النحويين ٢٠ ،
(٣) ابن سلام . طبقات الشعراء ١٥ ، القفطي انباه الرواة ٢/ ١٠٨.

نماذج من قياساته :

من قياساته التي جاءت في كتاب سيبويه انه لم يجز صرف المؤنث حين يسمى بمذكر كان تسمى امرأة بعمرو أو بزيد لان النكرة تعرف بالالف واللام والاضافة والعلمية « والشيء يختص بالتأنيث فيخرج من التذكير كما يخرج المنكور إلى المعرفة »(١) ، وقد شاركه في هذا القياس أبو عمرو واقرّه سيبويه ، كذلك قاس على قول كثيرة عزّه : « صار بمكان كذا وكذا »(٢) ، ومن قياساته أيضاً ، انه قاس الفاء في « خرجت فاذا الاسد » على فاء الجواب وعدها للسببية المحضة (٣) .

أما كلمته المأثورة حين اعترض على الفرزدق في قوله :

على عمائمنا يلقى وارحلنـــا على زواحف تزجي مخها ريرِ

« اخطأت انما هي ريرٌ وكذاك قياس النحو في هذا الموضع » (٤) ، لانها نائب فاعل لـ « يلقى » أو « تلقى » فليس في الموضوع أي ايغال في القياس .

---

(١) الكتاب ٢/٢٢ ـ ٢٣ . (٢) ايضاً ٢ / ٢٦١ .
(٣) ابن هشام ، المغنى ١ / ١٦٧ .
(٤) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ٣/٨٩ ، اليغموري ، نور القبس ٥ ـ ٦ .

قياس الخليل وسيبويه *

تعددت آراء الباحثين في قياس الخليل وقياس سيبويه ، قالوا انها فطرية بسيطة تقوم « على الحس اللغوي »(١) ، وقالوا : ان قياس الخليل اتصف « بالتكلف والاصطناع والبعد عن طبيعة العلم اللغوي الصحيح »(٢) مع اعتراف الباحث نفسه ، بان قياس الخليل كان مبنياً « على التشابه بين المقيس والمقيس عليه »(٣) .

ويبدو ان الرأيين يحملان بعض الغلو ، وناتجان عن النظر إلى قياس الخليل وسيبويه من جانب واغفال الجانب الآخر ، فلم يكن قياس الخليل فطرياً كله ، كما لم يكن مصطنعاً كله ، ايضا ، وفيما يلي تستعرض بعض النماذج من قياسات الخليل وسيبويه ، منها البسيط الفطري المبنى على التشابه والحس اللغوي ، ومنها ما يحمل من الاصطناع والتكلف شيئاً ليس يسيراً على كل حال .

١ـ قاس موضعاً على موضع ، فقاس عبارة « لا رجل » وهي مؤلفة من اداة واسم على « زيد » وهو اسم بلا اداة ، قال : « يدلك على ان لا رجل في موضع اسم مبتدأ مرفوع قولك : لا رجل افضل منك كأنك

* فضلنا دراسة قياس الخليل وسيبويه بصورة مشتركة لاشتراك آرائهما في أغلب بحوث « الكتاب » .

(١) شلبي ، أبو علي الفارسي ٢١٩ .

(٢) السامرائي ، د. إبراهيم ، الفعل زمانه وابنيته ٧ .

(٣) أيضاً ٦ . ، المخزومي ، الخليل ٢٥٤ .

قلت : زيد أفضل منك »(١) ، وجعل منه قول الشاعر :

هذا لَعَمركم الصَّغارُ بعينهِ
لاأمَّ لي إنْ كان ذاكَ ولا أبُ(٢)

٢ ـ قاس اعرابا على اعراب ، وجعل منه تنوين أبي الدقيش لـ«هل» وهي حرف حين جعلها اسما فنونها (٣) ، وهو قياس شاذ .

٣ ـ قاس لفظاً على لفظ ، « سأل أصحابه : كيف تقولون إذا أردتم ان تلفظوا بالكاف التي في لك والكاف في مالك والباء في ضربَ ، فقيل له نقول : باء كاف ، فقال : انما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف ، وقال أقول كَهْ وبَهْ فقلنا لم الحقت الهاء ، فقال : رأيتهم قالوا عِهْ فالحقوا هاء حتى صيروها يستطاع الكلام بها لانه لا يلفظ بحرف فان وصلت قلت كَ وبَ ... كما قالوا : عِ ... »(٤) .

٤ ـ قاس جزم الفعل بلا اداة على الوهم ، سأله سيبويه « عن قوله عز وجل ، فأصدّق واكنْ من الصالحين » * فقال هذا كقول زهير :

بدا ليَ أني لستُ مدركَ ما مضى
ولا سابقٍ شيئاً إذا كان جائيا

فانما جروا هذا لان الاول قد يدخله الباء فجاءوا بالثاني وكأنهم قد اثبتوا في الاول الباء فكذلك هذا ، لما كان الفعل الذي قبله قد يكون

(١و٢) سيبويه ، الكتاب ١/٣٥٢ـ٣٥٣ .

(٣) ابن دريد ، الاشتقاق ٦٠ .

(٤) سيبويه ، الكتاب ٢/٦١ـ٦٢ .

* سورة المنافقون ، الآية ١٠ .

مجزوما ولا فاء فيه ، تكلموا بالثاني وكأنهم قد جزمتوا قبله ، فعلى هذا توهموا هذا »(١) .

٥ ـ وبنفس الشاهد ، على رواية أخرى ، قاس معنى اسم الفاعل على معنى المضارع في المفعول في المعنى ، « قولك هذا ضارب زيداً غداً فمعناه وعمله هذا يضرب زيداً غداً ... فهذا أجرى مجرى الفعل المضارع في العمل والمعنى منوناً ، ومما جاء في الشعر ... وقال زهير :

بدا لِيَ أني لستُ مدركَ ما مضى
ولا سابقاً شيئاً إذا كان جائيا (٢)

٦ ـ قاس صرف صيغ مفترضة غير معروفة على صيغ مشابهة معروفة ومنع تصريف أخرى لعدم المشابهة ، سأله سيبويه « عن رجل يسمى مَرَانا فقال أصرفه لأن المران انما سمي للينه فهو فَعَال كما يسمى الحَمَاض لحموضته . . . وسألته عن سعدان . . . فقال لا أشك في ان هذه النون زائدة لانه ليس في الكلام مثل سرداح ولا فعلال الا مضعفاً »(٣) .

٧ ـ قاس رأى العلمية ، وهي فعل ، على ان ، وهي حرف ، لاشتراكهما في الدلالة « إذا أردت رؤية العين لم يجز رأيتني لانها حينئذ بمنزلة ضربت وإذا أردت التي بمنزلة علمت صارت بمنزله ان واخواتها لأنهن لسن بافعال وانما يجئن لمعنى كذلك هذه الافعال انما جئن لعلم أو

(١) سيبويه ، الكتاب ١/ ٤٥٢ .
(٢) أيضاً ١ / ٨٢ ـ ٨٣ .
(٣) أيضاً ٢ / ١١ ـ ١٢ .

شك ولم يرد فعلا سلف منه إلى انسان يبتدئه »(١) .

٨ ـ قاس حكما على حكم لاشتراكهما في العمل وعدمه ، « قال الخليل : (انما) لا تعمل فيما بعدها كما ان ـ أرى ـ إذا كانت لغواً لم تعمل ، فجعلوا هذا نظيرها من الفعل كما ان نظير (ان) من الفعل ما يعمل ، ونظير (إنما) قول الشاعر :

أعلاقةً أمَّ الوليدِ بعدما
افنانَ رأسِكِ كالثغامِ المخلسِ

جعل (بعد ما) بمنزلة حرف واحد وابتدأ ما بعدها » (٢)

٩ ـ قاس على القرآن وفتاوى الفقهاء للاشتراك في العلة ، فكسر عين عشرين عنده ، انها من العِشر لا من العَشرة مع ان العِشر ظم، تسعة أيام ، قاسه على قول الله عز وجل « الحج اشهر معلومات » * واشهر الحج شهران وعشرة أيام ، وعلى قول أبي حنيفة « إذا قال الرجل لامرأته : قد طلقتك تطليقتين وثلاثاً ، طلقت ثلاثاً » (٣) .

١٠ ـ قاس تعدي الفعل إلى مفعول واحد أو أكثر ، على معناه ، « فان قلت رأيت فاردت رؤية العين أو وجدت فاردت وجدان الضاله فهو بمنزلة ضربت ، ولكنك انما تريد بوجدت علمت ورأيت ذلك ايضاً ، ألا ترى انه يجوز للاعمى ان يقول رأيت العبد الصالح »(٤) .

(١) سيبويه الكتاب ١ / ٢٨٦ .
(٢) ايضاً ١ / ٢٨٣ .
* سورة البقرة الآية ١٩٧ .
(٣) الزجاجي ، مجالس العلماء ٢٤٩ ـ ٢٥٠ مجلس ١١٧ .
(٤) سيبويه ،ن.م ١ / ١٨ .

ومن هذا يتبين لنا ان قياس الخليل وسيبويه لم يكن فطرياً كله كما لم يكن مصطنعاً كله ، فقد كان يجمع بين النوعين تبعاً لما يتطلبه المنهج الدراسي التعليمي من توضيح بامثلة ، قد يوجد بينهما التشابه ، قريباً أو بعيداً ، ومن شرح عقلي قد يبنيه على مشابهة مبسطه أو معقدة .

***

العلل والعوامل النحوية :

تطور البحث في العلة :

ارتبطت فكرة التعليل في الدراسات اللغوية والنحوية بالمنهج الدراسي نفسه ، فطالما كان المنهج عقلياً ذا اتجاه تعليمي محض ، كان من اللازم أن يبحث في السبب والمسبب لكل حالة يواجهها الدارسون ، ان معرفة السبب أمر جوهري يفرضه التعليم ويميل إليه الدارسون طلباً للفهم . إنّ المنشأ الفطرى للتعليل لايعدو كونه اسئلة ساذجة من قبيل ، لم رُفع هذا الاسم ؟ ولم نُصب في تلك الجملة ؟ أو لم بُني هذا الفعل وأعرب ذاك ؟ فالمنشأ الفطري في البحث في العلة لازم ومواكب لنموّ الدراسات نفسها ، واستطيع ان أزعم ان هذا البحث بدأ أول ما بدأ حين صار الناس ينقطعون مصاحفهم على مصاحف أخرى منقوطة ، فيقرأون ويلفت انظارهم تغيّر حالات الكلمة الاعرابية تبعاً لتغير موقعها من الجملة ، ولعل ما يوضح ذلك ان التعليل لم يكن خاصاً بالمنهج البصري وحده . فقد حار فيه حتى علماء الكوفة ، رُوي عن الفراء انه قال : « أموت وفي نفسي من (حتى) شيء لانها تخفض وترفع وتنصب »(١) .

فالتعليل لم يكن أكثر من طلب الفهم الذي ابتغاه الدارسون ، ونما بنمو الدراسات وجنح إلى التعقيد والمنطق بجنوحها .

كان التعليل عند الخليل بحث محض عن السبب وكان لا يجزم بحتمية

اليغموري ، نور القبس ، ٣٠١ .

وصواب ما يصل إليه من علل ، فكان يضع احتمال ايجاد علل غيرها أكثر صواباً وصحة منها ، « سئل عن العلل التي يعتل بها في النحو فقيل له : عن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك ؟ فقال : ان العرب نطقت على سجيتها وطباعها وعرفت مواقع كلامها وقام في عقولها علله ، وان لم ينقل ذلك عنها ، واعتللت أنا بما عندي انه علة لما عللته منه ، فان أكن اصبت العلة فهو الذي التمست وان تكن هناك علة له ، .... فان سنح لغيري علة لما علته من النحو هي اليق مما ذكرته بالمعلول فليأت بها »(١) ، فمجال التعليل عند الخليل ، مفتوح ، له ولغيره ، وظل تعليله منبعثاً عن العقل سواء في مجال الدراسات النحوية أو اللغوية .

« لقد دارت العلة على ألسن النحويين منذ القديم ... [فـ] كانوا يعللون بعض أحكامهم ويلتمسون العلل للظواهر اللغوية أو النحوية التي وجدوها .. [وإذا ما وصلنا إلى عصر الزجاجي كان] حديثه عن العلة أول حديث نظري مجرد وصل إلينا »(٢) ، ففي هذا العصر أوغل الباحثون في منطقة العلة وفلسفتها تبعاً لما جنحوا إليه من منطقة النحو وفلسفته ، فقسموا العلة وفرعوها إلى علل تعليمية وقياسية وجدلية نظرية(٣) ، وادعوا انها موجبة بل مستنبطة أوضاعاً ومقاييس « وليست كالعلل الموجبة للاشياء المعلولة بها »(٤) ، ثم أوغلوا أكثر من ذلك ، فقالوا ان العلة القياسية

(١) الزجاجي ، الايضاح ٦٥ ـ ٦٦ .

(٢) المبارك ، مازن ، الزجاجي حياتـــه وآثاره ومذهبه النحوي ، دمشق ١٩٦٠ ص ٧٥ .

(٣) الزجاجي ، الايضاح ٦٤ ـ ٦٥ .

(٤) أيضاً ٦٤ .

« يطرد الحكم بها في النظائر ... [و] العلة الحكمية ... التي تدعو اليها الحكمة نحو جعل الرفع للفاعل لانه أول الاول .. [و] العلة الضرورية ... التي يجب بها الحكم بمتحرك من غير جعل جاعل [و] العلة الوضعية [التي] يجب بها الحكم بجعل جاعل نحو وجوب الحركة للحرف الذي يمكن ان يكون ساكناً [و] العلة الصحيحة التي تقتضي الحكم الجاري في النظائر ... [و] العلة الفاسدة ... التي بخلاف هذه الصفة ، والمعلول هو المتغير بالعلة »(١) ، وبعد الرماني عدّدوا أربعة وعشرين نوعاً لعلل النحو متفلسفة متمنطقة (٢) .

لم يعدم هـذا الجنوح والايغال علماء وقفوا بوجهة وحاولوا تخليص النحو منه فثاروا على هذا الاغراق في منطقة العلل وفلسفتها ، وكان منهم ابن جني ، نفى ان تكون العلل في العربية « في سمت العلل الكلامية »(٣) لان اكثر العلل عنده « مبناها على الايجاب بها كنصب الفضلة ... ورفع المبتدأ والخبر والفاعل .... وضرب آخر يسمى علة وانما هو في الحقيقة سبب يجوّز ولا يوجب » (٤) ، وتناول من قال بعلة العلة فاظهر خطأه لأن ذلك القول يتضمن عللاً لا متناهية ثم يثبت بان « العلة الحقيقية عند أهل النظر لا تكون معلولة »(٥) ، فابن جني في هذا الموقف كان قد سبق ابن مضاء القرطبي في ثورته على العلل الثواني والثوالث وبزمن .

(١) الرماني ، الحدود في النحو ، مخطوطة المتحف العراقي ، ورقة ٣ـ٤.

(٢) السيوطي ، الاقتراح ٤٨ . (٣) ابن جني ، الخصائص ١٥٢/١ .

(٤) أيضا ١ /١٦٨ ـ ١٦٩ . (٥) ايضا ١٧٨/١ـ١٧٩ .

فكرة العامل في النحو ، وفلسفته :

ارتبطت فكرة العامل بالتعليل والاعراب فكانت من نتائج التعليل ، وقامت بدورها فاثرت في الاعراب وفلسفته ، فقد جعلوا الاعراب نتيجة من نتائج عمل العامل النحوي(١) ، وقد تم ذلك في اطار من المذهب الكلامي الذي ساد البحوث منذ عصر الخليل أو قبله بقليل .

كان البصريون أكثر حرصاً من الكوفيين على هذه الفكرة أو النظرية وعلى ملازمة منهجيتها في دراساتهم ، وشاركهم الكوفيون في هذه المنهجية أيضاً (٢) ، « فهي دستور النحاة جميعاً »(٣) وربما غالى الكوفيون اكثر من زملائهم البصريين في الاخذ بها فمنعوا العطف بـ « حتى » وعدوها « ابتدائية وان ما بعدها على اضمار عامل »(٤) فاضمروه .

لقد أثرت هذه النظرية في المناهج الدراسية ، بصرية وكوفية ، تأثيراً بالغاً ، فطبعت مناهجهم بطابع منها وسيترتها في وجهات مستوحاة من هذه النظرية ويوحي منها جعوا أفعالا ، كالنواسخ ، في باب واحد . لالشيء الا لأنها تشابهت في العمل (٥) ، واغفلوا طبيعة هذه الافعال اللغوية ،

(١) الرماني ، الحدود في النحو ، مخطوطة المتحف العراقي ، الورقة ١ـ٢.
(٢) المخزومي ، مدرسة الكوفة ٢٦٠ـ٢٦١ .
(٣) مصطفى ، ابراهيم ، احياء النحو ٢٨ .
(٤) ابن هشام ، المغني ١٢٨/١ .
(٥) المخزمي ، د . مهدي ، في النحو العربي نقد وتوجيه ، بيروت ١٩٦٤ ، ص ١٨٧ .

فمن المؤكد ان « كان » و « ليس » و « ظن » ليست بذي طبيعة لغوية واحدة ، فلكل منها معنى تؤديه في أسلوب خاص بها من أساليب العربية ، وهذه النظرية أيضاً ، وجهت النحاة إلى ان يبحثوا النحو على انفراد ، باباً فبابا ، فاغفلوا بحث الجملة العربية وتأليفها (١) ، فاخرجوا البحوث النحوية عمنا كانت يجب ان تسير فيه من سبل لغوية ، ويوحي من هذه النظرية أيضاً أوجدوا في النحو أبواباً كان النحو في غنى عنها ، كالتنازع والاشتغال .

ومع قدم هذه الفكرة عند الدارسين (٢) ومواكبتها للمناهج الكلامية التي اثرت في الدراسات اللغوية والنحوية ، وكونها من نتائج علم الكلام(٣) فمن المرجح أنها تفلسفت ابتداء من القرن الرابع الهجري (٤) ، وفيه ظهرت بوجه فلسفي سافر (٥) ، ثم اغرق النحاة وغالوا في فلسفتها ومنطقتها حتى اجروها وكأنها مؤثرات حقيقية (٦) .

كان ابن جني من أوائل النحاة الذين وقفوا بوجه الاغراق والايغال فادرك عقم هذا المنهج ورد عليه بان « العمل من الرفع والنصب والجر والجزم انما هو للمتكلم نفسه لا لشيء غيره » (٧) ، فاستفاد ابن مضاء القرطبي من مواقف ابن جني وأقواله فثار على النحاة مطالباً بالغاء العامل

(١) المخزومي ، في النحو العربي ، نقد وتوجيه ، ٣٢ ـ ٣٤ .
(٢) سيبويه ، الكتاب ٣/١ـ٥ .
(٣) مصطفى ، أحياء النحو ٣١ .
(٤و٥) المخزمي ، مدرسة الكوفة ٢٩١ .
(٦) مصطفى ، ن . م ، ٣٢ ـ ٣٣ .
(٧) ابن جني الخصائص ١ / ١٠٩ .

والعلل الثواني والثوالث (١) ، وعدّ اجماع النحويين على هذه الفكرة ليس حجة (٢) ، لانها باطلة شرعا وعقلا (٣) ، وعلى ما يبدو كان سبب ثورة ابن مضاء على العامل والعلل سبباً منبثقاً عن اعتقاده المذهبي (٤) .

ولعل ما يعزز هذا الاعتقاد ان منطلق ثورة ابن مضاء يظهر على صلة وثيقة ببحوث الفقه نفسها ، وعلى صلة بموقف الكسائي من « أيّ » ، قال الكسائي ان « أي » كذا خلقت ، وقال الفقهاء عن الحكم الجعلي انه حكم جُعل هكذا ، وانكر ابن مضاء التساؤل عن سبب رفع الفاعل وعنده ان الصواب ان يقال « كذا نطقت به العرب »(٥)*

فنظرية العامل ، اذن ، ليست من صلب البحوث النحوية وانهاطارئة على هذه البحوث مع أنها من النتاج العقلي المحض ، للدارسين .

الاعراب ودلالته الوظيفية :

الاعراب هو « الابانة والافصاح عن الشيء » (٦) أو « الابانة عن

(١) ابن مضاء القرطبي ، أحمد بن عبد الرحمن ، الرد على النحاة ، القاهرة ١٩٤٧ ، ص٢٣ ، ص٤٣ ، ص٨٦ .

(٢) ايضا ٩٣ . (٣) ايضا ٨٧ .

(٤) أيضا ، مقدمة شوقي ضيف ، السامرائي ، في البحو العربي ص / ١٩٥ ـ ١٩٦ .

(٥) ابن مضاء ، ن . م ١٥١ ـ ١٥٢ .

* وقد صرح ابن مضاء بدوافعه العقيدية مستنداً على جملة احاديث رويت عن النبي (ص) ، ص ٩٢ ـ ٩٣ .

(٦) الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ١٠٢/١ فصل العين باب الباء .

المعاني بالالفاظ »(١) وعرفه المتأخرون بانه « تغيير آخر الاسم بعامل »(٢) جريا على منهجيتهم الفلسفية في الدراسات ، وجاء في دائرة المعارف الاسلامية ان « أصل معنى كلمة اعراب هو من غير شك التعريب . . . كون الاعراب من خصائص اللغة العربية »(٣) ، وهذا الرأي من غير شك بعيد عن المعنى الوظيفي للاعراب ، فالتعريب ذو مدلول اجتماعي وسياسي اكثر مما يدل على المعنى الوظيفي في بناء الجملة .

ان اللغة العربية معربة بطبيعتها فهي « تعتمد في بنائها على الاصوات الساكنة وحدها ولم تلتفت إلى أصوات المد ، فلم يوجد بين أصول الكلمة رموز لاصوات المد ولكن الاصوات التي تتألف منها الكلمة ، وهي ساكنة ، لا يستطاع النطق بها لهذا استعانت . . . بالحركات التي هي أصوات مدّ قصيرة »(٤) ذلك ان « الفتحة والكسرة والضمة زوائد ، وهن يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به ، والبناء هو الساكن الذي لا زيادة فيه ، فالفتحة من الالف والكسرة من الياء والضمة من الواو »(٥) .

أما ان الحركات لم « تحدد المعاني في اذهان العرب القدماء . . . [و] لا تعدو ان تكون حركات يحتاج إليها . . لوصل الكلمات بعضها ببعض »(٦) ، فمردود لأن الاعراب في العربية موجود قبل استنباط

(١) ابن منظور ، لسان العرب ٥٨٩/١ باب عرب ، ابن جني ، الخصائص ٣٣/١ .

(٢) الرماني ، الحدود في النحو ، مخطوطة المتحف العراقي ورقة ١ـ٢

(٣) دائرة المعارف الاسلامية ، ٣١٩/٢ .

(٤) المخزومي ، محاضرات في فقه اللغة ص٤ .

(٥) سيبويه ، الكتاب ٣١٥/٢ .

(٦) انيس ، ابراهيم ، من أسرار اللغة ١٥٨ .

قواعدها النحوية ، وفي الشعر ، « لا تترك أساليب العروض والقافية مجالا للشك في اعراب كلماته . . [و] مواقع كلام القرآن الاختيارية لا تترك مجالا للشك فيه أيضاً »(١) .

ولعل أبرز هذه الآيات التي تدل على قدم الاعراب لتغيّر معناها بتغيّر قراءتها وأعرابها ، هي قوله تعالى « انما يخشى الله من عباده العلماء » (٢) و « ان الله بريء من المشركين ورسوله »(٣) ، وهاتان الايتان ورد ذكرهما كثيراً في روايات وضع النحو مما يدل على انهما ، وغيرهما ، اخطأ البعض في قراءتهما الأمر الذي أوجد التفكير النحوي في أوليته .

فالاعراب في العربية اذن ، ناشيء عن سبب طبيعي يتعلق ببناء الجملة العربية وتأليفها ، ومن هنا كان للحركات الاعرابية مدلول مرتبط بمعنى الكلمة وموضعها من الجملة ، لأنه يبيّن المعنى الوظيفي للكلمة لا المعنى المعجمي (٤) .

ومع اننا نجد الآراء مختلفة في دلالة الحركات على المعنى لدى القدماء والمحدثين (٥) ، الا ان هذا الاختلاف حدث بعد طبقة الخليل ، فقدكان الخليل أول من أشار إلى هذه الدلالة(٦) ، مع انه لم يشر إلى دلالة الحركة الاعرابية حين تتوسط الكلمة (٧) ، وحدث الاختلاف في طبقة الاخفش

(١) المخزومي ، مدرسة الكوفة ٢٤٨ .
(٢) سورة فاطر الآية ٢٨ . (٣) سورة التوبة ، الآية ٣ .
(٤) حسان ، د . تمام ، مناهج البحث في اللغة ١٩٣ .
(٥) السامرائي ، د . ابراهيم ، الفعل زمانه وابنيته ٢٢٣ .
(٦) سيبويه ، الكتاب ٢ / ٣١٥ .
(٧) المخزومي ، مدرسة الكوفة ٢٤٤ .

وسيبويه وقطرب ، محمد بن المستنير ، كان قطرب يراها وسيلة للتخلص من سكون الحرف لا للدلاله على معنى اعرابي ، على حين ذهب الاخفش إلى رأي غيبي في الاعراب فذكر « ان ما غيّر لكثرة استعماله انما تصورته العرب قبل وضعه وعلمت بانه لا بد من كثرة استعمالها إياه فابتدأوا بتغييره » (١) ، واختلفوا أيضاً في دلالة الاعراب حين يكون حروفاً في التثنية والجمع ، حين تلحق المضارع ، عدها سيبويه علامة للفاعلين (٢). فـ« هي حروف الاعراب وذهب أبو الحسن الاخفش وأبو العباس المبرد ... إلى انها تدل على الاعراب ولا حروف اعراب ، وذهب أبو عمر الجرمي إلى ان انقلابها هو الاعراب وذهب قطرب والفراء والزيادي إلى انها هي الاعراب » (٣) ، أما عند أبي علي الفارسي فالضرورة هي التي جعلت الاعراب حروفاًتلحق الافعال المضارعة (٤) .

لقد أهمل المتأخرون دراسة ترتيب الجملة وتأليفها (٥) ، فقصروا دراساتهم النحويه على الاثر الذي يجلبه العامل ، حتى صيّروا هذه الدراسات وكأنها « موضوع الاعراب »(٦) فقط ، ويبدو ذلك ظاهراً في اعراب المبرد للفعل ، فالفعل عنده محض عامل يقوم باعراب غيره وان

(١) ابن جني ، الخصائص ، ١/٤٣٠ ، السيوطي ، المزهر ١/٥٥-٥٦ .
(٢) الكتاب ١ / ٥ .
(٣) الانباري ، أسرار العربية ٥١ - ٥٣ .
(٤) الايضاح ، ٧٣ .
(٥) السامرائي ، عامر رشيد ، آراء في العربية ٦٤ .
(٦) السامرائي ،د. ابراهيم ، في النحو العربي ١٩ .

أعرب فسيحتاج إلى عامل يعربه وهكذا ، تماماً كتسلسل العلة عند المناطقة يقول المبرد : « اعلم ان الافعال أدوات للاسماء تعمل فيها كما تعمل فيها الحروف الناصبة والجارة ، وان كانت الافعال أقوى في ذلك ، وكان حدها الا يعرب شيء منها لأن الاعراب لا يكون إلا بعامل ، فاذا جعلت لها عوامل فيها لزمك ان تجعل لعواملها عوامل . وكذلك لعوامل عواملها إلى ما لا نهاية ، فهذا كان حدها في الاصل »(١) .

ان اختلاف المتأخرين في الاعراب ، لم يكن في حقيقته ، يتناول الدلالة الوظيفية في الاعراب وفي بيان المعنى وتوضيح الاسلوب ، فقد أنصب خلافهم حول ماهيّة الاعراب وعلله أو عوامله ، وهذه بحوث أقرب إلى المنطق منها إلى النحو والدراسات النحوية ، ان لم أقل أنها بحوث منطقية محضة .

(١) المقتضب ، ٤ / ٨٠ .

حصيلة البحث

كان بناء الامصار الجديدة من مظاهر نمو الدولة واتساعها ، على عهد الراشدين . وكانت البصرة من أقدم تلك الامصار ، ابتغى من تمصيرها ان تكون قاعدة تمد حملات الفتوح ، وقد واكبتها الكوفة ، غاية وعصراً . ولعوامل جغرافية وحضارية سارت البصرة في نموها في خط مخالف للهدف الذي تنصرف من أجله ، فازدهرت في عقود قليلة من السنين حتى صارت أهم مصر بعد عاصمة الخلافة .

استوطنتها قبائل عربية وأقوام غير عربية كثيرة ، فشاع اللحن وفشا وندّت الحاجة إلى وسيلة لتقويم الالسن، خاصة في قراءة القرآن الكريم ، فنقط المصحف وأعرب ثم أعجم .

وتنامت هذه الدراسات على أيد عربية وغير عربية تعتربت ، فشملت دراسة اللغة والشعر ووضع قواعد النحو ، واكتملت على عهد الخليل .

كانت الحاجة الدينية دافعاً وموجهاً لهذه الدراسات ، فاحتوتها باتجاهاتها ومضامينها .

وكان المنهج تعليمياً محضاً ، هدف إلى تقويم الالسن في نطقها وقراءتها ، عربية كانت الالسن أم غير عربية ، وبسبب من طبيعة هـذا المنهج الهادفة إلى تقنين القانون وتقعيد القاعدة ، سلك الدارسون سبيل العقل دراساتهم في .

ومن هنا كان القياس ، وكان السماع ، وكان الشذوذ .

ان الشذوذ الذي اصطلح عليه البصريون ، ما كان يعني شـذوذ

المسموع عن اللغة ، بل كان يعني ، بالتأكيد شذوذ المسموع عن قواعدهم فأوّلوه أو خطأوه أو طرحوه .

وهذه طبيعة التعليم ، يضع القواعد تسهيلاً للاستيعاب ، ويغض النظر عما يخالف ذلك ، تسهيلاً للاستيعاب أيضاً .

وكان العامل القومي حافزاً على هذه الدراسات ، فكافح اللحن وحث على تجنبه ، وسيتر الدراسات في أطرٍ من مصطلحاته العربية ، فالفتحة والضمة والكسرة التي تواضع عليها الدارسون الاول ، مصطلحات منسجمة تماماً مع الحركة الوظيفية للفك والشفتين ، وهي بالتالي ليست مترجمة ولا معتربة .

ومن هنا كان النحو عربياً أصيلاً في نشأته ، مسلماً في وجهته .

انما يتردد عن علاقة أبي الاسود بالسريانيين ، أوعلاقة الخليل بحنين بن اسحاق المترجم ، ما هو الا محض مزاعم مفتراة يكذبها التأريخ ويفندها الواقع ، ويكشف عن أهدافها البحث .

لقد ازدهرت في نهاية القرن الثالث ، حركة الترجمة واينعت وأتت أكلها ، وكان أغلب نشاط المترجمين منصباً على ترجمة كتب الفلسفة والمنطق ، فصار من مستلزمات الثقافة ان يلتم الدارسون بهذه العلوم . وتأثرت بذلك كافة الدراسات الاسلامية ، ومنها دراسات اللغة والنحو ، ففتلسف النحو ومنطق في عصر اعقب عصر نمتوه ونضجه .

ومن هنا قالوا عن علم النحو انه علم نما واحترق .

وهذا صحيح اذا أخذنا بنظر الاعتبار ما قام به النحاة المتأخرون من اجترار للاصول النحوية .

لقدعمدوا إلى اجترار « نحو الخليل » فصارت الافكار النحوية محض

ملخصات ثم شروح ثم منظومات شعرية ، هذا من حيث المضمون ، اما من حيث المنهج فقد دفع المتأخرون بالدراسات النحوية واللغوية في متاهات فلسفية ومنطقية ابتعدوا بها كثيراً ، عن طبيعة الفهم اللغوي السليم .

ان الباحث لا يجد بعد القرن الثالث ، افكاراً نحوية جديرة بالدرس ، إذا ما استثنينا أفكار « الرضي » و « ابن جني » ومن ثم « بدر الدين ابن مالك ، ابن الناظم » ، وهؤلاء ، وان كانوا قد عاشوا في فترة زمنية أعقبت الفترة الزمنية موضوع البحث ، الا ان أفكارهم كانت على صلات وثيقة بنحو الخليل ، أهتلتهم لأن يحملوا عبء دراسات اللغة والنحو عن جدارة .

فالدراسات اللغوية ، والنحوية خاصة ، عربية في نشأتها وفي نمتوها مسلمة في دوافعها ، نمتاها وأوجدها واستنبط قواعدها ، الفكر العربي المسلم ، ولم تتأثر بالعلوم المترجمة الا بعد أن نضجت واكتملت .

الفهارس

١ - فهرس المصادر والمراجع
٢ - فهرس الايات القرانية
٣ - فهرس الشعر
٤ - فهرس الاعلام
٥ - فهرس الشعوب والقبائل والجماعات
٦ - فهرس الاماكن والبقاع

مصادر البحث ومراجعه

المصادر :

١ - الابدي ، شهاب الدين أحمد ، (ترجيحا) ، حدود الاصطلاحات النحوية ، مخطوطة بخط المؤلف عام ٩٠١هـ ، المتحف العراقي لغة ونحو برقم ١٦٨٥.

٢ - ابن أبي اصيبعه ، أحمد بن القاسم ، (ت:٦٦٨هـ) ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، شرح وتحقيق د. نزار رضا، بيروت ١٩٥٥ .

٣ - ابن بدران ، عبدالقادر بن أحمد الدمشقي ، (ت:١٣٤٦هـ) ، تهذيب تاريخ بن عساكر ، دمشق لا.ت.

٤ - ابن ثابت ، حسان ، (ت:٥٤هـ) ، ديوان حسان بن ثابت ، شرح وجمع محمد العتاني ، القاهرة ١٣٣١هـ .

٥ - ابن الجزري ، شمس الدين محمد بن محمد ، (ت:٨٣٣هـ) . غاية النهاية في طبقات القراء ، نشر ، برجستراسر جا القاهرة ١٣٥١هـ ، جـ٢ - ٣ ، ١٣٥٢هـ .

٦ - ، النشر في القراءآت العشر ، تصحيح ومراجعة محمد علي الضباع ، القاهرة ، لا.ت.

٧ - ابن جلجل ، سليمان بن حسان الاندلسي ، طبقات الاطباء والحكماء ، (الف سنة ٣٧٧هـ) تحقيق فؤاد سيد ، القاهرة ١٩٥٥ .

٨ ـ ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، الخصائص جـ١ ـ طبعة دار الهلال ، القاهرة ١٩١٣ .

٩ ـ ، شرح ديوان أبي الطيب المسمى (بالفسر) ، تحقيق،د. صفاء خلوصي،بغداد ١٩٧٠م ـ ١٣٩٠هـ.

١٠ ـ ، المنصف ، شرح كتاب التصريف للمازني ، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ، ط الحلبي ، القاهرة ١٩٥٤ م .

١١ ـ ، سر صناعة الاعراب . تحقيق مصطفى السقا وجماعته ، جـ١ طبعة الحلبي ، القاهرة ١٩٥٤ م .

١٢ ـ ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي (ت: ٥٩٧هـ) ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، حيدرآباد الدكن ، ١٣٥٧هـ.

١٣ ـ ابن خلدون ، عبدالرحمن ، مقدمة ابن خلدون،القاهرة ١٩٣٠.

١٤ ـ ابن خلكان ، أحمد بن محمد (ت: ٦٨١هـ) ، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق ـ محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٤٨ .

١٥ ـ ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن (ت:٣٢١هـ) الاشتقاق تحقيق ـ عبد السلام هارون ، القاهرة١٩٥٨ .

١٦ ـ ابن رشيق ، القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، تحقيق وتعليق محمد محي الدين عبد الحميد ، جـ١ القاهرة ١٩٣٤ .

١٧ ـ ابن سعد ، محمد بن سعد،طبقات بن سعد،تحقيق د. أوجين،د. ادوارد سنحو ، ليدن ١٣٢٢هـ ـ ١٣٢٨هـ .

١٨ ـ ابن سلام ، محمد بن سلام الجمحي (ت: ٢٣١هـ) طبقات فحول الشعراء ،شرح وتحقيق ـ محمود محمد شاكر، القاهرة ١٩٥٢ .

١٩ ـ ابن عاصم ، المفضل بن سلمة (ت:٢٩١هـ) ، الفاخر، تحقيق عبدالعليم الطحاوي ومحمدعلي النجار ، القاهرة ١٩٦٠ م .

٢٠ ـ ابن عبد ربه ، أحمد ، (ت:٣٢٧هـ) . العقد الفريد ، تحقيق محمد سعيد العريان القاهرة ١٩٤٤ .

٢١ ـ ابن العبري ، غريغوريوس الملقي ، (ولد١٢٢٦م) تاريخ مختصر الدول ، بيروت ١٩٥٨ .

٢٢ ـ ابن العماد ، عبد الحي الحنبلي ، (ت:١٠٨٩هـ) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، سلسلة ذخائر التراث العربي ، بيروت لا.ت .

٢٣ ـ ابن فارس ، أحمد ، (ت:٣٩٥هـ) . الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، القاهرة ١٩١٠ـ١٣٢٨هـ .

٢٤ ـ ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبدالسلام هارون، القاهرة ١٣٦٩ هـ .

٢٥ ـ ابن الفقيه ، أحمد بن إبراهيم الهمداني ، مختصر كتاب البلدان ليدن ١٣٠٢هـ .

٢٦ ـ ابن قتيبة ، عبدالله بن مسلم ، (ت:٢٧٦هـ) ، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر ، القاهرة ١٩٦٦م .

٢٧ ـ ، عيون الأخبار ، القاهرة ١٩٦٣ م .

٢٨ ـ ، المعارف ،تصحيح وتعليق محمد اسماعيل الصاوي، القاهرة ١٩٣٤ م .

٢٩ ـ ، الامامة والسياسة (منسوب) طبعة القاهرة لا.ت.

٣٠ ـ ابن مضاء ، أحمد بن عبدالرحمن القرطبي ، الرد على النحاة، ، تحقيق شوقي ضيف ، القاهرة ١٩٤٧م.

٣١ ـ ابن منظور ، جمال الدين بن محمد (ت:٧١١هـ) . لسان العرب، ، بيروت ١٩٥٤ .

٣٢ ـ ابن النديم ، محمد ابن اسحاق (ت:٤٣٨ هـ) . الفهرست ، ، طبعة القاهرة لا.ت.

٣٣ ـ ، نسخة ثانية ، طبعة مكتبة خياط ، بيروت ١٩٦٤م

٣٤ ـ ابن هشام ، جمال الدين الانصاري (ت:٧٦١هـ) . مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد . طبعة مطبعة المدني ، القاهرة لا.ت.

٣٥ ـ ، حاشية محمد الامير على المغني ، طبعة الحلبي ، القاهرة لا.ت .

٣٦ ـ أبو عبيدة ، معمر بن المثنى (ت٢٠٩ـ٢١٣هـ) . نقائض جرير والفرزدق ، تحقيق انتوني بيفن ، ليدن١٩٠٥م

٣٧ ـ ، مجاز القرآن ، تعليق ومعارضة ،د. محمد فؤاد ، سزكين ، القاهرة ١٣٧٤هـ .

٣٨ ـ أبو الفداء ، عمادالدين اسماعيل صاحب حماه ، (ت:٧٣٢هـ) ، المختصر في أخبار البشر ، ج٢ القاهرة لا.ت .

٣٩ ـ أبو مسحل ، عبد الوهاب بن جريش الاعرابي (من رجال القرن الثاني) كتاب النوادر ، تحقيق د.عزة

حسن ، دمشق ١٩٦١ .

٤٠ ـ الاصفهاني ، أبو الفرج (ت:٣٥٦هـ) . الاغاني ، طبعة الدسوقي القاهرة ١٢٨٥هـ .

٤١ ـ ، مقاتل الطالبيين ، تصحيح ابراهيم الزين ، بيروت ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦١م.

٤٢ ـ الانباري ، أبو البركات عبدالرحمن بن محمد (ت:٥٧٧هـ) . الانصاف في مسائل الخلاف ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٥٥ .

٤٣ ـ ، أسرار العربية ، تحقيق محمد بهجة البيطار ، دمشق ١٩٥٧ .

٤٤ ـ ، نزهة الالباء في طبقات الادباء ، تحقيق ـ محمد أبو الفضل القاهرة ١٩٦٧ .

٤٥ ـ ، نزهة الالباء (نسخة ثانية) تحقيق ـد. ابراهيم السامرائي ، بغداد ١٩٥٩م .

٤٦ ـ الاندلسي ، صاعد بن أحمد (ت:٤٦٢هـ) . طبقات الأمم ، القاهرة لا.ت.

٤٧ ـ البخاري ، محمد بن اسماعيل بن المغيرة . (ت:٢٥٦هـ) ، صحيح البخاري ج٦، القاهرة لا.ت.

٤٨ ـ البغدادي ، أحمدبن علي الخطيب (ت:٤٦٣هـ) ، تاريخ بغداد طبعة دار الكتاب العربي ، بيروت لا.ت.

٤٩ ـ البغدادي ، عبدالقادر بن عمر ، (ت : ١٠٩٣هـ) ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب على شواهدشرح الكافية ، طبعة بولاق لا.ت.

٥٠ ـ البكري الاوني ، أبو عبيد (ت:٥٧٨هـ) . سمط اللآلىء ، تحقيق: عبد العزيز الميمني ، القاهرة ١٩٣٦ ـ١٣٥٤هـ .

٥١ ـ البلاذري ، أبو الحسن (ت : ٢٧٩هـ) . فتوح البلدان ، القاهرة ١٩٥٩ .

٥٢ ـ البيروني ، أبو الريحان محمدبن أحمد (ت:٤٤٠هـ) . تحقيق ما للهند ، حيدر آباد الدكن ١٩٥٨ م .

٥٣ ـ التوحيدي ، أبوحيان (ت:٣٦٨هـ) . الامتاع والمؤانسة ،تحقيق أحمد أمين والسيد أحمد صقر ، القاهرة ١٩٥٣ .

٥٤ ـ ، البصائر والذخائر ، تحقيق أحمد أمين واحمد صقر القاهرة ١٩٥٣ .

٥٥ ـ ، المقابسات ، تحقيق محمدتوفيق حسن،بغداد ١٩٧٠.

٥٦ ـ التوحيدي ومسكويه ، أبوحيان ومسكويه ، الهوامل والشوامل ، تحقيق أحمد أمين ورفيقه القاهر ١٩٥١ .

٥٧ ـ الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد ، فقه اللغة وسر العربية القاهرة لا.ت.

٥٨ ـ الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت : ٢٥٥ هـ) . البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٤٨ـ١٩٥٥ .

٥٩ ـ ، الحيوان ، تحقيق عبدالسلام هارون ، القاهرةلا ت

٦٠ ـ ، البخلاء ، تحقيق طه الحاجري ، القاهرة .لا.ت.

٦١ ـ الجهشياري ، محمدبن عبدوس (ت:٣٣١هـ) ، الوزراءوالكتاب، تحقيق مصطفى السقا وجماعته ، القاهرة ١٩٣٨ ـ ١٣٥٧ هـ .

٦٢ ـ الحريري ، القاسم بن علي (ت:٥١٦هـ) . درة الغواص في أوهام الخواص لايبزك ١٨٧١م .

٦٣ ـ الحصري القيرواني ، ابراهيم بن علي (ت:٤٥٣هـ) ، زهر الآداب وثمر الألباب،تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة ١٩٥٣.

٦٤ ـ الحلبي ، أبوالطيب عبدالواحد بن علي اللغوي (ت:٣٥١هـ) مراتب النحويين ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٥٥ .

٦٥ ـ حاجي خليفة ، مصطفى بن عبدالله (ت:١٠٦٧هـ) كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، طهران ١٣٧٨ هـ .

٦٦ ـ الخوارزمي ، محمد بن أحمد بن يوسف (من علماء القرن الرابع) مفاتيح العلوم ،تحقيق فان فلوتن بريل ١٨٩٥ م .

٦٧ ـ الخوانساري ، محمدباقر الموسوي (ت:١٣١٣هـ) روضات الجنات ، طهران ١٣٤٧هـ .

٦٨ ـ الديلمي ، الحسن بن أبي الحسن . ارشادالقلوب ،النجف لا.ت.

٦٩ ـ الرازي ، أحمد بن حمدان (ت:٣٢٢هـ) الزينة في الكلمات الاسلامية العربية ، جـ١ القاهرة ١٩٥٧م .

٧٠ ـ الرماني ، علي بن عيسى (ت:٣٨٤) الحدود في النحو ، مخطوطة في المتحف العراقي ، لغةونحو، رقم٧٧٨ .

٧١ ـ الزبيدي ، محمد بن الحسن (ت:٣٧٩هـ) طبقات النحويين واللغويين تحقيق محمد أبو الفضل،القاهرة١٩٥٤

٧٢ ـ الزجاجي ، أبو القاسم عبدالرحمن بن اسحاق (ت:٣٤٠هـ)

مجالس العلماء ، تحقيق عبدالسلام هارون ، الكويت ١٩٦٢م .

٧٢ ـ ، الايضاح في علل النحو ، تحقيق مازن المبارك القاهرة ١٩٥٩ .

٧٤ ـ الزنجاني ، أبو عبد الله (ت : ١٣٦٠هـ) تاريخ القرآن ، بيروت ١٩٦٩ .

٧٥ ـ السجستاني ، سليمان بن الاشعث (ت:٣١٦هـ) كتاب المصاحف، تحقيق ارثر جفري ، القاهرة ١٩٣٦ .

٧٦ ـ السجستاني ، سهل بن محمد ، (كتاب المذكر والمؤنث) ، تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي ، منشور في مجلة رسالة الاسلام العدد ٧ـ٨ السنة الثالثة، ١٣٨٩ ـ ١٩٦٩م .

٧٧ ـ سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان (ت:١٨٠هـ) الكتاب ، طبعة بولاق ج١:١٣١٦هـ ، ج٢:١٣١٧هـ ،اوفسيت،

٧٨ ـ السيرافي ، أبو الحسن بن عبدالله (ت:٢٦٨هـ) أخبار النحويين البصريين ، تحقيق طه محمد الزيني ومحمد منعم خفاجي ، طبعة الحلبي القاهرة ١٩٥٥ .

٧٩ ـ السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت:٩١١هـ) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق محمد أبوالفضل ، القاهرة ١٩٦٤

٨٠ ـ ، المزهر في علوم اللغة ، القاهرة ١٩٥٨ .

٨١ ـ ، الاقتراح في علم أصول النحو ، حيدر آباد الدكن ١٣٥٩هـ .

٨٢ ـ ، شرح شواهد المغني ، تحقيق محمد محمود الشنقيطي . دمشق ١٩٦٦ .

٨٣ ـ الوسائل إلى مسامرة الاوائل ، تحقيق أسعد أطليع ، بغداد ١٩٥٠ .

٨٤ ـ ، الاتقان في علوم القرآن ، القاهرة ١٩٥١ .

٨٥ ـ الشريشي ، أحمد بن عبد المؤمن القيسي . شرح المقامات الحريرية ، بولاق ١٣٠٠هـ .

٨٦ ـ الطبري ، محمد بن جرير (ت:٣١٠هـ) تاريخ الامم والملوك، القاهرة ١٩٣٩م .

٨٧ ـ العسقلاني ، ابن حجر (ت:٨٥٢هـ) الاصابة في تمييز الصحابة ج٢ القاهرة ١٩٣٩ .

٣٨ ـ ، تهذيب التهذيب ، حيدر آباد الدكن ١٣٢٥هـ .

٨٩ ـ العسكري ، الحسن بن عبد الله بن سعيد (ت:٣٨٢هـ) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ، تحقيق عبدالعزيز أحمد ، القاهر ١٩٦٣ .

٩٠ ـ العكبري ، أبو البقاء ، التبيان في شرح الديوان ، تحقيق مصطفى السقا وجماعته القاهرة ١٩٥٦ .

٩١ ـ الفراء ، يحيى بن زكريا (ت:٢٠٧هـ) معاني القرآن ، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار ، ج١ القاهرة ١٩٥٥ـ١٣٧٤هـ .

٩٢ ـ الفراهيدي ، الخليل بن أحمد (ت:١٧٥هـ) الجزء المطبوع من كتاب العين ، تحقيق عبدالله درويش ، القاهرة ١٩٦٧ .

٩٣ ـ الفرزدق ، ديوان الفرزدق ، شرح كرم البستاني ، دار صادر بيروت ١٩٦٠م .

٩٤ ـ الفيروزآبادي ، مجد الدين .(ت في حدود ٨١٤هـ) . القاموس المحيط ، القاهرة ١٩١٣ .

٩٥ ـ القالي ، اسماعيل بن القاسم (ت:٣٥٦هـ) كتاب الامالي، القاهرة ١٩٢٦ .

٩٦ ـ ، ذيل الامالي والنوادر ، القاهرة ١٩٢٦ .

٩٧ ـ القرداحي ، القس جبرائيل ، اللباب في اللغة الارامية والسريانية ، بيروت ١٨٨٧م .

٩٨ ـ القفطي ، جمال الدين علي بن يوسف (ت:٦٤٦هـ) أنباه الرواة على أنباه النحاة تحقيق محمد أبو الفضل جـ١ ـ ٣ ، القاهرة ١٩٥٠ـ١٩٥٥م .

٩٩ ـ ، إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، القاهرة ١٣٢٦هـ .

١٠٠ـ القلقشندي ، أبو العباس . صبح الاعشى ، القاهرة ١٩١٢ .

١٠١ـ الكاشاني ، محمد بن المرتضى (ت:١٠٩١هـ) المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء ، طهران ١٣٣٩ هـ .

١٠٢ـ الكشي ، محمد بن عمر بن عبدالعزيز ، رجال الكشي ، تعليق أحمد الحسيني ، مؤسسة الاعلمي كربلاء.لا.ت.

١٠٣ـ الكليني ، محمد بن يعقوب ، أصول الكافي ، جـ٢ طهران ١٣٨٨هـ .

١٠٤ـ الكندي ، محمد بن يوسف المصري (ت:٣٥٠هـ) الولاة والقضاة ، بيروت ١٩٠٨ .

١٠٥ـ المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد الازدي (ت:٢٨٥هـ) الكامل ، معارضة واصدار محمد أبو الفضل ورفيقه مطبعة نهضة مصر ، القاهرة لا.ت.

١٠٦ـ ، المقتضب ، تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة ، القاهرة ١٣٨٥هـ .

١٠٧ـ ، الفاضل ـ تحقيق عبدالعزيز الميمني ، القاهرة ١٩٥٦ .

١٠٨ـ المرزباني ، محمد بن عمران بن موسى (ت:٣٨٤هـ) الموشح، مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة ١٩٦٥هـ .

١٠٩ـ ، معجم الشعراء ، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، القاهرة ١٩٦٠ .

١١٠ـ المسعودي ، علي بن الحسين (ت:٣٤٦هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر القاهرة ١٩٥٨م .

١١١ـ التنبيه والاشراف ، القاهرة ١٩٣٨م .

١١٢ـ المعري ، أبو العلاء (ت:٤٤٩) رسالة الغفران ، تحقيق د . بنت الشاطيء القاهرة ١٩٥٠ .

١١٣ـ المقدسي ، محمد بن أحمد ، أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ليدن ١٩٠٦ .

١١٤ـ المنقري ، نصر بن مزاحم (ت:٢١٢هـ) موقعة صفين، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ١٣٨٢هـ .

١١٥ـ الميداني ، أحمد بن محمد النيسابوري (ت :٥١٨هـ) مجمع الامثال ، القاهرة ١٣٥٢هـ .

١١٦ـ النجاشي ، أحمدبن علي(ت:٤٥٠هـ) كتاب الرجال ،طهران لا.ت.

١١٧ـ اليافعي ، عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان(ت:٧٦٨هـ) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، بيروت ١٩٧٠ .

١١٨ـ ياقوت ، شهاب الدين بن عبدالله الحموي الرومي(ت:٦٢٦هـ) معجم الادباء المعروف بارشاد الاريب إلى معرفة الاديب ، تصحيح د . س . مرجليوت القاهرة طبعة مطبعة هندية ١ـ٧ ، ١٩٢٣ ـ ١٩٣٠ .

١١٩ـ معجم البلدان ج١ ، ج٤ ، طهران ١٩٦٥م .

١٢٠ـ اليعقوبي ، أحمدبن واضح (ت:٢٩٢هـ) ،البلدان، النجف١٩٥٧

١٢١ـ اليغموري ، يوسف بن أحمد (ت:٨٤٥هـ) ، نور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النحاة والادباء والشعراء والعلماء لمحمد بن عمران بن موسى المرزباني (ت:٣٨٤هـ) . تحقيق رودلف زلهايم فيسبادن ١٩٦٤م ـ ١٣٨٤هـ .

المراجع

١٢٢ـ الابراشي محمد عطية وجماعته ، المفصل في قواعد اللغة السريانية وآدابها والموازنة بين اللغات السامية، القاهرة ١٩٣٥ .

١٢٣ـ الاسد الدكتور ناصر الدين ، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية القاهرة ١٩٥٦ .

١٢٤ـ أمين ، أحمد . ضحى الاسلام . القاهرة ١٩٥٦ .

١٢٥ـ ، فجر الاسلام ، القاهرة ١٩٥٥ .

١٢٦ـ الانصاري ، الدكتور أحمدمكي ، أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة ، القاهرة ١٩٦٤ .

١٢٧ـ انيس ، الدكتور ابراهيم ، جهود علماء العربية في الدراسات الصوتية ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ج١٥ سنة ١٩٦٢ .

١٢٨ـ ، من أسرار اللغة ، القاهرة ١٩٥٨ .

١٢٩ـ اوليري ، دي لاسي ، علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب ، ترجمة دكتور حبيب كامل ومراجعة زكي علي ، القاهرة ١٩٦٢ .

١٣٠ـ بابواسحاق ، القس روفائيل ، أحوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية ، بغداد ١٩٦٠ .

١٣١ـ ، تاريخ نصارى العراق منذ انتشار النصرانية في الاقطار العراقية إلى أيامنا ، بغداد ١٩٤٨ .

١٣٢ـ بدوي ، عبد الرحمن ، التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية (دراسات لكبار المستشرقين) ، القاهرة ١٩٤٠ .

١٣٣ـ بروكلمان ، دكتور كارل . تاريخ الادب العربي جـ١ ـ ٣ نقله : د . عبدالحليم النجار ، القاهرة ١٩٦٨ .

١٣٤ـ ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، نبيه فارس ومنير بعلبكي الطبعة الخامسة ، بيروت ١٩٦٨ .

١٣٥ـ بلاشير ، دكتور ريجيس ، تاريخ الادب جـ ١ تعريب : دكتور إبراهيم كيلاني دمشق ١٩٥٦ .

١٣٦ـ جب ، هـ . أ . المدخل في الادب العربي . ترجمه كاظم سعد الدين ، بغداد ١٩٦٩ .

١٣٧ـ حتي ، دكتور فيليب وجماعته ، تاريخ العرب مطول ، جـ١ بيروت ١٩٦١ .

١٣٨ـ الحديثي ، دكتورةخديجة ، كتاب سيبويه وشروحه.بغداد ١٩٦٧ م .

١٣٩ـ ، ابنية الصرف في كتاب سيبويه ، بغداد ١٩٦٥ .

١٤٠ـ حسان ، الدكتور تمام . مناهج البحث في اللغة ، القاهرة ١٩٥٥ .

١٤١ـ حسن ، الدكتور حسن إبراهيم .تاريخ لاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي القاهرة ١٩٥٩ .

١٤٢ـ حسن ، عباس ، رأى في بعض الاصول اللغوية والنحوية القاهرة ١٩٥١ .

١٤٣ـ حسن ، عبدالحميد ، القواعد النحوية ، مادتها وطريقتها. القاهرة ١٩٥٢ .

١٤٤ـ حسين ، الدكتورطه . في الادب الجاهلي .ط٩. القاهرة١٩٦٨

١٤٥ـ ، حديث الاربعاء ، ط٨ القاهرة لا.ت.

١٤٦ـ حسين ، محمدالخضر . القياس في اللغة ، القاهرة١٣٥٣هـ

١٤٧ـ ، دراسات في العربية وتاريخها ، دمشق ١٩٦٠ .

١٤٨ـ خضين ، الدكتور محمد كامل . متنوعات.ط٢ القاهرة لا.ت.

١٤٩ـ الحكيم ، محمد باقر ، ثبوت النص القرآني . مجلةرسالة الاسلام الصادرة عن كلية أصول الدين ، العدد ٩ ـ ١٠ / آب / ١٩٦٨ .

١٥٠ـ حمودي ، جبار . القراءات القرآنية ، مجلة رسالةالاسلام العدد ٧ـ٨ السنة الرابعة ١٩٧٠م ـ ١٣٩٠هـ .

١٥١ـ حمودة ، الاستاذ عبد الوهاب ، (أول من وضع النحو) مجلة كلية الاداب بجامعة فؤاد الاول جـ ١ / مجلد ١٣ / مايس ١٩٥١ .

١٥٢ـ الخوئي ، السيد أبو القاسم الموسوي ، البيان في تفسير القرآن ، ط٢ نجف ١٣٨٥ هـ .

١٥٣ـ الخولي ، أمين.مناهج تجديدالنحو والبلاغة. القاهرة١٩٦١

١٥٤ـ دائرة المعارف الاسلامية ، ترجمة الشنتناوي وجماعته . عدة أجزاء .

١٥٥ـ دائرة معارف البستاني ، بطرس البستاني ، مجلد ٧ ، بيروت ١٨٨٣م .

١٥٦ـ الدجيلي ، عبد الكريم . شرح وتحقيق ديوان أبي الاسود الدؤلي ، بغداد ١٩٥٤ .

١٥٧ـ دي بور ، تاريخ الفلسفة في الاسلام ، نقل محمد عبدالهادي أبو ريدة ، القاهرة ١٩٣٨ .

١٥٨ـ الديوجي ، سعيد . بيت الحكمة ، الموصل ١٩٥٤ .

١٥٩ـ الرافعي ، مصطفى صادق ، تاريخ آداب العرب ، ضبطه وحققه وصحح أصوله محمد سعيد العريان ، القاهرة ١٩٥٣ .

١٦٠ـ الراوي ، ثابت اسماعيل . العراق في العصر الأموي ، بغداد ١٩٦٥ .

١٦١ـ ، تاريخ الدولة العربية ـ خلافة الراشدين والامويين . بغداد ١٩٧٠ .

١٦٢ـ رفاعي ، الدكتور أحمد فريد . عصر المأمون ، القاهرة ١٩٢٨

١٦٣ـ رونلدسن ، دوايت .م. عقيدة الشيعة . تعريب ع .م. نشر مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٤٦ـ ١٣٦٥ .

١٦٤ـ زيدان ، جرجي ، تاريخ آداب اللغة العربية ، طبعة . شوقي ضيف القاهرة ١٩٥٧ .

١٦٥ـ ، تاريخ التمدن الاسلامي ، القاهرة ١٩٥٨ .

١٦٦ـ ، اللغة العربية كائن حي ، طبعة دار الهلال ، القاهرة لا.ت.

١٦٧ـ السامرائي ، الدكتور ابراهيم . دراسات في اللغة ، بغداد ١٩٦١ .

١٦٨ـ ، الفعل زمانه وابنيته ، بغداد ١٩٦٦ .

١٦٩ـ ، التطور اللغوي التاريخي ، القاهرة ١٩٦٦ .

١٧٠ـ ، النحو العربي ، نقد وبناء ، بيروت ١٩٦٨ .

١٧١ـ ، تحقيق سؤالات نافع بن الازرق لابن عباس ، رسالة الاحلام العدد ٥ ـ ٦ / شباط / ١٩٦٨ ، ذو القعدة / ١٣٨٧ .

١٧٢ـ السامرائي ، عامر رشيد . اراء في العربيه ، بغداد ١٩٦٢.

١٧٣ـ سلامة ، الدكتور ابراهيم . بلاغة ارسطو بين العرب واليونان ، القاهرة ١٩٥٢ .

١٧٤ـ السيد ، الدكتور عبد الرحمن . مدرسة البصرة النحوية، نشأتها وتطورها ، القاهرة ١٩٦٨ .

١٧٥ـ سيديو ، ل م. تاريخ العرب العام ، ترجمة عادل زعتير. القاهرة ١٩٤٩ .

١٧٦ـ الشايب ، أحمد ، تاريخ الشعر السياسي ، القاهرة ١٩٦٦.

١٧٧ـ شلبي ، الدكتور عبدالفتاح اسماعيل ، أبو علي الفارسي، القاهرة ١٣٧٧هـ .

١٧٨ـ الشيبي ، الدكتور كامل ، الصلة بين التصوف والتشيع، جـ١ـ٢ بغداد ١٩٦٣ .

١٧٩ـ الصالح ، الدكتور صبحي ، دراسات في فقه اللغة ، بيروت ١٩٦٨

١٨٠ـ الصدر ، محمد باقر، المعالم الجديدة للاصول . النجف ١٣٨٥

١٨١ـ ضيف ، الدكتور شوقي ، الفن ومذاهبه في النثر العربي، القاهرة ١٩٦٥ .

١٨٢ـ ، الفن ومذاهبه في الشعر العربي. القاهرة ١٩٦٠.

١٨٣ـ ، المدارس النحوية ، القاهرة ١٩٦٨ .

١٨٤ـ طبانة ، الدكتور بدوي ، دراسات في نقد الادب العربي. القاهره ١٩٦٥ .

١٨٥ـ طلس ، الدكتور أسعد ، تاريـــخ الامة العربية عصر الازدهار ، بيروت ١٩٦٠ .

١٨٦ـ العبيدي ، رشيد عبد الرحمن ، أبو عثمان المازني ومذاهبه في الصرف والنحو ، بغداد ١٩٦٩ .

١٨٧ـ العزيز ، الدكتور حسين قاسم ، اثر العرب في الحضار العـالمية ، مجموعة محـاضرات القيت على طلبه الجامعة المستنصرية ، طبع رونيو، بغداد ١٩٧٠.

١٨٨ـ عطار ، أحمد عبدالغفور ، الصحاح ومدارس المعجمات العربية ، القاهرة ١٩٥٦ .

١٨٩ـ ، مقدمة الصحاح ، مقدمة جا القاهرة ١٩٥٦.

١٩٠ـ العلوجي ، عبد الحميد ، عطير وحبر ، بغداد ١٩٦٧ .

١٩١ـ عون ، الدكتور حسن ، اللغة والنحو ، القاهرة١٩٥٢.

١٩٢ـ فاضل ، عبد الحق ، مغامرات لغوية ، طبعة دار العلم ، بيروت . لا.ت.

١٩٣ـ فروخ ، الدكتور عمر ، تاريـخ العلوم عنـد العرب ، بيروت ١٩٧٠ .

١٩٤ـ الفضلي ، عبد الهادي الفضلي ، الامثال في نهج البلاغـة مجلة رسالة الاسلام العدد ٧ـ٨ السنة الثامنة، شباط ١٩٦٧ .

١٩٥ـ فك ، يوهان ، العربية دراسات في اللغة واللهجـات والاساليب ، تعريب الدكتور عبدالحليم النجار، القاهرة ١٩٥١ .

١٩٦ـ الفياض . الدكتور عبد الله . تاريخ الامـامية واسلافهم من الشيعة ، بغداد ١٩٧٠ .

١٩٧ـ كاشف الغطاء ، الشيخ علي هادي،نقد الاراءالمنطقية، نجف١٣٨٣هـ

١٩٨ـ كحاله ، عمررضا . معجم قبائل العرب، جا بيروت١٩٦٨

١٩٩ـ الكرملي ، الأب انستاس ماري ، تناظر العربية واليونانية، تناظر العربية واللاتينية ، مجلة مجمع اللغة العربيه الملكي بالقاهرة ، جا سنة ١٩٣٤ .

٢٠٠ـ المبارك ، مازن ، الزجاجي حياته واثاره ومذهبه النحوي من خلال كتابه الايضاح ، دمشق ١٩٦٠ .

٢٠١ـ متز ، آدم ، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، نقله محمد عبد الهـادي أبو ريده ، القاهرة ١٩٥٧ .

٢٠٢ـ المخزومي ، الدكتور مهدي ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، بغداد ١٩٦٠ .

٢٠٣ـ ، سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان ، مجلة المعلم الجديد ، جه في ١٩ / ٩ / ١٩٥٦ .

٢٠٤ـ ، محاضرات في فقه اللغة القيت على طلبة كلية أصول الدين ، طبع رونيو ، بغداد ١٩٧٠ .

٢٠٥ـ ، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، القاهرة ١٩٥٨ .

٢٠٦ـ ، في النحو العربي ، قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث ، القاهرة ١٩٦٦ـ١٣٨٦ هـ .

٢٠٧ـ ، في النحوالعربي ، نقد وتوجيه ، بيروت١٩٦٤.

٢٠٨ـ ، عبقري من البصرة ، بغداد ١٩٧٢ .

٢٠٩ـ مصطفى ، ابراهيم . احياء النحو ، القاهرة ١٩٣٧ .

٢١٠ـ ، أول من وضع النحو ، مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الاول ، ج٢ مجلد ١٠/ ديسمبر ١٩٤٨ .

٢١١ ـ مظهر ، اسماعيل ، تاريخ الفكر العربي ، بيروت، لا.ت.

٢١٢ـ معروف ، الدكتور ناجي، اصالة الحضارة العربية، بغداد ١٩٦٩

٢١٣ـ المقدسي ، انيس . امراء الشعر العربي في العصر العباسي، بيروت ١٩٦٩ .

٢١٤ـ ، تطور الاساليب النثرية في الادب العربي، بيروت ١٩٦٥

٢١٥ـ مكرم ، عبد العال سالم ، القرآن الكريم واثره في الدراسات النحوية ، القاهرة ١٩٦٨ .

٢١٦ـ المنجد ، الدكتور صلاح الدين . المنتقى من دراسات المستشرقين ، جا القاهرة ١٩٥٥ .

٢١٧ـ مندور ، الدكتور محمد ، النقد المنهجي عند العرب ، القاهرة لا.ت.

٢١٨ـ موسى ، الدكتور محمد يوسف ، القرآن والفلسفة ، القاهرة ١٩٦٦ .

٢١٩ـ الموسوعة العربية الميسرة ، القاهرة ١٩٦٥ .

٢٢٠ـ النجار ، الدكتور عبدالحليم ، في اللهجات العربية وأصول اختلافها ، مجلة كلية الاداب بجامعة فؤاد الاول ، جا /مجلد ١٥/مايس ١٩٥٣ .

٢٢١ـ النشار ، علي سامي، مناهج البحث عند مفكري الاسلام ونقد المسلمين للمنطق الارسطاليسي ، القاهرة ١٩٤٧.

٢٢٢ـ نصار ، الدكتور حسين ، يونس بن حبيب ، سلسلة اعلام العرب ، القاهرة ١٩٦٨ .

٢٢٣ـ نوفل ، الدكتور سيد ، البلاغة العربية في دور نشأتها، القاهرة ١٩٤٨ .

٢٢٤ـ الوردي ، الدكتور علي، أسطورة الادب الرفيع ، بغداد ١٩٥٧

٢٢٥ـ اليازجي ، كمال ورفيقه ، اعلام الفلسفة العربية، بيروت ١٩٥٧ .

226 - *ENCYCLOPAEDIA BRIANNICA . Chicago . 1966 .*

a- Arabic philosophy . Enc. Brit . Vol. 2 .P . 188.

b- Jacob of Edessa . Enc . Brit . Vol . 12 . P . 834 - 835 .

c- KHALIL (Alkhalil Ibn Ahmad Al - Farahidi) .

Enc . Brit . Vol . 13 . p . 324 - 325

فهرس الآيات

الآية	السورة	رقمها	النزول	رقم الآية	ص
مالك يوم الدين	الفاتحة	١	مكية	٧٦	١٤٧
علّم آدمَ الاسماء كلّها	البقرة	٢	مدنية	٣١	٣٢
ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الاخر	البقرة	٢	مدنية	٦٢	١٩٥
من كان عدواً لله وملائكته وجبريل وميكائيل	»	»	»	٩٨	١٠٣
لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم	البقرة	٢	مدنية	١٥٠	١٩٤
الحج اشهر معلومات	البقرة	٢	مدنية	١٩٧	٢٧٣ ١٥٨
يَطْهُرْنَ ، يَطَّهَّرْنَ	البقرة	٢	مدنية	٢٢٢	٤٩
فقالوا يا ليتنا نُردُّ ولا نكذبَ بآيات ربنا ونكون من المؤمنين	الانعام	٦	مكية	٢٧	٥٤
انّ الله بريءٌ من المشركين ورسوله	التوبة	٩	مدنية	٣	٢٨٢
فلولا قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قومَ يونس	يونس	١٠	مكية	٩٨	٢٠٧
وما أنتم بمصرخيَّ	ابراهيم	١٤	مكية	٢٢	٥٠
فوجدا فيها جداراً يريدان ينقضُّ فاقامه	الكهف	١٨	مكية	٧٧	٢٠٤

الآية	السورة	رقمها	النزول	رقم الآية	ص
ثم لننزعنّ من كل شيعة أيّهم أشدّ على الرحمن عتيّا	مريم	١٩	مكية	٦٩	٢٠٨
فقولا له قولا لّيّنا لعله يتذكر او يخشى	طه	٢٠	مكية	٤٤	١٤٨
إن هذين لساحران (قراءة ابي عمرو)	طه	٢٠	مكية	٦٣	٥٣
وعَنَت الوجوهُ للحيّ القيوم	طه	٢٠	مكية	١١١	١٤٨
وعصى أدم ربّهُ فغوى	طه	٢٠	مكية	١٢١	٢٠٣
هذان خصمان اختصموا في ربّهم	الحج	٢٢	مدنية	١٩	١٠٠
إن الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون	المؤمنون	٢٣	مكية	١١	٢٠٦
قال ربِّ ارجعون	المؤمنون	٢٣	مكية	٩٩	١٤٤
لايخاف لديَّ المرسلون إلا من ظلم ثم بدّل حسنا بعد سوء	النمل	٢٧	مكية	١٠-١١	١٩٤
ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة	القصص	٢٨	مكية	٧٦	١٤٨
يا جبالُ أوّبي معهُ والطيرَ	سبا	٣٤	مكية	١٠	٥٤
وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين	سبا	٣٤	مكية	٢٤	١٤٧ ٢٧٩

الآية	السورة	رقمها	النزول	رقم الآية	ص
إنما يخشى الله من عباده العلماء	فاطر	٣٥	مكية	٢٨	١٠١ ٢٨٢
قل إن كان للرحمن ولد فانا أول العابدين	الزخرف	٤٣	مكية	٨١	١٨٨
فيها فاكهة ونخل ورمان	الرحمن	٥٥	مدنية	٦٨	١٠٣
لولا أخرتني إلى اجل قريب فأصدق واكن من الصالحين	المنافقون	٦٣	مدنية	١٠	٢٧١
لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا	الطلاق	٦٥	مدنية	١	١٤٨
لا يأكله إلا الخاطئون	الحاقة	٦٩	مكية	٣٧	٢٣٠

فهرس الشعر

الشطر	قافيته	بحره	قائله	ص
كأن سلافة . . .	ماء	وافر	حسان بن ثابت	٢٠٠
هذا لعمركم . . .	أب	كامل	-	٣٧١
إذا ما غدونا . . .	نحطب	طويل	-	١٢١
أتهجر سلمى . . .	تطيب	طويل	-	١٢٧
أنفت من الذل . . .	قربوا	متقارب	ابو عمرو بن العلاء	١٣٧
امن زينب . . .	تخبو	هزج	-	١٣٢
اذا وترت امرءاً ...	عنبا	خفيف	الاصمعي	١٣٥
وألحن الناس . . .	الخطب	بسيط	يحيى بن نوفل	٤١
لقد حملت . . .	الحرب	طويل	ذو الرمة	١٦٠
ألا يا بيت . . .	أتيت	وافر	-	١٦٠
يتفع الطيب . . .	الخبيث	مديد	السمؤال	٢٢٠
لقد أصبحت . . .	استقرت	طويل	-	١٠٢
رحم الله . . .	الطلحات	وافر	-	٢٦٧
إذا ارقض . . .	صيدح	طويل	ذو الرمة	١٦٧
مؤلفه تهوي . . .	المتطحطح	طويل	الطرماح	٤
واذا صحوت . . .	اللويح	رجز	خلف الاحمر	١٦٣
وأعبد . . .	رياح	وافر	-	١٨٨
واجعل . . .	سرمدا	طويل	الخليل السنجري	١٩
اتوعدني . . .	العبادا	وافر	-	١١٣

الشطر	قافيته	بحره	قائله	ص
معاوى . . .	الحديدا	وافر	عقيبة الاسدي	١٥٣
				٢٠٢
قالت امامة . . .	السود	بسيط	-	١٩٧
حتى تحاجزن . . .	تكادي	سريع	-	٢٠٨
فهم من النحو . . .	ابي جادِ	رجز	يحيى بن المبارك اليزيدي	١٦٣
ان يقتلوك . . .	عارُ	بسيط	-	١٩٩
غداة احلت . . .	الخمرُ	طويل	-	١٩٥
حراجيج . . .	قفرا	طويل	-	١٢٢
اذا ما شئت . . .	البشرا	هزج	الاصمعي	١٣٤
استعجمت دارمي ...	أخبار	بسيط	-	٥٦
قد كنّ . . .	النظارِ	بسيط	-	١٣٢
على عمائمنا . . .	زير	بسيط	الفرزدق	٢٦٩
حذرٌ أمورا . . .	الاقدار	كامل	أبان اللاحقي	٢٠١
مستقبلين . . .	منشور	بسيط	الفرزدق	٢١٤
بطل النحو . . .	عمر	رمل	الخليل	٢١٩
شربنا . . .	بالكوز	هزج	ابو نؤاس	١٦٩
كم دون ميّة . . .	العيسُ	بسيط	المتلمس	١٦٦
اذا ما شئت . . .	الناسا	هزج	العباس بن الاحنف	١٣٣
اعلاقة . . .	المخلس	كامل	-	٢٧٣
لعمري . . .	خائصا	طويل	الاعشى	١٢١
يبيتُ . . .	العباطِ	وافر	-	٢٠١

الشطر	قافيته	بحره	قائله	ص
ان قلتُ . . .	ذرعوا	بسيط	عمار الكلبي	٢١٣
ان كنت	ينصدعُ	بسيط	-	٤
نبتم . . .	ينفعا	طويل	-	٢٠١
وانكرتني . . .	الصلعا	بسيط	الاعشى	١١٢
عرفت باعشاشٍ . . .	تعرفُ	طويل	الفرزدق	٢١٣
اذا ما شئت . . .	الخلقا	هزج	الاصمعي	١٣٤
والا فاعلموا	شقاقِ	وافر	بشر بن ابي خازم	١٩٦
ايها المغرور . . .	برمكُ	مديد	الاصمعي	١٣٩
يصدُّ . . .	الجوالي	وافر	-	١٧٢
اولئك اكفائي . . .	بدارمٍ	طويل	الفرزدق	١٨٨
لو ان جعفر . . .	ملجمٌ	بسيط	الرشيد	١٣٩
اظلوم . . .	ظلمٌ	سريع	-	١٢٦
فانتِ طلاق . . .	واظلمٌ	طويل	-	١٠١
سلام الله . . .	السلامُ	وافر	الاحوص	١٦١
سقته الرواعد . . .	يعدما	متقارب	-	١٢٢
فان كنت . . .	معلّما	طويل	-	٢٨
اعرف منها . . .	ظبياناً	بسيط	-	٢٠١
من يفعل الحسنات . . .	مثلان	بسيط	عبد الرحمن بن حسان	١٩٩
سقى البصرة . . .	يريعها	طويل	-	٤
هوّن عليك . . .	مقاديرها	منسرح	-	١٢٤
وقد زعمت . . .	فجورها	طويل	توبة بن الحميّر	١٢٦
طرقتك . . .	دلالها	بسيط	مروان بن ابي حفصة	٢٠٤

الشطر	قافيته	بحره	قائله	ص
ما أنت . . .	اللفظه°	رجز	-	١٧٨
اذا ما ترعرع . . .	هوه°	وافر	حسان بن ثابت	٢١٥
يا قاضية	قطره°	هزج	-	١٤١
بدا لي . . .	جاثيا	طويل	زهير بن ابى سلمى	٢٧٢
				٢٧١
فلو كان . . .	مواليا	طويل	الفرزدق	٢٠١
يقول الارذلون . . .	عليا	طويل	ابو الأسود	٢٣٩
ولما أبت . . .	صافيا	طويل	-	١٤٠
حرمتني . . .	حرماني	سريع	الخليل	١٣٧
ما أنا بالبصرة . . .	بزيّ	رجز	-	١٣

فهرس الاعلام

حرف ـ آ ـ

آدم النبي ٤٠ ، ٣٢

آدم متز ١٨

ابان اللاحقي ٢٩ ، ٢٠١

ابراهيم بن الحسن ١٦

ابراهيم مصطفى ٢٣٣ ، ٢٣٥

ابن أبي اسحاق ،عبدالله ٣٩ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ١٠١ ، ١١٠ ، ١١٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥٧ ، ١٧٠، ١٧٨ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٣٠، ٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٥٤ ، ٢٦٨ .

ابن ابي اصيبعه ٧١ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٩٣ ، ٩٤ .

ابن أبي ليلى ١٠٠ ، ٢٦٥

ابن البطريق ٨٨

ابن الجزري ٦٠ ، ٦١

ابن جلجل ٧٠ ، ٧١ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٩٣ ، ٩٤ .

ابن جني ٣٠ ، ٣٤ ، ١٢٧ ، ١٦١ ، ٢١٤ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ .

ابن الجوزي ٨٠ ، ٨٣

ابن حازم الانصاري ٢٣

ابن خلدون ٢٩ ، ٤٩ ، ٩٩، ١٣٦

ابن خلكان ٨٠ ، ٨٣ ، ٩٤، ١٣٢

ابن دريد ١٤٣ ، ١٤٤

ابن الزبير ١٠٠

ابن سعد ١٠ ، ٢٤٥

ابن سلام ٥٤ ، ١١٤ ، ٢٠٧ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ .

ابن شهاب الزهري ٥٧

ابن عباس ، عبدالله ٥٥ ، ١٠٢ ، ١٤٧ ، ١٨٧ ، ٢٢٨ ، ٢٤٥ .

ابن العبري ، غريغوريوس ٨١، ٩٣ ،

ابن عبد ربه ٢٠٢

ابن عمر ، عبد الله ٥٥

ابن فارس ٣٢ ، ٢٣٧

ابن فهر ٨٨

ابن قتيبة = محمد بن مسلم ٢٠٢
٢١٤ ، ٢٤٥ .
ابن كيسان ١٣٥
ابن المعتز ٨٦
ابن مضاء القرطبي ٢٣٥ ، ٢٧٧ ،
٢٧٩ ، ٢٨٠ .
ابن المقفع = أحمد ٧٩
ابن المقفع = عبد الله ٧٧ ، ٧٨
٧٩ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢، ١٠٥
ابن ناعمه الحمصي ٨٨
ابن النديم = محمد بن اسحاق.
١٧ ، ٧٠ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ٨٦، ١١٠
١٢٤ ، ١٥٥ .
ابن هبيلي ٨٨
ابن هشام الانصاري ٢٣
ابوالاسود الدؤلي = ظالم بن عمرو
٣٨ ، ٤٢ ، ٥١ ، ٥٥ ، ٥٨، ٥٩
٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ١٠٩ ،
١١٠ ، ١١١ ، ١١٦ ، ١٤٧، ١٦٢
٢٠٨ ، ٢١٧ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧، ٢٢٨
٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢، ٢٣٣
٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ١٣٦ ، ٢٣٨، ٢٣٩
٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣، ٢٤٥
٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٢٥٣، ٢٥٥.
ابو بكر بن ابي قحافه ٦ ، ٧٠، ٤٦
أبو البيداء الرياحي ١٦٣
ابو حاتم السجستاني ٤، ٤٠، ١٤٣
١٤٤ ، ١٧٦ ، ٢٠٧ .
ابو حيان التوحيدي ٣٨
ابو حنيفة = النعمان بن ثابت ١٨
١٠٢ ، ١٠٣ ، ٢٦٥ ، ٢٧٣ .
ابو خيرة ١٥٧
ابو الدقيش ١٤٤ ، ١٥٦ ، ٢٧١
ابو ذر الغفاري ٥٥
ابو ربيعة ١٥٥
ابوزيد = سعيد بن أوس الانصاري
٢٢ ، ٥٦ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٣٠
١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥٢، ١٥٤
١٦٣ ، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ٢٠٥، ٢٠٧
ابو سليمان والي الكوفة ١٣٧
ابو العاليه ١٥٥
ابو عبيد ٣٣
ابو عبيدة = معمر بن المثنى ٣٠
٤٠ ، ٥٧ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ،
١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٦ ، ١٤٥، ١٤٧
١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٦٦ ، ١٨٧، ١٩٣

١٩٤ ، ٢١٠ ، ٢١٤ ، ٢١٥، ٢١٦
٢٦٥ ، ٢٦٨ .
ابو علي الاسواري ٣٩ ، ١٠٤
ابو علي الفارسي ٣٤ ، ٢٨٣
ابو عمر الجرمي ٥٦
ابو عمرو بن العلاء ٢٨ ، ٤١ ،
٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤، ٥٦
٩١ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١٣٧
١٤٣ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٦، ١٥٧
١٦٣ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨، ١٦٩
١٧٠ ، ١٨٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦، ٢٠٨
٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤، ٢١٦
٢٣٠ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ .
ابو الفداء ٨١
ابو فيد ١٥٣
ابو قراط ٨٣ ، ٨٨ ، ٩٧
ابو قرة ٨٨
ابو مالك بن كركرة ١٥٥
ابو موسى الاشعري ٧ ، ٥٢
ابو موسى الحامض ٨ ، ٢٠
ابو مهدية الاعرابي ١٥٥
ابو نؤاس ١٣٠ ، ١٥٠ ، ١٦٩ ،
أبو يوسف القاضي ١٠٠ ، ١٠١
أبو يوسف الكندي ٨٨
أحمد أمين ١٧ ، ٢٤ ، ٧٦ ، ٢٣٥
الاحوص = الشاعر ١٦٠
الاخفش الاكبر = ابو الخطاب
١١٣ ، ١٥٧ ، ١٧٧ .
الاخفش الاوسط = سعيد بن
مسعدة ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ١١٩ ،
١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٣٠، ١٣٢
١٣٥ ، ١٤٥ ، ١٧٤ ، ١٧٦، ١٩٣
١٩٤ ، ٢٠٩ ، ٢٥٩ ، ٢٨٢، ٢٨٣
الاسد = د . ناصر الدين ٦١
ارسطوطاليس ٧٤ ، ٧٧ ، ٧٨ ،
٧٩ ، ٨٣ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٢٤١ ، ٢٤٢
الاصفهاني = ابو الفرج ٢٤٤
الاصمعي = عبدالملك بن قريب
الباهلي ٤٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١٢٠
١٢١ ، ١٢٢ ، ١٣٢ ، ١٣٣، ١٣٤
١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٥٢، ١٥٤
١٥٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨، ١٧٥
١٧٧ ، ١٩٣ ، ٢٠٠ ، ٢٢٠، ٢٣٠
الاعشى = الشاعر ١١٢، ١١٥، ٢١٠،
الاعلم الشنتمري ٢٠٢
افلاطون ٧٨ ، ٨٨
امرؤ القيس بن حجر ١١٥ ، ٢١٠

الامين=محمدبن هارون الرشيد٢١
الانباري = أبوالبركات عبدالرحمن
١٧ ، ٢٣ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ، ٢٣١
٢٦٧ .
انس بن مالك ٥٦
الانصاري = د . أحمد مكي١٧٩
١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٩٠ .
اوليري = دي‌لاسي ، المستشرق
٧٥ ، ٧٦ ، ٨١ : ٨٤ ، ٨٥، ٩٤
٩٥ ، ٩٦ ، ١٠٤ .
أهرن بن اعين القس ٧٠
أيوب السختياني ٤٢ ، ٥٦

حرف ـ ب ـ

البخاري = محمد بن المغيرة١٦٤
بروكلمان ١٩ ، ٢٤ ، ٧٧ ، ٧٨،
٧٩ ، ١٠٥ ، ١١٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤
١٩٠ .
بشار بن برد ١٥٠
بشر بن أبي خازم ١٩٦
بشر بن مروان بن الحكم ٣٩
البغدادي = الخطيب ٩٤ ، ١٣٢
بلال بن أبي بردة ١٧٠
بلاشير = المستشرق ١٨٩

حرف ـ ت ـ

توبة بن الحمير ١٢٦
التوزي ٢٠٢

حرف ـ ث ـ

الثعالبي ٢٤٧
ثعلب = أبو العباس ١٨ ، ٢٠،
١٢٩ ، ١٨٥ .

حرف ـ ج ـ

الجاحظ = أبوبحرعمرو بن‌عثمان
٥٢ ، ٧١ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩، ١٠٧
١٤٥ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٣٨، ٢٥٢
جالينوس ٩٥ ، ٩٧
جبريل بن بختيشوع ٩٥
جبريل القردامي ٦٤
جرجي زيدان ١٩ ، ٦٢ ، ٦٣
الجرمي = أبو اسحاق ١٠٢، ١٠٤
١٢٥ ، ١٣٢ ، ١٩٣ ، ٢٠٢ .
الجرجاني ١٨٦
جرير ١٥٠، ١٥١ ، ١٦٧، ١٦٨، ٢١١
جعفر بن الحسن ١٦٥
جعفر بن محمد الصادق (ع)
٤٥ ، ١٠٤ .
جعفر بن يحيى البرمكي ٧٣، ١٧٩

جوان بن دست ٣٩
جورجيوس بن جبرائيل ٧٢
جوهانيتوس ٨٦
الجهشياري ٦٠

حرف ـ ح ـ

الحجاج بن يوسف الثقفي ٦٠، ٧٧
١٠٠ ، ١٣٨ ، ١٤٤ ، ٢٥٤ .
حجر بن عدي الكندي ٢٤٦
حسان بن‌ثابت ٢٠٠ ، ٢١٣، ٢١٥
حسن ابراهيم حسن ٩٧
حسن عون ٢٤٣ ، ٢٤٧
الحسن البصري ١٦ ، ٣٨ ، ٤٢ ،
٥٢ ، ٥٤ ، ٦٠ ، ٦٧ ، ١٠٤، ١٠٥
١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥٧ ، ١٦٥، ١٦٦
الحسين بن علي (ع) ٢٤٦
الحطيئة ١٢٠
الحكم بن قنبر ١٧٦
حماد بن زيد ٥٥
حماد بن سلمة ٥٦ ، ١١٨ ، ١٦٦
حماد الكاتب ٥٧
حمزة القاريء ٥٠ ، ٥٣
حنين بن اسحاق العبادي ٨٠، ٨١
٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦، ٨٧
٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ٩٤، ٩٦
٩٧ ، ١١٨ .

حرف ـ خ ـ

خالد بن أحمد ٨٥ ، ٩٥ ، ٩٦ ،
خالد بن‌عبدالله القسري ١٠ ، ٤١
خالد بن الوليد ٦
خالد بن يحيى البرمكي ١٧٠
خالد بن يزيد ٦٩ ، ٧٠ ، ٨٨
خديجة الحديثي ٢٤ ، ٢٢٠
خسرو انوشروان ٧٨
خلف الاحمر ١١٢ ، ١٦٣ ، ٢١٠
الخليل بن أحمد السنجري ١٨
الخليل بن أحمد الفراهيدي ١٧ ،
١٨ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤، ٤٢
٥٦ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٨٠ ، ٨٤، ٨٥
٨٦ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٣، ٩٤
٩٦ ، ١٠٢ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٣
١١٤ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨، ١٢١
١٢٣ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٠، ١٤٢
١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٥٥، ١٥٨
١٦٠ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ، ١٨٠، ١٨٢
١٨٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨، ٢٠٩
٢١٢ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩، ٢٢٠

٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٣٣ ، ٢٤١، ٢٥٤
٢٥٦ ، ٢٦٥ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣، ٢٧٤
٢٧٥ ، ٢٧٨ ، ٢٨٢ .
الخوئي = السيد أبو القاسم ٤٩
الخوانساري ١١٧

حرف ـ د ـ

داود بن متمم بن نويره ٢١٠
دي بور = المستشرق ٧٦، ٧٩، ٩٢

حرف ـ ذ ـ

ذو الرمة ١٦٨

حرف ـ ر ـ

الرازي ٢٣٠
الرشيد = هارون ٢١ ، ٢٤ ، ٥٥
٧٣ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ١٠٠ ، ١٠١ ،
١٣١ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٧٧ .
رفاعي = د . أحمد ٧٦
رفيع بن مهران = أبوالعاليه ٥٢
الرماني = علي بن عيسى ٢٧٧
الرؤاسي ١٧ ، ١٨ ، ١٨٣ ، ٢١٧
رؤبه بن العجاج ١١٥ ، ١٥١، ٢١١
روح بن عباده ٥٦
روزبه = ابن المقفع ٧٧
الرياشي ١٣٨

حرف ـ ز ـ

زادويه الاصفهاني ٧٩
الزبيدي = محمد بن الحسن ٩٤
١١٧ ، ١٦٧ ، ٢١٩ .
الزجاج = ابو اسحاق ٢٠ ، ٢٦٠
الزجاجي ١٩ ، ٢٠ ، ٢٦٢، ٢٧٦
زكي علي ٩٥
زهير بن أبي سلمى ١١٥، ٢٧١، ٢٧٢
زياد بن أبيه ١٠ ، ١٢ ، ٢٧، ٦٣
٢٢٨ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥، ٢٤٥
الزيادي ٣٩ ، ٤٠
زيد بن ثابت ٢٤٧

حرف ـ س ـ

السجستاني = أبو حاتم سهل بن
محمد ٥٢ ، ٢١٦ .
السجستاني = سليمان بن
الاشعث ٦٠
سرجيوس الرأس عبى ١٠٤
سعيد بن شداد اليربوعي ١٦٢
سعيد بن أوس ٥٦
السفاح = أبو العباس ١٣٧
سليمان = النبي ٥٤
سليمان بن صرد ٢٤٦

سليمان بن علي العباسي ١٣٧
سليمان بن المهلب ١٣٦ ، ١٣٧، ١٤٣
سماك بن حرب ٥٧
السموأل ٢٢٠
سيبويه = عمرو بن عثمان بن قنبر
١٧ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٩،
٥٤ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١٠٣ ، ١١٠ ، ١١٢
١١٨ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٢، ١٢٣
١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٩، ١٣٠
١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٤٨ ، ١٥٢، ١٥٣
١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٧٤ ، ١٧٥، ١٧٦
١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٩٣ ، ٢٠٠، ٢٠١
٢٠٢ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩، ٢١٨
٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣، ٢٣٣
٢٣٤ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩، ٢٦٦
٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١، ٢٧٢
٢٧٤ ، ٢٨٣ .
سيديو = المستشرق ١٠٤
السيرافي ٩٤ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٦١
٢٦٢ ، ٢٦٨ .
السيوطي ١٧ ، ٢٣، ١٢٩ ، ١٤٩، ١٥٥
٢٠١ ، ٢٣١ ، ٢٤٧ .

حرف ـ ش ـ

شرحبيل بن حسنة ٣
شريح بن عامر السعدي ٦
شريح = مولى الرسول ـ ص ـ ٢٤٣
الشريشي ١١٨
شعبه بن الحجاج ٥٥
الشعبي ١٠٠
الشهرستاني ١٠٤
الشيبي = د . كامل مصطفى ٢٥

حرف ـ ص ـ

صاعد بن أحمد الاندلسي ٨٠ ، ٩٣

حرف ـ ض ـ

الضحاك بن مزاحم الهلالي ١٦٢

حرف ـ ط ـ

طه حسين ٢٩ ، ١٠٥ ، ١٥٢

حرف ـ ع ـ

عاصم الاحول ٥٦
عاصم بن أبي الصباح الجحدري ٥٢
عاصم ، أبو نصر ١٠ ، ٥٣
عامر بن الحضرمي ٢٤٥
العباس بن الاحنف ١٣٣ ، ١٣٤
العباس بن الحسن العلوي ٢٠٣
عبدالله بن ابراهيم العمري ٢٣٠

عبدالله الشجري ٣٨
عبدالله بن عباس ٤٦
عبد الحميد حسن ٢٤٨
عبد الحق فاضل ٣٢
عبد الرحمن بن حسان ١٩٩
عبد الرحمن بن المبارك اليزيدي ١٦٣
عبد الرحمن بن هرمز ٥١ ، ٢٢٩
عبد الملك بن مروان ٤١ ، ٤٢ ، ٦١ ، ١٠٠ ، ١٧٧ ، ١٨٣ .
عبد الوهاب حمودة ٢٣٣ ، ٢٣٥
عبيد الله بن زياد ١٣ ، ١٨
عقبة بن غزوان ٥ ، ٧ ، ١٠
عثمان بن عفان ١٦ ، ٤٦ ، ٥١ ، ٦١ ، ٢٤٤ .
العسكري ٢٠٢
عصمة بن الورد الفقيمي ٥٢
عطاء بن أبي الاسود ٢٢٩
عقيبة الاسدي ٢٠٢
علي بن أبي طالب (ع) = الامام ١٦ ، ٥١ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٨٥ ، ١٠٠ ، ١٠٩ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٩ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ .
علي بن المبارك الاحمر ٢١
علي بن يحيى ٨٥
عمر بن الخطاب (رض) ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٩ ، ٤٦ ، ٥٥ ، ٦٢ ، ٢٢٨ ، ٢٤٤ .
عمربن عبدالعزيز ٩ ، ١٠ ، ٥٧ ، ٧٠
عمروبن عبيد المعتزلي ١٦ ، ٥٣ ، ١٠٦ ، ٢٠٤ .
عمروبن قائد الاسواري ١٥٧ ، ١٦٤
عنبسه بن معدان ٢١٣ ، ٢٣٥
عيسى بن عمر الثقفي ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ١١٢ ، ١٣٨ ، ١٤٤ ، ١٦٠ ، ١٨٣ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢١ .

حرف ـ غ ـ

غسان بن نافع بن سلمه = دماذ ٢١٦
غيلان الدمشقي ١٠٤

حرف ـ ف ـ

الفراء = يحيى بن زكريا ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٣٩ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٦٦ ، ١١٩ ، ١٤٨ ، ١٨٣ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢٧٥ ، ٢٨٣ .
الفرزدق ١١٥ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٨٨ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢١٥ .

فرعون الساسي ١٥٦
الفضل بن الربيع ١٣١
فيليب حتي ٨١
القالي = أبو علي ٤
قتادة بن دعامة السدوسي ٥٣
قطرب = محمد بن المستنير ٣ ، ٢٨٢
القفطي ٧١ ، ٨٠ ، ٩٣ ، ٩٤

حرف ـ ك ـ

كثير عزة ٢٦٩
الكرملي = انستاس ماري ٣٢
الكسائي = علي بن حمزة ١٧ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٥٣ ، ٦٤ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٤٥ ، ١٧١ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٩٣ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧ ، ٢٨٠
كعب بن مامه ١٩٩
الكشي ٢٤٣

حرف ـ ل ـ

الليث بن المظفر ١٠٢ ، ١٥٦ ، ١٥٨

حرف ـ م ـ

المازني = بكر بن محمد بن بقية ٣٠ ، ٤٠ ، ١١٤ ، ١٢١ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٤٠ ، ١٤٥ ، ١٥٩ ، ١٧٦ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٥٩ .
ماسرجويه ٧٠ ، ٧١
مالك بن انس ٥٣ ، ٥٥ ، ٦٧
مالك بن دينار ٦٨
المأمون بن الرشيد ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١٤٠ ، ١٦٣ ، ١٧٠ ، ١٩٢
المبرد = محمد بن يزيد ١٨ ، ٢٠ ، ٣٠ ، ١٠٦ ، ١١٩ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٤٣ ، ١٥٥ ، ١٦٢ ، ١٨٥ ، ١٩٣ ، ١٩٩ ، ٢٠٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٤ ، ٢٥٩ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤
متمم بن نويره ٢١١
المتلمس = الشاعر ١٦٩
المتوكل ٨١ ، ٨٨ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣٨
متي المنطقي ٢٦١ ، ٢٦٢
محمد بن جهم البرمكي ٧٩
محمدبن الحسن النفس الزكية ١٠٦
محمد بن سيرين ٦٧ ، ١٠١ ، ١٠٢
محمدبن عبدالله بن عبدالمطلب (ع) = النبي ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٦ ، ٦١ ، ٦٩ ، ٧٥ ، ١٠٤ ، ١٤٩ ، ١٦٤ ، ١٧٧ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

محمد بن مناذر ١٦٩
المختار بن أبي عبيد الثقفي ١٠٠
المخزومي = د .مهدي ١٣ ، ١٧، ٢٤
١١٢ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ٢٦٥ .
المرزباني ٦٠
المرقش = الشاعر ٦٢
مروان بن أبي حفصة ١١٥ ، ٢٠٤
المسعودي ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٢٤٥
مسلمه بن عبد الملك ٤١
مسلمه بن مروان ٤١
معاذ بن معاذ ٥٥
معاذ بن مسلم الهراء ١٨٣ ، ٢٢٤
معاوية بن أبي سفيان ٦٢ ، ٢٤٥
معبد الجهني ١٠٤
معبد بن طون ١٠٤
المعتصم بن الرشيد ٨١ ، ١٧٧
المعري = أبو العلاء ٥٠
المفضل بن سلمه ١٥٤
المنتجع الاعرابي ١٥٥
المنقري = نصر بن مزاحم ٢٤٥
المنصور = أبو جعفر ١١ ، ٧٢، ٧٧
٧٩ ، ٩٧ .
موسى بن شاكر ٨٧
الميداني ١٥٢
ميمون الاقرن ٢٣٥
المهدي العباسي ١٧١ ، ٢٠٤

حرف ـ ن ـ

النابغة الذبياني ٣٥ ـ ١١٥
الناشيء = محمد بن شرشير ٢٦٠
نافع بن الازرق ٤٦ ، ١٠٢ ، ١٤٧
١٦٣ ، ١٧٠ ، ١٨٧ .
النجاشي ٢٠١
نصر بن عاصم ١٠ ، ٥١ ، ٥٢، ٥٩
٦٠، ٦١ ، ٦٤ ، ٦٥، ٢١٧، ٢٢٩، ٢٣٥
النضر بن شميل ٥٧ ، ١٠٨ ، ١٤٠،
١٥٥ .

حرف ـ و ـ

الواثق العباسي ٩٧ ، ١٢٦، ١٤٠، ١٤١
واصل بن عطاء ١٦ ، ١٠٤ ، ١٠٥
١٠٦ .
الوليد بن عبد الملك ٣٩ ، ١٧٧

حرف ـ هـ ـ

هارون بن موسى الاعور ٥١
هشام بن معاوية الضرير ٢٢
هشام بن عبد الملك ١٧٠

حرف ـ ي ـ

ياقوت الحموي ٣ ، ١٠ ، ١٢، ١٤
١٢٣ ، ١٣٣ .
يحيى بن خالد البرمكي ٢١ ، ٢٣
يحيى بن زياد الحارثي ٧٩
اليافعي ٨١
يحيى بن نوفل ٤١
يحيى بن يعمر العدواني ٥٤ ، ٥٥
٦٠ ، ٦١ ، ١٣٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٥،
٢٥٤ .
يزيد الرشك ١٠
يزيد بن المهلب ٦٠
اليزيدي = يحيى بن المبارك ٢٣
٥٤، ١٦٣ ، ١٧١ ، ١٩٣ ، ٢٠٣، ٢٠٤
يعقوب بن اسحاق بن أبي اسحاق
٥١ ، ٥٣ .
يعقوب الرهاوي ٦٢ ، ٦٣
اليعقوبي = أحمد بن واضح ٩، ٩١
اليغموري ١٧ ، ١١٢ ، ٢٥٣
يوحنا بن ماسويه ٨١، ٨٢ ، ٨٤ ، ٩٥
يوسف بن ابراهيم ٨٢
يوسف بن عمر ١٢
يموت العبدي ١٦٩
يونس بن حبيب ٣٩ ، ٥٢ ، ٥٤
١٠٢ ، ١٠٣ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٥،
١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥١ ، ١٥٥ ، ١٥٦،
١٥٧ ، ١٦٦ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٩٩،
٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١،
٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٥٤، ٢٦٦،
٢٦٧ ، ٢٦٨ .
يوهان فك = المستشرق ١٩١

فهرس الشعوب والقبائل والجماعات

حرف ـ آ ـ

ابناء موسى بن شاكر ٨٧ ، ٩٧

الآراميون ٢٤٢

بنو أسد ١٧٨

بنو أسد بن خزيمة ١٠

بنو أسد بن شريك ١٠

الاصبهانيون ١٤

الاعاجم ١٤٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٦

الامامية ١٢٦

الاعراب = اعراب ٢٢ ، ٢٣ ، ١١٣ ، ١٦٨ .

الامويون ٧١ ، ١٠٤

الانصار ٢١٣

أهل المدينة ٦٥

أهل السنة ١٠٥

حرف ـ ب ـ

البرامكة ٧٦ ، ٨٧

البصريون = ورد ذكرهم في كثير من الصفحات .

بكر = قبيلة بكر ١٣

البويهيون ١٦٧

حرف ـ ت ـ

التابعون ١٠ ، ٤٩

الترك ٢٦٢

بنو تميم ١٣ ، ١٧٨

التوابون ٢٤٦

حرف ـ ث ـ

ثمود ٢١٠

حرف ـ ج ـ

الجاهليون ٣٥

حرف ـ ح ـ

حمير = حميريون ٢٥ ، ٢١٠

بنو حنظلة ١٣

حرف ـ خ ـ

الخلفاء ٢٣ ، ٨٧ ، ٩٧ ، ١٩٣

الخوارج ١٠٥ ، ١٠٦

حرف ـ ر ـ

الراشدون ٣٧ ، ٤١ ، ٦٩

ربيعة = القبيلة ١٠ ، ١٦٨

حرف ـ ز ـ

الزرادشتيون ٧٥

الزط ٢٤٧

حرف ـ س ـ

الساميون ٢٤٨

بنو سدوس ٦

بنو سعد ٦ ، ١٧٧ .

السرياف = السريانيون ٦٢ ، ٦٤ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ .

حرف ـ ش ـ

شيوخ البصرة ٥٠ ، ٧٩ ، ١٠٩ ، ١٢٠ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٥٠ .

حرف ـ ص ـ

الصابئون ١٩٥

الصحابة ١٠ ، ٤٠ ، ٤٩ ، ٦١ ، ٢٤٤ ، ٤٤٧ .

حرف ـ ط ـ

طيء ١٧٨

حرف ـ ع ـ

عاد ٢١٠

العباديون ٨٠

العبرانيون ٣٢ ، ٧٥

العبلميون ١٦

العجم = الاعاجم ٦ ، ٢٩ ، ١٣٤

العدنانيون ١٠

العرب ١٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٦ ، ٦٤ ، ٦٩ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٨٢ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٨ ، ١٣١ ، ١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٤ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٨ ، ١٧٨ ، ١٨٤ ، ١٨٦ ، ١٨٨ ، ٢٠٢ ، ٢٠٦ ، ٢٠٩ ، ٢١٨ ، ٢٢٧ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٤١ ، ٢٤٤ ، ٢٤٧ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٢ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٧٦ ، ٢٨٠ ، ٢٨٣ .

العرب البائدة ٢١٠

عمرو بن تميم = القبيلة ٢٦٨

حرف ـ غ ـ

غني = القبيلة ١٥٦

حرف ـ ف ـ

الفرس ١٣ ، ١٤ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٧٣ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٨ ، ٩٧ ، ٢٩٢

فصحاء الاعراب = فصحاء البدو ١٤٤ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٦٦ ، ١٦٧، ١٧٦ ، ١٩١ .
الفقهاء ٨ ، ٥٥ ، ٦٦ ، ٩٩ ، ١٠٠، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٢٦ ، ٢١٥ ، ٢٤٢، ٢٦٥ ، ٢٧٣ .
الفلاسفة ٢٥١ ، ٢٥٨

حرف ـ ق ـ

القحطانية ١٠
قريش ١٩، ١٧٨
بنو قشير ١٤٧ ، ٢٣٩
قيس = القبيلة ١٧٨

حرف ـ ك ـ

كنانه ١٧٨
كنده ٢٦
الكوفيون = أهل الكوفة ٢٢ ، ٢٨ ، ١٢١ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٨١ ، ١٨٤ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣، ١٩٤ .

حرف ـ ل ـ

اللغويون ٣٥

حرف ـ م ـ

المخضرمون ١٥٠
المترجمون ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٠، ٩٤
المحدثون ٥٥ ، ٦٦
مذحج ٢٦
المستشرقون ١٨٩ ، ٢٣٤
المسلمون ٥ ، ٦ ، ٩ ، ١٩ ، ٢٩ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٨٧، ١٠٦، ١١٨ ، ١٦٤ ، ١٨٧ ، ٢٤٣ .
المشارقه ٧٠
مضر = المضريون ١٠ ، ٢٥ ، ١٦٨
المعتزلة ٥٢ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٩ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ .
المناطقة = المنطقيون ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٨٤ .
الموالي ١١ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٤٣ ، ١٨٠ .
المولدون ٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١

حرف ـ ن ـ

النبط ٢٨
نحاة البصرة ٧٩ ، ١٠٧ ، ١٢٩ ، ١٨٢، ٢٠٠ .
النحويون = ورد ذكرهم كثيراً
النصارى ٨٠ ، ١٩٥

حرف ـ و ـ

الوافدون ١٦٣
وثنيوحران ٧٥

حرف ـ هـ ـ

هذيل ١٧٨
هند = الهنود ٧٦ ، ٨٨ ، ٢٦٢
هوازن ١٧٨

حرف ـ ي ـ

اليمانيه ٧٥
أهل اليمامة ١٥٧
يمانيه ٢٦
يونان = يونانيون ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٨ ، ٩٠، ٩٧ ، ١١٨ ، ١٨٨ ، ٢٦٢ .
يهود = اليهود ٢٤٨

فهرس الاماكن والبقاع

حرف ـ آ ـ

الأبلة ٦
نهر الابلة ٨
نهر الاساورة ١٣
الاسكندرية ٧٦ ، ٨٦ ، ٩٥
الاندلس ٨٢ ، ٩٤
أوربا ١٠٤
الاهواز ٦ ، ١٣٦
اوديسا ٧٦
اورقة ٧٦

حرف ـ ب ـ

باجروان ١٢٠
بابل ١٣ ، ١٥
البحرين ١٧١
بخارى ١٣
بدر = موقعة بدر ٦
البصرة = ورد ذكرها في كثير من صفحات الكتاب
بصرى الشام ٥
البصيرة ٦
بغداد ١٩ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٤٠ ، ٨٦، ٩٣ ، ٩٤، ٩٦ ، ١٢٨، ١٣١ ، ١٣٢، ١٣٩ ، ١٨٣ ، ١٨٤ .

حرف ـ ت ـ

تنوّج ٦
تهامه ١٧٧

حرف ـ ج ـ
جزيرة العرب ١١ ، ٤٧ ، ١٩١ ،
الجمل = معركة الجمل ١٠٤،١٠٥
جنديسابور ٧٥ ، ٧٦،٨٦ ، ٨٧،٩٥
حرف ـ ح ـ
الحجاز ٩ ، ٧٧
الحديثة ١١٠
حرّان ٧٦
حربانان = قطيعة ١٤
الحيرة ٦ ، ١٣ ، ١٥ ، ٨٠ ،٩٥،٩٦
حرف ـ خ ـ
خراسان ٦٠
الخريبة ٥ ، ٦
خيرتان = نهر ١٤
حرف ـ د ـ
دجلة = نهر ٦ ، ٩
حرف ـ ر ـ
رامهرمز ١٤٣
الرها ٧٦
الروم = بلادالروم ٧٦ ٨٢،٨٦،٩٧
حرف ـ ش ـ
الشام ١١
حرف ـ ص ـ
صفين = موقعه صفين ٢٤٦
حرف ـ ط ـ
طاسان ٦
طلحتان = نهر ١٤
حرف ـ ع ـ
عباسان = نهر ١٤
العراق ٧ ، ١٤ ، ٥٣ ، ١٦٩ ، ٢٤١ ،
٢٤٣ ، ٢٤٤ .
عكاظ = سوق ١٦٧
حرف ـ ف ـ
فارس = بلاد الفرس ٦ ، ١١ ، ٨٦
، ٩٣ .
فلسطين ٢٥٣
حرف ـ ق ـ
قطربل ١٥٨
حرف ـ ك ـ
كربلاء ٢٤٦
الكوفة = وردت في كثير من صفحات
الكتاب .
حرف ـ م ـ
المدينة المنورة ٩ ، ٢١٣ ، ٢١٥

المربد ٧ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩
مرو ٧٣
مصر ٦٩
المغرب ٢٧
ميسان ١
حرف ـ ن ـ
نجد ١٧٧
النخيلة ٢٤٥
نصيبين ٧٥ ، ٧٦
نوبندجان ٦
حرف ـ هـ ـ
الهند = بلاد الهند ٥ ، ١١ ، ٢٤٢
حرف ـ ي ـ
اليرموك ٦
اليمامه ٢٠٥
اليمن ٢٥ ، ٢٦ ، ٢١٠
اليونان = بلاد اليونان ٩٥ ، ٩٦

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ١٠٦٥٦٤
التاريخ / ١٨ / ٧ / ١١ س

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٦٤٥ لسنة ١٩٧٣

١٠٠٠ / ٢٢ / ٩ / ١٩٧٣

مطبعة النعمان ـ النجف الاشرف ـ تلفون ٣٢٠٩٧

حامد جاسم الجابري
أمين مكتبة الكلية الطب

١٩٧٢

٧٠٠ فلس